المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مجلة معهد المخطوطات العربية

علمية، نصف سنوية، محكمة،

تُعنى بشئون التراث العربي

المجلد ٤٣ - الجزء الأول - صفر ١٤٢٠ هـ/ مايو ١٩٩٩م

معهد المخطوطات العربية

القاهرة

ر د مد ٢٢٠٩ - ١١١٠
I. S. S.N. 1110 - 2209

مجلة
معهد المخطوطات العربية

مجلة
معهد المخطوطات العربية

علمية، نصف سنوية محكّمة، تُعْنَى بالتعريف بالمخطوطات العربية، وفهرستها، ونشر النصوص المحققة، والدراسات القائمة عليها، والمتابعات النقدية الموضوعية لها.

المشرف على التحرير : د. أحمد يوسف أحمد
رئيس التحرير : فيصل عبد السلام الحفيان

* الأفكار الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة والمعهد، وترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية، ولا علاقة له بمكانة الكاتب.

* يسمح بالنقل عن المجلة بشرط الإشارة، وقواعد النشر وثمن النسخة في آخر المجلة.

المجلد ٤٣ - الجزء الأول - صفر ١٤٢٠ هـ/ مايو ١٩٩٩م

معهد المخطوطات العربية

القاهرة

حقوق الطبع محفوظة
لمعهد المخطوطات العربية

مجلة معهد المخطوطات العربية / معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) - مج ٤٣، الجزء الأول، صفر ١٤٢٠هـ / مايو ١٩٩٩م.

ط/ ١٩٩٩/١٠/٠٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

* **تعاريف :**

د. محمد عبد المجيد الطويل — **ما تبقى من «الملخص» للتبريزي : تعريف بالمخطوطة ومنهج مؤلفها** ٧ – ٤٩

د. فاطمة العيساوي — **مكتبة الجامع الكبير بمكناس** ٥١ – ٥٩

* **نصوص :**

د. عمر عبد السلام تدمري — **حريق الجامع الأموي عند ابن الحمصي** ٦١ – ٧٦

د. عبد العزيز بن عبد الله السلومي — **علم الفروسية : (السيوف وجواهرها) لمجهول** ٧٧ – ١١٤

* **دراسات :**

د. عبد الإله نبهان — **المعجم العربي الحديث اللااشتقاقي : (المرجع والرائد نموذجين)** ١١٥ – ١٢٩

* **متابعات :**

د. لطف الله قاري — **تعليقات على فهرس بلدية الإسكندرية : (الجزء الأول منه)** ١٣١ – ١٤٧

* **أعلام :**

جليل العطية — **ميخائيل عواد : حياته وجهوده العلمية** ١٤٩ – ١٦٤

* * *

وداعاً للأب والعالم | محمد محمود الطناحي | ١٦٥ – ١٦٨

ندوة

د. محمود الطناحي :
عاشق المخطوطات

فكرة الندوة | د. فيصل الحفيان | ١٧١، ١٧٢

* الافتتاح :

كلمة الافتتاح | د. أحمد يوسف أحمد محمد | ١٧٥

* البحوث :

محمود الطناحي.. والمخطوطات | د. أيمن فؤاد سيد | ١٧٧ – ١٨١

محمود الطناحي إنساناً | د. عبد اللطيف عبد الحليم | ١٨٣ – ١٨٨

محمود الطناحي محققاً | د. محمد إبراهيم البنا | ١٨٩ – ١٩٣

محمود الطناحي.. حياته بقلمه | د. محمد حماسة عبد اللطيف | ١٩٥ – ٢١٥

محمود الطناحي.. مرابطاً في ثغور العربية | د. محمد سليم العوا | ٢١٧ – ٢٣٢

***

ما تبقى من «الملخص» للتبريزى :
تعريف بالمخطوطة ومنهج مؤلفها

د. محمد عبد المجيد الطويل

يحظى دارسو القرآن الكريم بشرف يغبطه عليهم إخوانهم من الدارسين، فخدمة كتاب الله تعالى غاية، ودراسته عبادة، ولقد حظى النحاة قديماً وحديثاً بقسط كبير من هذا الشرف، فهم الذين أعربوا القرآن الكريم، فكشفوا عن الكثير من أسرار البيان القرآني، وهم الذين ذكروا قراءاته، وقاموا على شرحها وتفسير أوجهها والكشف عن مناحي الإعجاز فيها.

ومنذ أن حصلت على الدكتوراه في صيف عام ثمانين وتسعمائة وألف، عن رسالتي: «القراءات الشاذة للقرآن الكريم فى ضوء منهج القرائن النحوية»، وأنا أبحث عن عمل يدور حول كتاب الله تعالى.

وحدث وأنا أكتب بعض دراساتى عن أبى العلاء المعرى، أن رجعت إلى كتاب تلميذه الخطيب التبريزى، للبحث عن النصوص العلائية المفقودة، فقد ضاع الكثير من تراثه، لكن الخطيب تلمذ له وجلس إليه ونقل عنه، واحتفظ بكثير من نصوص شيخه ضمنها فى كتبه. وقد وجدت الكثير منها فى «شرح ديوان الحماسة»، و«الكافى فى العروض والقوافى»، وشرحه لديوان أبى تمام.. وغيرها.

وبعض هذه النصوص العلائية لا مصدر لها الآن إلا كتب الخطيب، ككتاب «ذكرى حبيب»، وهو تعليقات أبى العلاء على ديوان أبى تمام.

ومن هنا بدأت أبحث عن تراث التبريزى، فوجدت فى كتب الطبقات أن له كتاباً فى إعراب القرآن الكريم، فبحثت عنه فى فهارس المكتبات، فلم أجد له ذكراً، إلا أن برو كلمان فى كتابه «تاريخ الأدب العربى» أشار إلى وجود

مخطوطة له في المكتبة الوطنية بباريس، فكتبت إليهم أطلب تصوير نسخة منها، فأرسلوا إليّ الجزء الثاني فقط، وهو من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة (المؤمنون)، وبالنسخة خرم في نهاية سورة التوبة إلى آخر سورة هود . فعكفت على قراءته، فوجدته ذخيرة في النحو، والقراءات وتوجيهها، فاستخرت الله في دراسته وتحقيقه لعل الله يعين على القيام بذلك . أما نقص النسخة، فربما يعين نشر هذا الجزء الذي وقعت عليه على إكمالها، إن كان المفقود منها موجوداً عند أحد .

والخطيب التبريزي هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن(١) ولد بتبريز في عام ٤٢١هـ، وقصد أبا العلاء المعري يطلب علمه، ويقرأ عليه كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري، ومكث عنده عامين نقل فيهما كثيرا من علم أبي العلاء(٢) .

يقول القفطي فيه: له معرفة تامة بالأدب والنحو واللغة(٣) . ويقول الأنباري: كان أحد أئمة اللغة والنحو . . وحكى ابن السمعاني عن أبي الفضل بن ناصر أنه كان ثقة في اللغة وفيما ينقله(٤)

ويقول عنه السيوطي : كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب، حجة صدوقًا ثبتًا . . ولي تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه

(١) ليس من همنا وضع ترجمة ضافية للتبريزي، فقد تكفلت بذلك الدراسات الكثيرة التي صدرت عنه، لكن راجع في ترجمته:
الأعلام ٩ /١٨٧، وإنباه الرواة ٤ /٢٨ وما بعدها، وبغية الوعاة ٢ /٣٣٨، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ /٢٥، وتاريخ الإسلام ٣ /١١-٤٦٨-٤٧١، وشذرات الذهب ٤ /٥، والكامل لابن الأثير ١٠ /١٦٧، وكشف الظنون ٦ /٥١٩، ومعجم الأدباء ٢٠ /٢٧، ومعجم البلدان ٢ /١٦٣، ومعجم المؤلفين ١٣ /٢١٤، ومفتاح السعادة ١ /١٧٥، والمنتظم ٩ /١٦١، والنجوم الزاهرة ٥ /١٩٧، ونزهة الألباء ٣٧٢، وهدية العارفين ٢ /٥١٩، ووفيات الأعيان ٢ /٢٣٨ .

(٢) يقول القفطي في الإنباه ٤ /٢٨ : وكان سبب خروجه إلى أبي العلاء أنه حصلت له نسخة لكتاب الأزهري في عدة مجلدات لطاف، وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن عالم باللغة فدل على أبي العلاء .

(٣) إنباه الرواه ٤ /٢٨ .

(٤) نزهة الألبا ٣٧٢ وما بعدها .

الرياسة فى فنه وشاع ذكره فى الأقطار[1].

وقد ترك التبريزى ثروة كبيرة من المؤلفات فى اللغة والأدب والنحو والعروض وشروح الشعر وغيرها، غير أن الذى يعنينا الحديث عنه منها هنا كتابه «الملخص فى إعراب القرآن». وقد ذكره غير واحد ممن ترجم له.

فقد سماه ابن الأنبارى فى «النزهة»: غريب القرآن[2]، وأطلق عليه السيوطى فى «البغية»: تفسير القرآن والإعراب، وسماه القفطى «إعراب القرآن».

وكان المظنون أن هذا الكتاب مفقود، شأن معظم كتب التراث العربى، ووضعه بعض الدارسين حقًا فى عداد الكتب المفقودة[3].

إلا أننى وجدت بروكلمان فى كتابه «تاريخ الأدب العربى»[4] يشير إلى وجود نسخة وحيدة له مخطوطة فى المكتبة الوطنية بفرنسا تحت رقم (٥٦٩)، وقد استطعت – بحمد الله – الحصول على مصورة منها، فوجدتها تضم الجزء الثانى فقط من الكتاب وتقع فى مائة وتسع وخمسين ورقة، من أول سورة (الأنعام) إلى آخر سورة (المؤمنون)، وبها نقص من قوله تعالى: ﴿ **ولو أرادوا الخروج** ﴾ فى سورة براءة، إلى نهاية سورة هود.

وصف النسخة:

تقع النسخة – كما سبق أن أشرنا – فى تسع وخمسين ومائة ورقة من القطع الكبير، ومسطرتها سبعة وعشرون سطرًا، وكتب على الصفحة الثانية من الورقة الأولى تعليق صغير هو: جزء ثان من التبريزى.

وبعد ذلك أربعة أبيات شعرية هى:

(١) البغية ٢ / ٣٣٨.

(٢) ص ٣٧٢ وقال محققه تعليقا عليها: إن فى إحدى النسخ الخطية للنزهة أنه إعراب القرآن.

(٣) راجع معيض العوفى فى كتابه «الجملة الخبرية فى كتب إعراب القرآن» ١ / ٤٠.

(٤) ٥ / ١٦٣

يا حبيبا خياله نصب عيني	سره في سرائري مكنون
إن تذكرته فكلي قلوب	أو تأملته فكلي عيون
يا عذولي إن لم تعني فدعني	لا تهون على ما لا يهون
قال: كن صابرا تكن مستريحا	قلت: ما لا يكون كيف يكون؟

وتحت الأبيات كتبت هذه العبارات:

الحمد لله الولي العلي.

قد ساق الحق المبين هذا الكتاب المسمى بالتفسير للتبريزى لحوزة عبده الفقير، عبد الله بن عبد الله بن شمس الدين حماة المنزلاوى عفا عنه اللطيف الخبير إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وعلى الورقة الثانية كتب:

الجزء الثاني من تفسير أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزى «رحمة الله عليه».

وهو الملخص لإعراب القرآن المجيد ومعانيه:

رواية الشيخ أبى موهوب الخضر الجواليقى عنه.

رواية الشيخ أبى أنس زيد الكندى عنه.

رواية الشيخ عبد الصمد البغدادى عنه.

رواية أبى محمد إبراهيم بن عمر الجعبرى عنه.

وعلى هذه الصفحة تملكات كثيرة.

وفى نهاية الورقة التاسعة والخمسين بعد المائة نجد قوله:

آخر المجلد الثاني .ويتلوه فى سورة النور، والحمد لله رب العالمين.

وعلى ظهر هذه الورقة صورة سماعين.

التوثيق :

نعلم أن الخطيب تتلمذ على أبى العلاء المعرى، ونقل كثيرا من آرائه فى كتبه ورسائله، وبعض هذه النصوص العلائية لا ذكر لها الآن إلا فى كتب الخطيب، بسبب ضياع الكثير من كتب أبى العلاء.

وقد وجدت فى هذا الجزء نصًّا واحدا نقله الخطيب عن شيخه أبى العلاء، وعرضه على شيخ آخر له هو ابن بَرهان.

والمعرى وابن برهان مذكوران فى شيوخ الخطيب. يقول الخطيب فى سورة (الكهف) تعليقا على قوله تعالى : ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾: من رفع «كلمة»، جعل «كبرت» بمعنى عظمت، ولم يضمر فيه «شيئا»، فارتفعت الكلمة بفعلها. وتخرج نعت للكلمة.

وذكر أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى فى ما قرأته عليه أن «كلمة» نصبها على التعجب.

والتقدير : ما أكبرها كلمة.

فلما عرضت ما ذكره على ابن برهان استحسنه وقال : معناها التعجب.

وهذا المنهج معروف لقراء الخطيب؛ فهو كثيرا ما يعرض آراء شيوخه بعضهم على بعض. واكتفى هنا بذكر مثال واحد دلالة على ذلك :

قال الخطيب فى «شرح السقط» تعليقا على قول أبى العلاء :

إذا ضحكت عجبا به كل بلدة   بكى ما له من ظلمه واهتضامه

يقال : هضمه واهتضمه، إذا ظلمه، ومنه قول الشاعر :

وحبذا حين تمسى الريح باردة   وادى أُشَيٍّ وفتيان به هُضُمُ

هضم : جمع هَضوم، أى : ظلوم، يعنى أنهم يظلمون المال، أى : يكسبونه وينفقونه. هكذا ذكر لى أبو العلاء وقت القراءة عليه.

وسمعت أبا القاسم الرقى يذكر في تفسير هذا البيت لما قرأت عليه: أن قوله: هضم جمع أهضم، وهو الضامر البطن، فلما ذكرت له ما سمعته من أبي العلاء أنشد:

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام[1]

منهج «الملخص»

سار التبريزى فى كتابه هذا على منهج واحد، وهو أن يورد آية أو آيتين أو ثلاث آيات من القرآن الكريم، ثم يبدأ فى تفسيرها والتعليق عليها، مضمنا ما قاله المفسرون والنحاة عن وجوه الإعراب، موردًا ما فى الآيات من قراءات سبعية أو عشرية أو شاذة، ذاكرًا كل قراءة وصاحبها، ومعلقا عليها بما يراه، مع عناية تامة بالكشف عن وجوه القراءات، وما بين القراءة وسائر الآية من تناسب.

فهو فى تعليقه على قوله تعالى:

﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢]. يقول: قرأ نافع وابن عامر وحفص (أفلا تعقلون) بالتاء وكذلك التى فى «الأعراف»[2]، وقرأ الباقون بالباء فيهما. فأما التى فى «يوسف»[3]، فقرأها نافع وابن عامر وعاصم بالتاء، والباقون بالباء. وأما التى فى «يس»[4] فقرأها نافع وابن عامر بالتاء، والباقون بالباء. وقرأ أبو عمرو التى فى «القصص»[5] بالباء، والباقون بالتاء:

فمن قرأ بالتاء فعلى: قل يا محمد أفلا تعقلون. ومن قرأ بالياء فلأنه قد تقدم الإخبار عنهم فرده إلى ذلك. وكثرت القراءات فى التى فى «القصص» بالتاء لقوله: ﴿ وما أوتيتم من شيء ﴾. ومن قرآها بالياء فعلى: قل لهم يا

(١) شروح السقط ٢/ ٥١١. ونجد الخبر بنصه فى شرح الحماسة للتبريزى ٣/ ١٨١.

(٢) آية ١٦٩ وهى ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

(٣) آية ١٠٩ وهى ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

(٤) آية ٦٨ وهى ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾.

(٥) آية ٦٠ وهى ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

محمد: وما أوتيتم من شيء، ثم قال: أفلا تعقلون(١).

فأنت ترى كيف جمع هذه الظاهرة بآياتها المختلفة، وكيف ذكر قراءاتها المتعددة، وكيف وجه كل قراءة أو ذكر مناسبتها لما قبلها؟

وانظر إليه يعلق على قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١].

يقول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ قبلا ﴾ بضم القاف والباء، وفي (الكهف) ﴿ أو يأتيهم العذاب قِبَلا ﴾ بكسر القاف وفتح الباء.

وقرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء فيهما، وقرأ الباقون بضم القاف والباء فيهما.

فمن فرق بينهما قال: يعني بالتي في هذه قبيلا قبيلا، أي جماعة جماعة.

وبالتي في الكهف: «عيانا». ذكره اليزيدي عن أبي عمرو، والتي في هذه السورة جمع «قبيل»، وهو الكفيل. والمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فكفل لهم بصحة ما يقول.

ومن قرأهما بكسر القاف وفتح الباء فعلى أن المعنى فيهما جميعا المقابلة والمعاينة.

ومن قرأهما بضم القاف والباء فيحتمل أن يراد به جمع «قبيل»، ويحتمل أن يرد به معنى المقابلة كما تقول: أتيتك قبلا ولم آتك دبرا.

ومن كسر القاف وفتح الباء نصبه على الحال من المفعول به، وهو بمعنى معاينة أو عيانا، أي يقابلونه. وكذلك من قرأ بضم القاف والباء، نصبه على

(١) ورقة ٩. وراجع السبعة لابن مجاهد ٢٥٦.

الحال(١)

وانظر إليه يتحدث عن توجيه الإفراد والجمع في قوله تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنعام: ١١٥].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ** ﴾، على الجمع، وفي [يونس: ٣٣] ﴿ **حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ** ﴾، على التوحيد. وفيها ﴿ **حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ** ﴾ [يونس: ٩٦]، وفي [المؤمنون: ٦] ﴿ **حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ** ﴾، على التوحيد.

وقرأ نافع وابن عامر جميع ذلك «كلمات» على الجمع. وقرأ الباقون جميع ذلك على التوحيد: فمن قرأ التي في هذه السورة خاصة على الجمع، فلأن الكلمات جاءت بعدها على الجمع في قوله: ﴿ **لا مبدل لكلماته** ﴾، فكان الجمع فيهما أولى، ومن قرأها كلها على الجمع فلأنها مكتوبة في المصحف بالتاء، فدل ذلك على الجمع، وعلى أن الألف اختصرت في الكتابة.

ومن قرأها كلها على التوحيد فلأنهم أجمعوا على التوحيد في قوله: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ** ﴾ [هود: ١١٩]، فرد المختلف فيه إليهما، وتكون الكتابة بالتاء على اللفظ مثل «فطرة الله» ونظائرها(٢).

وهو يوجه البناء للمعلوم وللمجهول في الفعلين (فصل وحرم) في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام: ١١٩].

يقول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿ **فُصِّلَ مَا حُرِّمَ** ﴾ بضم الفاء والحاء.

---

(١) ورقة ٢٤، وقارن بالسبعة ٢٦٤.

(٢) ورقة ٢٥. وراجع السبعة ٢٦٦.

وقرأ نافع وحفص ﴿ فَصَّلَ وحَرَّمَ ﴾ بفتح الفاء والحاء.

وقرأ الباقون (فَصَّلَ) بفتح الفاء (وحُرِّمَ) بضم الحاء:

فمن قرأهما بضم الفاء والحاء فلأن معنى ذلك: وقد فصل الله لكم ما حرم عليكم ثم ردوا – إلى ما لم يسم فاعله.

ومن قرأهما بفتح الفاء والحاء فلأنه قد تقدم اسم الله تعالى، فكان الفتح فى «فصل» أحق ثم جعل «ما حرَّم» نسقا عليه.

ومن فتح الأول وضم الثانى فلأن الأول قرب من اسم الله تعالى، والثانى أتى الكلام عقبه بترك تسمية الفاعل وهو قوله: «إلا ما اضطررتم إليه»، فألحقه به.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿ وإن كثيرا ليضلون ﴾، وفى [يونس:٨٨] ﴿ لِيَضلُّوا عن سبيلك ﴾، وفى [إبراهيم:٣٠] ﴿ لِيُضلُّوا عن سبيله ﴾، وفى [الحج:٧] ﴿ لِيُضلَّ عن سبيل الله ﴾، وفى [لقمان:٦] ﴿ لِيُضلَّ عن سبيل الله ﴾ وفى [الزمر:٢] ﴿ لِيُضلَّ عن سبيله ﴾ ففتح الياء فيهن[١].

وقرأ نافع وابن عامر التى فى هذه السورة والتى فى يونس بفتح الياء، وسائرهن بضم الياء، وقرأ الباقون جميع ذلك بضم الياء.

فمن قرأهن بفتح الياء، فلقوله: ﴿ إنَّ ربَّكَ هو أعلَمُ من يَضلُّ عن سبيله ﴾ [الأنعام:١١٧]، و﴿ بمن ضل عن سبيله ﴾ [النحل:٢٥] ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة:٧٧]، فى نظائر ذلك.

ومن قرأ الحرفين بالفتح دون غيرهما فلقرب الأول منهما من قوله: ﴿ إن ربك هو أعلم من يضل ﴾، واتصال الثانى بقوله: ﴿ ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ﴾ [يونس:٨٨]، إذ كان الإخبار عنهم عقيب ذلك بالضلال أليق.

ومن قرأهن كلهن بضم الياء فلقوله: ﴿ لِيُضِلَّ النَّاسَ بغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

---

(١) الصواب. ففتحا لأن الضمير يعود على ابن كثير وأبى عمرو.

[الأنعام : ١٤٤]، ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾ [الأحزاب : ٦٧]، ولأن الوصف بالإضلال يزيد في فائدة الكلام معنى آخر، فكان أحق بالاختيار.

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١]، يقول : قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم (حصاده) بفتح الحاء، وقرأ الباقون بكسر الحاء وهما لغتان.

فمن اختار الفتح فلأنها أفخم، ومن اختار الكسر فلأنها لغة أهل الحجاز[١].

فهو معنى بالحديث عن توجيه القراءات ومناسبة كل قراءة لما قبلها من الآيات، مع العناية بحشر النظائر في كل القرآن في مكان واحد وجمع القراءات المتشابهة والتنسيق بينها والتعليق عليها.

فهو يقول تعليقا على قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤]، يقول :

قرأ ابن عامر ﴿ يَا أَبَتَ ﴾ ،بفتح التاء في كل القرآن، وقرأ الباقون بكسر التاء حيث وقعت.

وكان ابن كثير وابن عامر يقفان عليه (يا أبه) بالهاء، والباقون بالتاء.

فمن قرأ بالكسر فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء لأن ياء الإضافة قد تحذف في النداء وقيل : التاء بدل من ياء الإضافة، ولا يجوز اجتماعهما، وكسرت لتدل على أنه موضع إضافة.

ومن قرأ بالفتح فعلى أنه أبدل من ياء الإضافة ألفا، ثم حذف الألف، كما تحذف الياء. وعن أبي عثمان أراد : يا أبتاه، فحذف الألف. ومن وقف بالهاء فلأنها تاء التأنيث لحقت الأب في باب النداء خاصة، فكان الوقف عليها بالهاء. ومن وقف بالتاء فلاتباع المصحف، لأنها مكتوبة فيه بالتاء، ولأن « ياء الإضافة » مقدرة بعدها[٢]

(١) ورقة ٣٠، وراجع السبعة ٢٧١.

(٢) ورقة ٧٥، وراجع غير ما ذكرنا الأوراق ٢٨، ٣٣، ٤٣، ٧٠، ٩٧، ١١٨، ١٣٣.

كما أن هناك ملحظا يراه قارئ هذا الكتاب وهو أن الخطيب كثيرا ما يختار بعض القراءات وكثيرا ما يجد أمثال هذه العبارة: واختار هذه القراءة. فهو يقول عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، يقول:

قرأ ابن عامر﴿ بِالْغُدْوَةِ ﴾ بضم الغين وواو بعد الدال، وكذلك التي في الكهف. وقرأ الباقون ﴿ بالغداة ﴾، بفتح الغين وألف بعد الدال في الموضعين.

فمن قرأها بالواو فلأنها مكتوبة في المصحف بالواو، ومن قرأها بالألف قال: إنما كتبت بالواو كما كتب الصلوة والزكوة بالواو.

واختار هذه القراءة لأن غدوة لا تكون إلا ليومك وهي معرفة لا تدخلها الألف واللام، وإذا أردت بها ليوم آخر قلت غداة غد أو غداة الخميس، ونحو ذلك[١].

ويقول تعليقا على قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ [الرعد: ٤].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص (وزرع) بالرفع، وكذلك جميع ما عطف عليه. وقرأ الباقون جميع ذلك بالجر.

فمن قرأ بالرفع فعلى العطف على «جنات»، واختار ذلك لأن الجنات لا تكون من زرع، ومن قرأ بالجر فبالعطف على الأعناب.[٢]

ويقول تعليقا على قوله تعالى:

﴿ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٨].

---

(١) ورقة ١٢، ١٣. وراجع السبعة ٢٥٨.

(٢) ورقة ٨٥.

قرأ ابن عامر (لكننا) بالألف في الوصل والوقف، والباقون بحذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف. والأصل: لكن أنا هو الله، فطرحت حركة الهمزة على النون، فحركت بالفتح واجتمعت نونان، فأدغمت الأولى في الثانية، فمن حذف الألف من الوصل فلأنها ألف أنا، وهي تثبت في الوقف دون الوصل. ومن أثبت الألف في الوصل فعلى لغة من قال :أنا قمت فأثبت الألف. واختار ذلك في هذا الموضع لأن الهمزة قد حذفت من أنا، فصار إثبات الألف عوضا من الهمزة(١).

موقف التبريزي من القراءات

هاجم كثير من النحاة بعض القراء، ورفضوا كثيرا من قراءاتهم، ووقفوا من بعضها موقفا إداً. وقد أشار إلى ذلك كثير من الدارسين، لكن الذي يعنينا هنا هو الحديث عن موقف التبريزي من القراءات القرآنية. والحقيقة أن موقفه كان متسقا مع شخصيته، فقد كان معنيا بالكشف عن وجوه القراءات والحديث عن القراءة، والتنسيق بينها وبين بقية الآيات. ولهذا لم نجد لديه هجوما على القراءات أو نقدا لها، اللهم إلا في بعض المواضع القليلة.. وغاية نقده أنه كان يقول عن بعض القراءات: إنها خلاف الأولى. مفضلا عليها قراءة أخرى، أو أن يقول – في معرض حديثه عن قراءتين –: هذه القراءة أقل تكلفا لقلة الإضمار فيها، وغير ذلك من العبارات الهادئة التي تبين موقفه من القراءات.

فهو مثلا يقول تعليقا على قوله تعالى: ﴿**مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**﴾ [الأنعام:١٦].

قرأ حمزة والكسائي ﴿**مَن يَصْرِفْ**﴾ بفتح الياء وكسر الراء. وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء.(٢)

فمن قرأ بفتح الياء وكسر الراء في ﴿**يصرف**﴾، فهو الله جل ذكره، وأضمر

(١) ورقة ١٢١.

(٢) راجع السبعة ٢٥٤.

مفعولا محذوفا تقديره: من يصرف الله عنه العذاب.

ومن ضم وفتح الراء أضمر مفعولا لم يسم فاعله لا غير، تقديره: من يصرف عنه العذاب. فهذا أقل إضمارا من الأول، وكل ما قل الإضمار عند سيبويه كان أحسن(١)

القضية- كما رأينا- مجرد مفاضلة بين قراءتين سبعيتين، إحداهما أقل إضمارا من الأخرى، وهو لم يتحدث عن القراءة ذاتها، ولم يهاجم قارئها، وإنما قال: هذه أقل تكلفا لقلة الإضمار.

وانظر إليه يعلق على قوله تعالى:

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

قرأ ابن عامر (ولدار) بلام واحدة بالجر، على ما في مصاحف أهل الشام.

وقرأ الباقون (وللدار) بلامين، (الآخرة) بالرفع، على ما في مصاحفهم. وهو الاختيار في العربية لان الدار هي الآخرة، فجعلت اسما وجعلت الآخرة من صفتها، ولم تُضَفْ إليها. و«الدار» مبتدأ والآخرة نعت للدار و«خير» خبر(٢)

القضية التي تثيرها هذه القراءة من قضايا الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين هي إضافة الموصوف إلى صفته، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز ذلك، ورفضه البصريون(٣).

يقول الفراء تعليقا على هذه القراءة (أي قراءة ابن عامر): جعلت الدار هاهنا اسما وجُعلت الآخرة من صفتها وأضيفت.. ومثلها مما يضاف إلى مثله في المعنى قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥]، والحق هو اليقين، كما

(١) ورقة ٦. وقارن هذا بما في إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٣٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٣٣، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١/ ٢٥٩.

(٢) ورقة ٩.

(٣) راجع الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٤٣٦.

أن الدار هى الآخرة. وكذلك أتيتك بارحة الأولى، والبارحة هى الأولى، ومنه يوم الخميس وليلة الخميس، يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، فإذا اتفقا لم تقل العرب: هذا حق الحق ولا يقين اليقين، لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان فى المعنى(١).

أما البصريون فيقولون: إنها صفة لموصوف محذوف.

يقول مكى بن أبى طالب: أما من قرأ بلام واحدة وأضافها إلى الآخرة فإنه لم يجعل الآخرة صفة للدار، وإنما الآخرة فى هذا صفة لموصوف محذوف تقديره: ولدار الساعة الآخرة خير، ثم حذفت الساعة وأقيمت الصفة مُقام الموصوف، فأضيفت الدار إليها(٢).

ويقول تعليقا على قوله تعالى:
﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠].

قرأ نافع وابن عامر (أتحاجونى) مخففة النون، وقرأ الباقون مشددة النون، والأصل: تحاجوننى بنونين، الأولى علامة الرفع، والثانية التى تكون مع ياء المتكلم. فمن شدد النون فعلى إدغام إحدى النونين فى الأخرى لاجتماعهما. ومن خفف فعلى حذف إحدى النونين تخفيفا، وإنما حذف الثانية التى مع الياء التى هى ضمير المتكلم لاجتماع مثلين مع كثرة الاستعمال، وترك النون التى هى علامة الرفع وفيه قبح لأنه قد كسرها لمجاورتها الياء وحقها الفتح، فوقع فى الكلمة حذف وتغيير.

ومن زعم أن الأولى هى المحذوفة فإنما استدل على ذلك بكسر النون الباقية وذلك لا يجوز لأن النون الأولى علامة الرفع، ولا يحذف الرفع من الأفعال لغير جازم ولا ناصب.

---

(١) معانى القرآن ١ / ٣٣٠.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٦٤، والكشف عن وجوه القراءات / ٤٣٠.

ويدل على أن الثانية هى المحذوفة دون الأولى أن الاستثقال إنما يقع بالثانى.
ويدل عليه أيضا قولهم فى «ليتنى»: ليتى، فيحذفون النون التى مع الياء[1].

والقضية النحوية التي تثيرها هذه القراءة هي أىُّ النونين هي المحذوفة؟

ذهب سيبويه وابن مالك ومن وافقهما إلي أنها نون الرفع لأنها تحذف في النصب والجزم، فحمل الرفع عليهما. في حين ذهب الأخفش ومن وافقه إلى عكس هذا، واستدل كل لرأيه.

وقد وردت هذه الظاهرة (اجتماع نون الرفع مع نون الوقاية) في آيات أخري، منها قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقرأها نافع وابن عامر بتخفيف النون، وقرأ الباقون بالتشديد، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، وقرأها ابن كثير بالإدغام، ونافع بالحذف، والباقون بفتح النون، وقوله تعالى: ﴿تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧]، وقرأها نافع بنون خفيفة مكسورة على الحذف، والباقون بفتح النون لأنها نون رفع، وقوله تعالى: ﴿أَتَعِدَانِنِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، وقرأها هشام بالإدغام، والباقون بالإظهار.

وقد اختلف النحاة – كما أشرنا – فى أيتهما المحذوفة؟

فذهب سيبويه وابن مالك ومن تبعهما إلى أن المحذوف هى النون الأولى (أى نون الرفع)، لأنها تحذف في النصب والجزم فحُمل الرفع عليهما، ولأنها حذفت دون ملاقاة «مثل» فى قول الشاعر:

فإن يك قوم سرهم ما صنعتُم   سيحتلبوها لاقحاً غير باهل

أى: فسيحتلبونها، ومنه أيضًا قوله:

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى   وجهك بالعنبر والمسك الذكى

والحديث: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا

(١) ورقة ١٨.

حتى تحابوا». [صحيح مسلم ١ / ٧٤] لأن «لا» نافية وليست بناهية. فإذا كانت حذفت هنا دون ملاقاة «مثل»، فلأن تحذف مع ملاقاة «مثل» استثقالا أولى.

واستدل من وافق سيبويه بأن نون الوقاية مكسورة، فبقاؤها على حالها لا يلزم منه تغيير، بخلاف ما لو ادَّعَيْنا حذفها فإنه يلزمنا تغيير نون الرفع من فتح إلى كسر.

وذهب الأخفش ومن وافقه إلى أن المحذوف هو الثانية (نون الوقاية)، لأن الثقل حصل بها، ولأنه قد استغنى عنها لأنها أتت لوقاية الفعل من الكسر، وهو مأمون لوقوع الكسر على نون الرفع، ولأنها هي التي تحذف في «ليتني»، فيقال: ليتي. ومن ذلك قول الشاعر:

كمنية جابر إذ قال ليتي   أصادفه وأتلف جُلَّ مالي

هذا هو الخلاف بين الرأيين. ولعل من المناسب بعد ذلك أن نذكر نص كل من سيبويه والأخفش فيه.

أما سيبويه فيقول في الكتاب (٣ / ٥١٩): «وإذا كان فعل الجميع مرفوعًا، ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، وذلك قوله: لتفعلن ذاك ولتذهبن، لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات فحذفوها استثقالاً. وتقول: هل تفعلن ذاك، تحذف نون الرفع، لأنك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف فحذفوها إذ كانت تحذف وهم في ذا الموضع أشدُّ استثقالاً للنونات، وقد حذفوها في ما هو أشد من ذا.

بلغنا أن بعض القراء قرأ: ﴿ أتحاجوني ﴾، وكان يقرأ ﴿ فبم تبشرون ﴾ وهي قراءة أهل المدينة، وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف . . .».

ويقل الأخفش في معاني القرآن (١ / ٤٤٣): «وقد قرأ بعض القراء «فبم تبشرون» أراد: تبشرونني، فأذهب إحدى النونين استثقالاً لاجتماعهما، قال الشاعر:

تراه كـالـثـغـام يـعـمـل مـسـكاً ... يـسـوء الـغـالـيـات إذا قلينى

فحذف النون الآخرة لأنها النون التى تزاد ليترك ما قبلها على حاله، وليست باسم، فأما الأولى فلا يجوز طرحها فإنها الاسم المضمر، وقال:

أبـالمـوت الـذى لابـد أنـى ... مـلاق لا أباك تخـوفـينى

فحذف النون...[1].

وبعد هذا الخلاف نعود إلى الخطيب فنجد أنه وصف القراءة بقوله: وفيه قبح، لأنه قد كسرها لمجاورتها الياء، وحقها الفتح.

لكن انظر إلى ما يقوله مكى بن أبى طالب عنها: حجة من خفف أنه حذف النون الثانية استخفافًا لاجتماع مثلين متحركين، وللتضعيف الذى فى الفعل (فى الجيم)، ولا يحسن أن يكون المحذوف هو النون الأولى لأنها علم الرفع فى الفعل، وحذفها علم النصب والجزم، فلو حذفت استخفافا لاشتبه المرفوع بالمنصوب والمجزوم، وأيضًا فإن الاستثقال إنما يقع بالتكرير فحَذْفُ ما يحدث به الاستثقال أولى من غيره، وحذف هذه النون فى العربية قبيح مكروه، إنما يجوز فى الشعر لضرورة.

والقرآن لا يحمل على ذلك إذ لا ضرورة تلجئ إليه. وقد لَحْن بعض النحويين من قرأ به، لأن النون الثانية وقاية للفعل الا تتصل به الياء فيكسر آخره فيغير، فإذا حذفتها اتصلت الياء بالنون التى هى علامة الرفع وأصلها الفتح فغيرتها عن أصلها وكسرتها فتغير الفعل[2].

وهناك قراءة لابن عامر أثارت لغطًا شديداً بين النحاة واتهموا صاحبها باتهامات هو منها براء، وهى قراءة الفصل بين المتضايفين فى قوله تعالى: فى

---

(١) راجع فى الخلاف فى هذه القضية شرح المفصل ٣/ ٩١، الهمع ١/ ٥٢-٦٥ شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٤٠، إعراب سورة الأنعام للسمين ٢/ ٣٠٥، البحر المحيط ٤/ ١٦٩، المغنى ٢/ ٢٥، معانى القراءات للأزهرى ١/ ٣٦٧، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٧٣.

(٢) راجع الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٤٣٧.

سورة الأنعام: ﴿ **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم** ﴾(١).

(زُيِّن) بالبناء للمجهول؛ بضم الزاى وكسر الياء، (قتلُ) بالرفع (أولادَهم) بالنصب، (شركائهم) بالجر.

فقد آثارت هذه القراءة ثائرة الكثير من النحاة، وشنَّعوا على ابن عامر من أجلها، وما ذاك إلا لأن البصريين يمنعون الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا لضرورة. وأجازه الكوفيون مطلقًا فى الشعر والنثر. لقد هاجم ابن عامر بسبب هذه القراءة كل من: ابن جرير الطبرى والزمخشرى وابن الأنبارى والعكبرى، ومكى بن أبى طالب وابن خالويه وغيرهم...

وكان الزمخشرى أقساهم هجومًا وأحدهم لغة، فوصفه بما لا يليق. انظر إليه يقول: وأما قراءة ابن عامر.. فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا.. فكيف به فى الكلام المنثور، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟ والذى حمله على ذلك أنه رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبًا بالياء.

وقد قَيَّض الله لابن عامر من دافع عنه وعن قراءته، منهم ابن الجزرى وأبو حيان الذى قال فى «البحر»: وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم الأمة لنقل كتاب الله شرقًا وغربًا(٢).

لكن انظر إلى ما يقوله الخطيب عن هذه القراءة:

---

(١) الكشاف ١/٤٧٢.

(٢) البحر المحيط ٤/٢٣٠ وراجع فى هذه القراءة، نقدها والدفاع عنها: الإنصاف لابن الأنبارى ١/٢٤٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٥٨٣، تفسير الطبرى ٨/٣١، الحجة لابن خالويه ١٥١، الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٥٤، معانى القرآن للفراء ١/٣٥٧، معانى القراءات للأزهرى ١/٣٨٨، مشكل إعراب القرآن ١/٢٩١، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٦٤، حاشية الصبان ٢/٢٧٦، وتاويل مشكل القرآن ٦٢.

قرأ ابن عامر (زُين) بضم الزاى وكسر الياء، (قتل) بالرفع، (أولادهم) بالنصب، (شركائهم) بالجر، وتقديرها : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، على الفرق بين المضاف والمضاف إليه، كما قال :

فزججتها متمكنًا زجَّ القلوص أبى مزادة

وإنما دعاه إلى ذلك أنه مكتوب فى مصاحف أهل الشام شركائهم بالياء، ثم ذكر القراءة الأخرى فى الآية، وقال عنها : وهى القراءة المختارة لاستكراه الفصل بين المضاف والمضاف إليه(١) .

ويقول تعليقًا على قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

قرأ نافع ﴿ **محياى** ﴾ بإسكان الياء، والباقون بالفتح . وهو الاختيار، لأن قبلها ساكن، كقوله : ﴿ **هُدَى** ﴾ [طـه : ١٢٣]، و﴿ **مَثْوَايَ** ﴾ [يوسف : ٢٣] ونحوهما .

فمن أسكن فلأن الألف حرف لين، ويكون اتصل على نية الوقف، كقوله : ﴿ **فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩٠] . فى من وصل بإثبات الهاء .

وحق اليـاء من ﴿ **محياى** ﴾ أن تكون مفتوحة كما كانت الكاف فى « رأيتك »، والتاء فى « قمت »، لكن الحركة فى الياء ثقيلة . فمن أسكنها فعلى الاستخفاف لأنه جمع بين ساكنين، والجمع بين ساكنين جائز إذا كان الأول حرف مد ولين، لأن المد الذى فيه يقوم مقام حركة يستراح عليها، فيفصل بين الساكنين(٢) .

لكن انظر إلى ما يقوله أبو جعفر النحاس عنها : قرأ أهل المدينة (محياى) بإسكان الياء فى الإدراج . وهذا لم يُجزْه أحد من النحويين إلا يونس، لأنه جمع

(١) ورقة ٢٩ .

(٢) ورقة ٣٥ . وراجع مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٠٢ .

بين ساكنين، وليس في الثاني إدغام(١).

ويقول تعليقا على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]: قرأ حمزة بكسر الياء، والباقون بفتح الياء، فمن فتح الياء فأصلها ياءان ياء الجمع وياء الإضافة، فتحت لالتقاء الساكنين، وأصل هذه الياء الفتحة، وإنما سكنت استخفافًا، فإذا سكن ما قبلها ردت إليها حركتها التي كانت لها، كقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: ١٢٣]، وما أشبهه.

ومن كسر الياء وهي قراءة حمزة، وبه قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب، فالأصل عنده في (مصرخيَّ) ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة وياء زيدت للمد، كما زيد في «بهي»، لأن ياء المتكلم كهاء الغائب، وقد زادوا ياء مع ياء المؤنث حيث كانت بمنزلة هاء الغائب، قال الشاعر:

رميتـــه فـأصـميـت   ومــا أخطأت الرميـــة

ثم حذف الياء التي للمد، وبقيت الياء المشددة مكسورة، كما تحذف الياء من «بهي» وتبقى الهاء مكسورة، وقد كان القياس استعمال ذلك، لثقل الكسرة على الياء. فالقراءة بكسر الياء فيها بعد من جهة الاستعمال، وهي حسنة على كل الأحوال، لكن الأصل إذا اطُّرح صار استعماله مكروهًا، وقد ذكر قطرب أنها لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد:

مــــاض إذا مــــا هَم بالمضي

قــــال لهــــا هل لك يا تا في

قــــالت له مــــا أنت بالمرضي

(١) إعراب القرآن ١/٥٩٦.

قال الزجاج: وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه ولا يعرف قائله[١].

فأنت ترى كيف وقف من هذه القراءة موقفًا وسطًا، فقد حللها وأتى بنظير لها، ثم انتهى من تحليلها إلى أن فيها بعدا من ناحية الاستعمال، لكنه لم يرفضها، ولم يهاجم قائلها، وإنما انتهى إلى أنها مقبولة على كل حال، ثم احتال للتدليل عليها بنص قطرب أنها لغة في بني يربوع.

وانظر إلى ما يقوله الزجاج مثلاً عنها: قرأ حمزة والأعمش (بمصرخيِّ) بكسر الياء. وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حركت إلى الفتح، تقول: هذا غلامي قد جاء، وذلك أن الاسم المضمر لما كان على حرف واحد وقد منع الإعراب حرك بأخف الحركات. ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء ساكن حركت إلى الفتح لاغير.. ومن أجاز (بمصرخيِّ) بالكسر لزمه أن يقول: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨][٢].

وأجاز الفراء – على وجه ضعيف – الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد:

قال لها هل لك ياتا في
قالت له ما أنت بالمرضي

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف[٣] قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتجُّ به في كتاب الله عز وجل..[٤].

(١) ورقة ٩١. وراجع مشكل إعراب القرآن ١ / ١٤٩.
(٢) وقد قرأها بالكسر الحسن وأبو عمرو بخلاف عنهما. راجع المحتسب ٢ / ٤٩ وما بعدها.
(٣) بل هو للأغلب العجلي. راجع معاني القرآن للفراء ٢ / ٧٦ والخزانة ٤ / ٤٣١.
(٤) أما هذه فلا أفهمها. لم لا يحتج بهذا وصاحبه شاعر راجز فصيح جاهلي إسلامي توفي في نهاوند، وقد كانت وفاته في سنة تسع عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ راجع طبقات ابن =

وانظر إلى الأخفش يهاجمها هو الآخر بقوله: هذه لحن، لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو(١).

وانظر إليه يقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٥]: قرأ الأعمش: وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءٌ وتصديةٌ. وهذا لا يجوز إلا في ضرورة شعر(٢).

هذا غاية ما وجدته من تعليق نقدي للتبريزي على بعض القراءات، وماعدا هذا كانت القراءة مقبولة، مع اهتمام بتوجيهها والكشف عن وجوهها.

وهناك قراءة لنافع هاجمها كل النحاة معربي القرآن الكريم، وهي قراءة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠]، فقد قرأها نافع (معائش) بالهمز.

يقول الأخفش تعليقًا عليها: الياء غير مهموزة، وقد همزها بعض القراء، وهو رديء، لأنها ليست بزائدة(٣).

ويقول أبو جعفر النحاس تعليقًا عليها: وقرأ الأعرج (معائش) بالهمز، وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع. قال أبو جعفر: والهمز لحن لا يجوز، لأن الواحد معيشة فزدت ألف الجمع وهي ساكنة والياء ساكنة فلابد من تحريك، إذ لا سبيل إلى الحذف، الألف لا تحرك، فحركت الياء بما كان يجب لها من الواحد(٤).

ويقول الأزهري: روى خارجة عن نافع (معائش) بالهمز، قال ابن مجاهد: هذا غلط، قال أبو منصور: الهمز في (معائش) لحن، لأن الياء فيها أصلية،

= سلام ٥٧١، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٦٢٦، والأغاني ٢١/٢٨-٣٥.

(١) معاني القرآن: ٢/٥٩٩.

(٢) ورقة ٦٤.

(٣) معاني القرآن ٢/٥١١.

(٤) إعراب القرآن ١/٦٠٠.

الواحدة معيشة، الهمز يكون فى الياء الزائدة لأنه لاحظ لها فى الحركة، وقد قربت من آخر الكلمة، ولزمتها الحركة، فأوجبوا فيها الهمز(١).

ويقول الزجاج: وأكثر القراء على ترك الهمز فى (معايش) وقد رووها عن نافع مهموزة. وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون فى هذه الياء إذا كانت زائدة، نحو صحيفة وصحائف. فأما معائش فمن العيش، الياء أصلية. وصحيفة من الصحف لأن الياء زائدة، وإنما همزت لأنه لاحظ لها في الحركة(٢)، حتى ابن مجاهد وهو - ليس نحويًا - بل من القراء، وكان عليه أن يدافع عنها، هاجمها هو الآخر يقول: كلهم قرأ (معايش) بغير همز، وروى خارجة عن نافع (معائش) ممدودة مهموزة، قال: أبو بكر: وهو غلط(٣).

بعد كل هذا الهجوم أنقل لك ما قاله التبريزى تعليقًا عليها: معايش جمع معيشة ووزنه «مفاعل» ووزن معيشة «مفعلة»، وأصله معيشة، ثم ألقيت حركة الياء على العين، والميم زائدة، لأنها من العيش ولا يحسن همزها، لأنها أصلية كان أصلها في الواحد الحركة، ولو كانت زائدة كان أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع.... وقد روى خارجة عن نافع همز (معائش) ومجازه أنه شبه الياء الأصلية بالزائدة، فأجراها مجراها. وفيه بعد، وكثير من النحويين لا يجيزه(٤).

تعدد التوجيه النحوى

القارئ لهذا الكتاب يلحظ اهتمام صاحبه بالجانب النحوى، ويرى شدة عنايته بإعراب القرآن الكريم. ولم يقف الأمر عند حد إعراب الآيات أو ذكر

(١) معانى القراءات ١ / ٤٠١.

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢ / ٣٢٠.

(٣) السبعة ٢٧٨.

(٤) ورقة ٣٦.

الأوجه النحوية الجائزة لإعراب كل آية، إنما كان معنيًا بصفة خاصة بالتوجيه النحوي.

وتكثر الأوجه النحوية الجائزة إعرابيًا في تفسيره؛ فهو يذكر في إعراب معظم الآيات كثيرًا من أوجه الإعراب، ثم يعلل لكل وجه، ويقبل ما يقبل ويرفض ما يرفض على هدى من ذلك.

فهو يقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٢]: في موضع (ليجمعنكم) قولان: الأول لا موضع له على تقدير استئناف القَسَم. الثاني موضعه نصب بدلا من الرحمة مفسرا لها، فيكون قد فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة.. الذين خسروا أنفسهم، قال الأخفش موضع الذين نصب على البدل من الضمير في ليجمعنكم[١] وهو بعيد، لأن المخاطب لا يبدل منه غير مخاطب[٢].

وقد تحدث أبو جعفر النحاس عن إعراب هذه الآية، فقال: قال الفراء: إن شئت كان هذا تمام الكلام، ثم استأنفت (ليجمعنكم). وإن شئت كان في موضع نصب[٣]. (الذين خسروا أنفسهم) قال الأخفش: إن شئت كان الذين في موضع نصب على البدل من الكاف والميم. وزعم أبو العباس أن هذا القول خطأ.. وقيل الذين نداء مفرد. وقيل قول ثالث وهو أجودها: يكون «الذين» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: «فهم لا يؤمنون»[٤].

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام: ٢٠] الذين آتيناهم

(١) معاني القرآن ٢ / ٤٨٢.

(٢) ورقة ٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٢٨.

(٤) إعراب القرآن ١ / ٥٣٨ والوجه الذي جوده هو رأي الزجاج. راجع معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٨٢.

مبتدأ، خبره يعرفونه، والذين خسروا، رفع على إضمار مبتدأ، أى هم الذين خسروا، ويجوز أن يكون على الابتداء وخبره «فهم لا يؤمنون»، ويجوز أن يكون صفة للذين آتيناهم[١] فقد ذكر – كما رأينا – ثلاثة أوجه إعرابية، فإذا رجعنا إلى مكيّ بن أبى طالب مثلا وجدناه يذكر وجهًا واحدًا[٢]، فى حين ذكر الزجاج وجهين[٣]. ولم يرد عند النحاس أى شىء عن الآية، وكذلك لم يرد عند الأخفش ولا الفراء.

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص: ثم لم تكن بالتاء، فتنتُهم بالرفع. وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر: ثم لم تكن بالتاء، فتنتهم نصبا. وقرأ حمزة والكسائى: «يكن» بالياء، فتنتهم نصبا. فمن رفع جعلها اسم «يكن»، والخبر «أن قالوا»، والتقدير: ثم لم يكن فتنتهُم إلا قولهم. ومن نصبها جعلها الخبر، وجعل أن وصلتها الاسم، والتقدير: ثم لم تكن فتنتهم إلا قولُهم، واختير ذلك لأن ما بعد الإيجاب معرفة فهو أحق بأن يكون الاسم.

ومن قرأ بالياء فلأن «أن» مع صلتها فى معنى المصدر، وهو مذكر فاقتضى تذكير الفعل. ومن قرأ بالتاء فلأن القول هو الفتنة، وقد اتصلت الفتنة بالفعل ومثلها قوله:

فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هى عردت أقدامها

ويجوز أن يكون تأويل أن قالوا مقالتهم، فيكون التأنيث على ذلك[٤]. وعن هذه الآية أيضا يقول:

---

(١) ورقة ٧.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٦٠.

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢ / ٢٣٥.

(٤) ورقة ٨.

قرأ حمزة والكسائي: والله ربِّنا، بالنصب، وقرأ الباقون بالجر. فمن قرأ بالنصب فعلى معنى الدعاء كأنهم قالوا: والله ياربنا. ويجوز نصبه على المدح. والمعنى: تذكُر ربَّنا ونعني ربنا.

ومن قرأ بالجر فعلى النعت والثناء.. واختير ذلك لأنه إذا نصب مثله في الكلام توهم السامع أن الثانيَ غير الأول(١).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قرأ نافع «أنه من عمل» الهمزة، «فإنه» بكسرها.

وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزتين، وقرأ الباقون بكسرهما جميعًا.

فمن فتح الأولى وكسر الثانية فالأولى منصوبة بـ كتب، والفاء داخلة جوابا للشرط، و«إن» بعدها مكسورة لأن مابعد الفاء في الجزاء يكون مستأنفا ومن فتحهما فالأولى منصوبة بكتب، والثانية معطوفة على الأولى ومؤكدة لها. ومن كسرهما فعلى مذهب الحكاية، أي: قال إنه «والفاء» جواب الشرط. وفيها مذهب آخر وهو أن يتم الكلام على الرحمة، ثم يبتدئ إنه من عمل بالكسر على الاستئناف(٢).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام: ٧٣]: في انتصاب يوم غير وجه، يجوز أن يكون على وله الملك يوم ينفخ في الصور كما قال: لمن الملك اليوم.

(١) ورقة ٨.

(٢) ورقة ١٣ وقارن هذه الوجوه بما ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٥٣، وراجع إعراب القرآن للنحاس ١/ ٥٥٠. أما الأخفش فاكتفى بقوله: (أنه) بدل من قوله (الرحمة) وقوله (فإنه) على الابتداء، أي فله المغفرة والرحمة. معاني القرآن ٢/ ٤٩٠.

ويجوز أن يكون بدلا من قوله: (ويوم يقول كن فيكون) . ويجوز أن يكون على قوله الحق يوم ينفخ في الصور[1] . (عالم) نعت للذى أو رفع على إضمار مبتدأ، أى هو عالم . ويجوز رفعه حملاً على المعنى، أى ينفخ فيه عالم[2]، كأنه لما قال ينفخ فى الصور قيل: من ينفخ فيه؟ فقيل: ينفخ فيه عالم الغيب[3] .

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إنها) بكسر الهمزة، وقرأ الباقون (أنها) بفتح الهمزة . فمن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف، ويكون الكلام قد تم على قوله: ﴿ وما يشعركم ﴾، ثم قطع بأنهم لا يؤمنون[4] .

وأما من قرأ بالفتح فعلى أن معناها لعلها إذا جاءت . قال الخليل هو كقولك: ائت السوق إنك تشترى شيئا . أى لعلك[5] و« ما » استفهامية فى موضع رفع بالابتداء، وفى « يشعركم » ضمير الفاعل يعود على ما، والمعنى: وأى شىء يدريكم إيمانهم إذا جاءتهم الآية لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون؟

ففى الكلام حذف دل عليه مابعده والمحذوف هو المفعول الثانى ليشعركم . ولو جعلت « إن » على بابها لكان ذلك عذرا لهم، لأنه إذا قال القائل: إن زيدا لا يؤمن فقلت: ما يدريك أنه لا يؤمن؟ فالمعنى أنه يؤمن[6] .

---

(١) قارن هذا بما عند الزجاج ٢ / ٢٦٤ والنحاس ١ / ٥٥٧ .

(٢) قارن هذا بما عند مكى فى المشكل ١ / ٢٧٢ .

(٣) ورقة ١٧ .

(٤) وهذا رأى الفراء أيضا . راجع معانى القرآن ١ / ٣٥٠ .

(٥) قارن هذا بما ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٨٢ والنحاس في إعراب القرآن ١ / ٥٧٣ ومكى فى المشكل ١ / ٢٨٣ والكشف ١ / ٤٤٥ .

(٦) يقول سيبويه في الكتاب ٣ / ٢٢٣ : وسألته عن قوله عز وجل: (وما يشعركم أنها إذا جاءت =

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١، ٢]: ذكرى: مصدر فيه ألف التأنيث في موضع رفع على العطف على كتاب وإن شئت على إضمار مبتدأ ويجوز أن يكون في موضع نصب على المصدر أو على أن تعطفها على موضع الهاء في به.

وقيل ذكرى في موضع خفض عطفًا على «لتنذر»(١)، لأن معناه الإنذار فعطف على المعنى أي لأن تنذر ولأن تذكر(٢).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٩]: قرأ ابن عامر «أنهم» بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. فمن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف، ومن قرأ بالفتح فعلى أن المعنى: لأنهم لا يعجزون. وفيه وجه آخر، وهو أن يكون (لا) لغوا والمعنى: ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون. وتكون «أن» بدلا من سبقوا، والأول أصح، لأن (لا) لا تكون لغوًا في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغو(٣).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

يحيّى فيها سلام، ابتداء وخبر، والهاء والميم يحتمل أن يكونا في تأويل

= لا يؤمنون) ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في هذا الموضع، إنما قال: وما يشعركم، ثم ابتدأ فأوجب فقال: أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ولو قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، كان ذلك عذرا لهم. وأهل المدينة يقولون (أنها). فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب ائت السوق إنك تشتري لنا شيئا. أي لعلك. فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون.

(١) راجع إعراب القرآن للنحاس ١ / ٥٩٩، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٣٠٣.

(٢) ورقة ٣٥.

(٣) ورقة ٦٦. ولم يذكر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٢٢ والنحاس في إعراب القرآن ١ / ٦٨٣ سوى الرأي الأخير.

فاعل، أى يحيى فيها بعضهم بعضًا بالسلام، ويحتمل أن يكونا فى تأويل مفعول لم يسم فاعله، أى يُحيون بالسلام، على معنى تحييهم الملائكة بالسلام، والجملة فى موضع نصب على الحال من «الذين»، وهى حال مقدرة، أو حال من المضمر فى ﴿خالدين﴾ ولا يكون حالا مقدرة. ويجوز أن يكون فى موضع نصب على النعت لجنات، مثل ﴿تجرى من تحتها﴾ فأما ﴿خالدين﴾ فيها فيحتمل أن يكون حالا من الذين، حالاً مقدرة، ويحتمل أن يكون نعتا لجنات أيضا ويلزم إظهار الضمير فيقول: خالدين هم فيها وإنما ظهر لأنه جرى نعتا لغير من هو له، وحسن كل ذلك لأن فيه ضميرين، ضميرا للجنات، وضميراً للذين... ونصب جنات أتى على حذف حرف الجر وهو نادر لا يقاس عليه(١).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]: قرأ ابن عامر وأبو بكر (نُجّى) بنون واحدة وتشديد الجيم. وقرأ الباقون (ننجى) بنونين وتخفيف الجيم.

فمن قرأ بنون واحدة فلأنها فى المصحف كذلك ولها وجهان؛ أحدهما: أنه يريد (ننجى) بنونين، ثم يحذف إحدى النونين(٢).

والآخر: أنه يريد نُجى النجاء المؤمنين، ثم يحذف النجاء ويرسل الياء(٣).

---

(١) ورقة ٩٢.

(٢) رفض النحاس في إعراب القرآن ٢ / ٣٨٠ هذه القراءة، ونقل كلاما للزجاج في نقدها، ثم قال ولم اسمع في هذا بأحسن من شيء سمعته من على بن سليمان قال: الأصل ننجى، فحذف إحدى النونين لاجتماعهما! هـ. وإلى هذا ذهب ابن جنى، حيث يقول فى الخصائص ١ / ٣٩٨.. هى عندنا على حذف إحدى النونين كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قول الله سبحانه (تذكرون) أى تتذكرون، ويشهد له أيضا سكون لام (نجى) ولو كان ماضيا لانفتحت اللام إلا في الضرورة، وعليه قول المثقب العبدى:

لمن ظعن تطالع من ضبيب   فما خرجت من الوادى لحين

(٣) قال الفراء في معانى القرآن ٢ / ٢١٠: قرأ عاصم فى ما أعلم (نجى) بنون واحدة ونصب المؤمنين؛ كأنه احتمل اللحن، ولا يعلم لها جهة إلا تلك لأن ما لم يسم فاعله إذا خلا باسم رفعه إلا أن =

ومن قرأ بنونين قال: النون الثانية تخفى عند الجيم، فلما خفيت لفظا خذلوها خطًا، وأختار هذه القراءة لأن ما لم يسم فاعله إذا خلا باسم رفعه وكان يجب أن يرفع (المؤمنين)، على القراءة الأولى، لأنه مفعول لم يسم فاعله، لكنه أتى على إضمار المصدر أقامه مُقام الفاعل وهو بعيد، لأن المفعول أولى أن يقام مُقام الفاعل وإنما يقوم المصدر مقام الفاعل عند عدم المفعول به أو عند اشتغال المفعول به بحرف الجر، نحو: قيم وسير بزيد – وحذف النون فى (ننجى) ضعيف، لأن المثلين فى مثل هذه الأشياء لا يحذف الثانى استخفافا إلا إذا اتفقت حركة المثلين نحو: تتعرفون وتتعاونون، فإن اختلفت لم يجز حذف الثانى نحو: تُتغافر الذنوب وتتناغ الدواب، والنونان فى (ننجى) قد اختلفت حركتهما فلا يجوز حذف إحدهما[1].

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (سيناء)، بكسر السين، والباقون بفتحها.

= يكون أضمر المصدر فى (نجى) فقوى به الرفع ونصب (المؤمنين)، فيكون كقولك: ضرب الضرب زيداً. اهـ. وقد رفض الزجاج هذا التوجيه أيضا، وقال عنه: إنه خطأ بإجماع النحويين، لا يجوز ضرب زيد، تريد ضرب الضرب زيدا، لأنك إذا قلت: ضرب زيد، فقد علم أنه الذى ضربه ضرب فلا فائدة في إضماره، راجع معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣ - ٤.

(١) ورقة ١٤٦. وقد تعرض مكي في الكشف ٢ / ١١٣ لهذه القراءة ورفضها ورفض كل التأويلات التى قدمت لها، حيث يقول: حجة من قرأ بنون واحدة أنه بنى الفعل للمفعول فأضمر المصدر ليقوم مقام الفاعل، وفيه بعد من وجهين: أحدهما: أن الأصل أن يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر، فكان يجب رفع (المؤمنين) وذلك مخالف للخط. والوجه الثانى: أنه كان يجب أن تفتح الياء في (نجى) لأنه فعل ماض كما يقول: رَمِى وكلم، فاسكن الياء وحقها الفتح. فهذا الوجه بعيد في الجواز. وقيل: إن هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم، هذا أيضا بعيد؛ لأن الرواية بتشديد الجيم، والإخفاء لا يكون معه تشديد. وقيل أدغم النون في الجيم، وهذا أيضا لا نظير له؛ لا تدغم النون فى الجيم من شيء من كلام العرب، لبعد ما بينهما، وإنما تعلق من قرأ هذه القراءة أن هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة. فهذه القراءة إذا قرئت بتشديد الجيم وضم النون وإسكان الياء غير متمكنة فى العربية.

فمن قرأ بالكسر اعتبر بقوله ﴿ وطور سينين ﴾ ولم يصرف على أنه اسم للبقعة. ومن قرأ بالفتح فهو على وزن صحراء فلا ينصرف. وأختار ذلك لما روى عن الفراء أنه قال: لا يكون فعلاء ممدودة مدخولة على غيرصحة، وإذا آثرت العرب أن تترك فعلاء على كسرها زادو عليها ياء قبل المد مثل الكبرياء.

فمن فتح السين من سيناء جعله كحمراء فلم يصرف لهمزة التأنيث والصفة(١) وقيل: لهمزة التأنيث وللزومها(٢) ولا يصلح أن يكون وزنه (فعلالا)(٣) لان (فعلالا) لم يأت اسما فيكون هذا ملحقا به، إنما (فعلال) فى المصادر خاصة كالزلزال... وأما من كسر السين فإنه جعله ملحقًا بسرداح كعلباء(٤).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** ﴾ [النحل: ٩٢]: هى مبتدأ، و« أربى » فى موضع رفع خبر، والجملة خبر، وأجاز الكوفيون أن يكون (هى) فاصلة لا موضع لها من الإعراب و(أربى) فى موضع نصب خبر كان(٥).

---

(١) هذا رأى مكى. راجع الكشف ٢ / ٢٦١.

(٢) إلى هذا ذهب النحاس. راجع إعراب القرآن ٢ / ٤١٧.

(٣) يقصد بهذا رأيا للنحاس، حيث يقول في إعراب القرآن ٢ / ٤١٧: من قرأ سيناء بكسر السين جعله (فعلا لا) ومنعه من الصرف على أنه للبقعة.

(٤) ورقة ١٥٥. وإلى هذا الرأى الأخير ذهب مكى في الكشف ٢ / ٢٦١، حيث يقول: إنما يأتى هذا المثال في الأسماء الملحقة بسرداح، نحو: علباء وحرباء، الهمزة في هذا بدل من ياء لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة، دليله قولهم: (درحاية) لما بنوه للتأنيث صارت الياء غير متطرفة فلم تقلب همزة. فالهمزة في (سيناء) في قراءة من كسر السين بدل من ياء وإنما لم ينصرف لأنه معرفة اسم للبقعة، فلم ينصرف للتعريف والتأنيث.. والكسر أحب إليّ لاجتماع الحرميين وأبي عمرو عليه.

(٥) إلى هذا ذهب الفراء حيث يقول في معاني القرآن ٢ / ١١٣: موضع « أربى » نصب وإن شئت رفعت =

وهو قياس قول البصريين لأنهم أجازوا أن «هى» و«هو» و«أنت» و«أنا» وشبه ذلك فواصل لا موضع لها من الإعراب مع كل وإن والظن وأخواتهن إذا كان بعدهن معرفة أو ما قرب من المعرفة و(أربى من أمة) هو ما يقرب من المعرفة للازمة (من) لأفعل ولطول الاسم، ولأن (من) وما بعدها من تمام «أفعل».

إنما فرق البصريون فى هذه ولم يجيزوا أن تكون (هى) فاصلة لأن اسم كان نكرة، فلو كان معرفة لحسن وجاز(1).

وقول تعليقًا على قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾ [طه: ٧٧].

قرأ حمزة (لا تخف) محذوفه الألف الساكنة الفاء، والباقون بالألف وضم الفاء.

فمن قرأ بالجزم فعلى الجزاء، ورفع (ولا تخشى) على الاستئناف، كما قال: ﴿ **يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١١].

ولو نوى بقوله: (ولا ستخشى) الجزم كان صوابًا، وإن كانت معه الياء، كما قال الشاعر:

هزى إليك الجـــذع يجنك الجنا

= كما تقول: ما أظن رجلا يكون هو أفضل منك وأفضل منك. النصب على العماد والرفع على أن تجعل «هو» اسما، ومثله قوله عز وجل (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) نصب ولو كان رفعا كان صوابا.

(١) ورقة ١٠٥. وقد رفض هذا التخريج النحاس. راجع إعراب القرآن ٢ / ٢٢٢.

ويكون إثبات الألف لأنه رأس آية فيشاكل بذلك رؤوس الآيات قبلها، كما حذفت الياء من ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر : ٤] لمثل ذلك(١).

ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف، أى لست تخاف دركًا، ويكون على الحال كقولك : غير خائف ولا خاش، كما قال ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر : ٦]، أى مستكثرًا(٢).

ويقول تعليقًا على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٧].

---

(١) هذا توجيه الفراء، وهذا هو رأيه، يقول في معانى القرآن ٢ / ١٨٧ : قرأ حمزة : (لا تخف دركا) فجزم على الجزاء، ورفع (ولا تخشى) على الاستئناف كما قال : (يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) فاستأنف « ثم » فهذا مثله . ولو نوى حمزة بقوله : (ولا تخشى) الجزم وإن كانت فيه الياء كان صوابا كما قال الشاعر :

قال لها من تحتها وما استوى
هزى إليك الجذع يجنك الجنى

ولم يقل : يجنيك الجنى . وقال الآخر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى　　بما لاقت لبون بنى زياد

فأثبت الياء في « يأتيك » وهي في موضع جزم لسكونها .
وتعرض لها مرة أخرى في ١ / ١٦١ وقال : رآها ساكنة فتركها على سكونها كما تفعل بسائر الحروف .
وقد تعقبه النحاس، ورفض هذا التخريج فقال في إعراب القرآن ٢ / ٣٥١ : التقدير الذى لا يجوز غيره أن يكون مقطوعا من الأول مثل (يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) التقدير الآخر الذى ذكره الفراء .. من أقبح الغلط، لا يحمل كتاب الله عز وجل على شذوذ من الشعر، وأيضًا فإن الذى جاء به من الشعر لا يشبه الآية شيئا لأن الواو والياء مخالفتان للألف لأنهما متحركتان والألف لا تتحرك، فللشاعر أن يقدرهما متحركتين ثم يحذف الحركة للجزم . وهذا محال للألف .

(٢) ورقة ١٣٧ .

موضع (من) رفع بالابتداء وهى استفهام ، و(يضل عن سبيله) الخبر[1] وقيل (من) فى موضع نصب بفعل دل عليه أعلم وتقديره: وهو أعلم يعلم من يضل عن سبيله[2] ويبعد أن تنصب (من) بـ(أعلم) لعده[3] من مضارعة الفعل، والمعانى لا تعمل فى المفعولات كما تعمل فى الظروف[4] .

اجتهاده

وتعنى بهذا أن هناك آيات أعربها التبريزى اجتهادا، لم يقل بإعرابها من سبقه من معربى القرآن الكريم .

فهويقول مثلا تعليقا على قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ** ﴾ [الأنعام:٦] . قيل: مكناهم أى مكنا لهم، ولكن العرب قدتحذف مثل هذه الحروف كقوله: (فأين تذهبون) أى فإلى أين تذهبون[5] .

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الأنعام:١٥] .

فى موضع (إن) من الإعراب قولان: أحدهما: لا موضع له، لأنه اعتراض بكلام تام كالاعتراض بالأقسام، والآخر موضعه نصب، لأنه فى موضع الحال، كأنه قال: إنى أخاف عاصيا ربى عذاب يوم عظيم[6] .

---

(١) هذا رأى الكسائى والزجاج والمبرد، وإليه ذهب الفراء، راجع معانى القرآن وإعرابه ٢ / ٢٨٦، ومعانى القرآن / ٣٥٢، والبحر ٤ / ٢١٠ .

(٢) هذا رأى الفارسى، يقول فى كتابه الحجة ١ / ١٩ : من يضل معمول فعل مضمر دل عليه أعلم، ولا يجوز أن يكون معمول أعلم، لأن المعانى لا تعمل فى مواضع الاستفهام ونحوه .

(٣) ينسب هذا الرأى للكوفيين، راجع البحر ٤ / ٢١٠

(٤) ورقة ٢٥ . وراجع مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٨٥ .

(٥) ورقة ٤ وهذا الكلام لا ذكر له فى كتب إعراب القرآن التى سبقته فلم يذكره الزجاج ولا النحاس ولا الأزهرى ولا الأخفش ولا الفراء ولا مكى .

(٦) ورقة ٦ . وهذا كسابقه لم يتعرض له أحد من السابقين .

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الانعام:٢٨]. وجاز ولو ترى وإن كانت لو انما هى للماضى لأنه لتحقق الأمر فيه كأنه قدوقع ووضع «إذ» موضع «إذا» لذلك أيضا(١).

ويقول تعليقا على قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الانعام: ٤٠]: قرأ نافع «أرأيتكم» بألف بعد الراء، يشير إلى حركتها كأن يذوقها الهمزة.

وقرأ الكسائى بترك الهمزة بعد الراء، وقرأ الباقون جميع ذلك بالهمز.

فمن همزها فلأن الأصل فيها «رأيت» بالهمزة ثم دخلت عليها همزة الاستفهام فأُقرت على ما كانت عليه من تحقق الهمز بعد الراء.

ومن ترك الهمزة وعوض منها فلأنه كره أن يجمع بين همزتين، همزة الاستفهام والهمزة الأصلية التى هى عين الفعل، فليّن الثانية تخفيفاً.

ومن تركها الى غير عوض فلأنهم أجمعوا على تركها فى المستقبل فبنى المضارع عند نقله بزيادة الهمزة فى أوله على ذلك(٢).

---

(١) ورقة ٨، وهذا التحليل كسابقيه لم يتعرض له احد ممن ذكرنا قبلا ولم اجد له اى إشارة إلا فى البحر المحيط ٤ / ١٠١، حيث يقول: وقيل: ترى باقية على الاستقبال وإذ معناه إذا فهو ظرف مستقبل فتكون «لو» هنا استعملت استعمال إن الشرطية. والجأ من ذهب إلى هذا أن هذا الامر لم يقع بعد. ولم يقل من الذى ذهب إلى هذا ... وثانى من وجدناه أشار إلى هذا السمين الحلبى حيث يقول: وفى لو هذه وجهان أحدهما: أنها الامتناعية فينصرف المضارع بعدها للمضى فإذ باقية على اصلها من دلالتها على الزمن الماضى وهذا وإن كان لم يقع بعد لانه سيأتى يوم القيامة إلا انه ابرز فى صورة الماضى لتحقق الوعد. الثانى انها بمعنى إن الشرطية وإذ هنا تكون بمعنى إذا. والذى حمل هذا القائل على ذلك كونه لم يقع بعد. إعراب سورة الانعام ٢ / ٢٠٧. ولم يقل هو الآخر من القائل.

(٢) ورقة ١١، وهذا التحليل الرائع والدفاع عن القراءات جميعها لا تجده عند غيره فلم يتعرض لها احد من سابقيه سوى النحاس والأزهرى. أما النحاس فيقول: قرا نافع بتخفيف الهمزتين يلقى حركة الأولى على ما قبلها، ويأتى بالثانية بين بين، وحكى أبوعبيد انه يسقط الهمزة ويعوض منها الفا، وهذا عند أهل اللغة غلط عليه لان الياء ساكنة والالف ساكنة ولا يجتمع ساكنان. وقرا عيسى بن =

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]. قرأ أهل الكوفة(١) «درجات» بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

فمن قرأ بالتنوين فعلى: نرفع من نشاء درجات، وتكون (من) في موضع نصب وشاهدة ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن قرأ بغير تنوين فهو كقولك: نرفع أعمال من نشاء، ويكون في موضع جر وشاهده، ما روى في الدعاء للميت: اللهم ارفع درجته. ولم يقل: ارفعه درجة(٢).

ومن ذلك أيضا تعليقه على قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام: ٩٦].

= عمر والكسائي: قل أريتكم بحذف الهمزة الثانيةوهذا بعيد في العربية، إنما يجوز في الشعر. إعراب القرآن ١/٥٤٧، وهكذا نراه رفض القراءتين وعابهما. أما الأزهري فقد تعرض لهما في كتابه «معاني القراءات» ١/٣٥٣ يقول: قرأ نافع بالف في تقدير الهمز ولا يهمز. وقرأ الكسائي بغير ألف وبغير همز، وقرأ الباقون بالهمز في هذا كله قال أبومنصور: من قرأ أرايتكم وارايتم بالهمز، فعلى أن أصل الحرف مهموز. ومن قرأ أرايتم فعلى تخفيف الهمز ومن قرأ أريتكم وأريتم فعلى حذف الهمز وكلها لغات صحيحة. كذا فقط كلها لغات صحيحة، والنحاس عابها جميعاً.

(١) هم عاصم وحمزة والكسائي.

(٢) ورقة ١٩ ولم يرد عندالزجاج ولا الأخفش ولا الفراء أي شيء عن هذا، أما النحاس فقدقال في إعراب القرآن ١/٥٦٦: قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو (نرفع درجات من نشاء) بالإضافة. وقرأ أهل الكوفة (نرفع درجات) بالتنوين بتقدير نرفع من نشاء إلى درجات ثم حذفت إلى. هذا ماقاله النحاس ونقله عنه مكي في المشكل ١/٢٧٤ أما في الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٣٧ فيقول مكي: حجة من نوّن انه أوقع الفعل على (من) لأنه المرفوع في الحقيقة، ليست الدرجات هي المرفوعة المقصود إليها بالرفع إنما المرفوع صاحبها.

وإلى مثل هذا ذهب الأزهري في معاني القراءات ١/٣٦٨: من قرأ (درجات من نشاء) أوقع الفعل على درجات وحدها وهي في موضع وهي النصب، وجعل من في موضع الخفض، بإضافة درجات إليها. ومن قرأ (درجات من نشاء) جعل نرفع متعديا إلى مفعولين أحدهما (درجات) والثاني (من).

قرأ أهل الكوفة (وجعل) بفتح العين من غير ألف، (الليل سكنا) بالنصب، وقرأ الباقون (وجاعل) بكسر العين وألف قبلها، (الليل) بالجر.

فمن قرأ (وجعل) على الفعل فلأنهم أجمعوا على قراءة قوله: (والشمس والقمر) بالنصب، فكان الأظهر أن يعطفا على منصوب مثلهما في اللفظ.

ومن قرأ(وجاعل) على فاعل فإنه أجراه على لفظ ما تقدمه وهو قوله (فالق الإصباح) ونصب الشمس والقمر على تأويل (وجعل) لأن في جاعل معنى جعل، ومثله ﴿ **إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ** ﴾ [العنكبوت: ٣٣] وسكنا منصوب على القراءة الأولى لأنه مفعول ثان، وعلى القراءة الثانية محمول على تأويل جعل(١).

ومن ذلك أيضا تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [الأنعام: ٩٦]. قرأ ابن كثيروحفص (رسالته) على التوحيد ، والباقون على الجمع.

فمن قرأ بهذه القراءة فلمجيء ذكر الرسل قبله، ومن قرأ بالقراءة الأخرى فلأن المقصود رسالة نبينا عليه السلام، مع أن لفظ الواحد قد يجتزأ به عن الجميع(٢).

هذا التحليل الذى انتهى إليه، وتوجيه قراءة الإفراد والجمع، وانتهاؤه إلى أن

(١) ورقة ٢١، ولم يتعرض كل من الأخفش والزجاج، ومكي لهذه الآية، أما الفراء فقد اكتفى بقوله (جاعل الليل سكنا والشمس والقمر)، الليل في موضع نصب في المعنى فرد الشمس والقمر على معناه. معاني القرآن ١ /٣٤٦.
أما النحاس فقد تعرض لها هو الآخر بقوله: قرأ الحسن وعيسى بن عمر وحمزة والكسائي (وجعل الشمس سكنا) وقرأ أهل المدينة (وجاعل الليل سكنا) كذا فقط. إعراب القرآن ١ /٥٦٧، في حين قال الأزهري في معاني القراءات ١ /٣٧٢: قرأ الكوفيون (وجعل الليل سكنا) نصبا وقرأ الباقون (وجاعل الليل سكنا) بالخفض. فمن قرأ: (وجعل الليل) نصبه بالفعل لأنه مفعول به ونصب (سكناً) لأنه مفعول ثان. ومن قرأ (وجاعل الليل) خفض الليل بالإضافة إليه. وأما انتصاب قوله: (والشمس والقمر حسبانا) على قراءة من قرأ (وجاعل الليل) فلأن معناه (وجاعل الليل) وكذلك نصب سكنا.

(٢) ورقة ٢٦.

لفظ الواحد يغني عن الجمع، لا ذكر له عند كل من سبقه من المعربين، ولم يتعرض لها احد إلا مكي في «الكشف عن وجوه القراءات»، فقد قال: الاختيار الجمع لأن عليه أكثر القراء، ولأنه أول على المعنى لكثرة رسائل الله جل ذكره[١].

وأوضح إذًا أن هذا غير ذلك.

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ [الأنعام: ١٦٥] في نصب (درجات) ثلاثة أقوال: الأول أن تقع موقع المصدر كأنه قيل: رفعه فوق رفعة. الثاني أن يراد إلى درجات، فتحذف كما تحذف من دخلت البيت. الثالث أن تكون مفعولا به من قولك: ارتفع درجة ورفعته درجة مثل: اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا[٢].

ومن ذلك أيضا تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** ﴾ [الأعراف: ١٤٢]: نصب (أربعين) يجوز أن يكون على المفعول به، على أن تجعل الميقات في موضع التوقيت كما قال:

وبعد عطائك المائة الرتاعا

ويجوز أن يكون على الظرف أو في موضع الحال، كأنه قال: فتم ميقات ربه معدودًا أربعين[٣].

ومن ذلك أيضا تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ**

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٤٩.

(٢) ورقة ٣٤، ولم يرد في معاني القرآن للزجاج ولا النحاس ولا الأزهري ولا الأخفش ولا مكي في الكشف والمشكل أي شيء عن ذلك.

(٣) ورقة ٥١ ولم يرد شيء من هذا المعنى في معاني القرآن للزجاج ولا الأزهري ولا الأخفش ولا الفراء، ولم يرد كذلك في إعراب القرآن للنحاس، وتعرض لها مكي في المشكل ١/٣٣٠ ولم يذكر سوى وجه واحد وهو الحالية.

المُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]: قرأ ابن كثير بإثبات الياء، والباقون بحذفها.

فمن قرأ بالياء فلان مجازه أنه جعل «من» بمعنى «الذى» فرفع (يتقى) لأنه صلة (لمن) وعطف (ويصبر) على معنى الكلام، لأن (من) وإن كانت بمعنى الذى ففيها معنى الشرط. ولذلك تدخل الفاء فى خبرها فى أكثر المواضع. فلما كان فيها معنى الشرط عطف و«يصبر» على ذلك المعنى فجزمه. كما قال: ﴿ **فأصدق وأكن** ﴾ [المنافقون: ١٠]، حملاً على معنى «فاصدق» لأنه بمعنى «أصدق» مجزوما لأنه جواب التمنى.

وقد قيل: إن (من) فى هذه القراءة للشرط والضمة مقدرة فى الياء من(يتقى) حذفه للجزم كما قال:

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بنى زياد

وفى هذا ضعف لأن أكثر ما يجيء هذا التقدير فى الشعر. ومن قرأ بغير ياء وهو الاختيار، فلان اللغة المعروفة حذف الياء فى مثل ذلك وبه نزل القرآن. قال: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا** ﴾ [طه: ٧٤] فى نظائر كثيرة(١).

ومن ذلك أيضا تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [إبراهيم: ٤٠]: قرأ أبوعمرو وحمزة (وتقبل دعاء) فى الوقف والوصل.

وقرأ الباقون بغير ياء فيهما فى الوصل والوقف.

فمن قرأ بغير ياء فلاتباع المصحف،ولأن قوله (دعاء) رأس آية ورءوس الآى فواصل ومواضع قطع فاختير الوقف عليها. وإذا وصلت فهو وصل فى نية وقف.

ومن قرأ بالياء فعلى الأصل، ولأن الياء فى (دعائى) جاءت بعد همزة وهى

(١) ورقة ٨٣، وهذا كسابقه لم يردعند الزجاج ولا النحاس ولا الأخفش ولا الفراء ولا مكى أى شيء عنه.

لا ينطق بها اللسان فيظهر كسرتها ظهورا تاما فاستوثق بإثبات الياء خوفا من خفاء الكسرة الدالة عليها(١).

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]: (نحن) في موضع نصب على التأكيد لاسم إن ويجوز أن يكون في مضوع رفع بالابتداء و«نزلنا» الخبر والجملة خبر إن ولا يجوز أن تكون فاصلة لا موضع لها من الإعراب(٢)، لأن الذى بعدها ليس بمعرفة ولا ما قارب المعرفة بل هو مما يقوم مقام النكرة إذ هو جملة والجمل تكون نعتا للنكرات فحكمها حكم النكرات(٣).

ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قرأ ابن كثير (يصعد) بإسكان الصاد. وقرأ أبوبكر (يصّاعد) بتشديد الصاد وألف بعدها. والباقون (يصّعد) بتشديد الصاد من غير الف بعدها.

فمن قرأ (يصعد) بالتخفيف فهو من صعد يصعد. ومن قرأ (يصاعد) أو (يصّعد) بالتشديد فاصله يتصاعد ويتصعد ولكن التاء ادغمت في الصاد لقربها منها، والاختيار (يصّعد) لانها في قراءة ابن مسعود (كانما يصّعد)(٤). فانت ترى كيف وجه القراءات الثلاث وكيف احتال لكل منها، ثم فضل قراءة

(١) ورقة ٩٤، ولم يرد عند الاخفش ولا مكي ولا الفراء ولا النحاس شيء عنها، وتعرض لها الزجاج في المعاني ٣ / ١٦٥ فقال: القراءة بغير ياء في (دعاء) إذا وقفت فإذا وصلت فانت بالخيار، إن شئت قلت (دعاء) بغير ياء، وكانت الكسرة في الهمزة تنوب عن الياء والاجود إثبات الياء. وإن شئت اسكنتها وإن شئت فتحتها. كذا فقط.

(٢) يرد بهذا على النحاس فهو الوحيد الذى ذهب إلى هذا حيث قال في إعراب القرآن ٢ / ١٩١ (نحن) في موضع نصب... ويجوز ان تكون لا موضع لها تكون فاصلة. اما باقي المعربين فلم يتعرض لها احد منهم: الزجاج ،الأخفش، الفراء، مكي.

(٣) ورقة ٩٥.

(٤) ورقة ٢٧.

لأنها توافق قراءة ابن مسعود . وهذا هو المهم فقد اختار قراءة وأيدها بقراءة شاذة . . ولم يرد هذا التأييد عند أحد من سابقيه فلم يتعرض لها الزجاج ولا الأزهرى ولا الأخفش ولا الفراء ولا النحاس ولا مكى فى الكشف أو المشكل .

وربما كان داخلا فى هذا ما وجدته عنده من شرح واستعاضة فى ذكر القراءات المتعددة الواردة فى الآية وذكر صاحب كل قراءة بوضوح شديد وتنسيق كامل لا نجدهما عند بعض سابقين . أضرب لذلك مثلا تعليقه على قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣]

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص : (ثم لم تكن) بالتاء ، (فتنتهم) بالرفع .

وقرأ نافع وأبوعمرو وأبوبكر (تكن) بالتاء ، (فتنتهم) نصبا .

وقرأ حمزة والكسائى (يكن) بالياء ، (فتنتهم) نصبا .

بعد هذا الوضوح والتنسيق الكاملين وذكر كل قراءة وضبطها بالشكل ، يبدأ فى توجيه كل فيقول :

فمن رفع جعلها اسم يكن والخبر (أن قالوا) ، والتقدير : ثم لم يكن فتنتهم إلا قولهم .

ومن نصبها جعلها الخبر وجعل أن وصلتها الاسم ، والتقدير : ثم لم تكن فتنتهم لها قولهم . واختير ذلك لأن ما بعد الإيجاب معرفة فهو أحق بأن يكون الاسم .

ومن قرأ بالياء فلأن « أن » مع صلتها فى معنى المصدر وهو مذكر فاقتضى تذكير الفعل .

ومن قرأ بالتاء فلأن القول هو الفتنة ، وقد اتصلت الفتنة بالفعل ، ومثله قوله :

فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هى عردت أقدامها

ويجوز أن يكون تأويل « أن قالوا » مقالتهم فيكون التأنيث على ذلك(١).

أرأيت كيف وجه كل قراءة من ناحية الإعراب نصبا ورفعا؟

ثم كيف وجه مرة أخرى قراءة من قرأ بالياء ومن قرأ بالتاء. فإذا ما ذهبنا إلى سابقيه نجد أن الأخفش والفراء لم يتعرضا لها.

أما الزجاج(٢) فلم يذكر القراءات فيها وإنما قال: إن شئت نصبت (فتنتهم) على خبر يكن ويكون (أن قالوا) هو الاسم.. ويجوز رفع (الفتنة) ويكون الخبر (أن قالوا) والاسم (فتنتهم).

أما النحاس فيزدحم نصه بذكر القراءات وأصحابها لكن دون وضوح التبريزى وتنسيقه، يقول: تقرأ على خمسة أوجه: قرأ حمزة والكسائى: (ثم لم يكن) بالياء، (فتنتهم) نصب. وهذه قراءة بهينة لأن (أن قالوا) اسم يكن ولفظه مذكر، (فتنتهم) خبر. وقرأ أهل المدينة وأبوعمرو بن العلاء (ثم لم تكن) بالتاء، (فتنتهم) نصب أنث (أن قالوا) عند سيبويه لأن (أن قالوا) هو الفتنة، ونظيره عند سيبويه قول العرب: ما جاءت حاجتك وقراءة الحسن: (**تلتقطه بعض السيارة**) [يوسف: ١٠]، وأنشد سيبويه:

ونشرف بالقول الذى قد أذعته كما شرفت صدر القناة من الدم

وقال غير سيبويه: جعل (أن قالوا) بمعنى المقالة، وقرأ عبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب (وما كان فتنتهم إلا أن قالوا)(٣). وقرأ الأعرج ومسلم بن جندب وابن كثير وعبد الله بن عامر الشامى من رواية حفص، والأعمش من رواية المفضل، والحسن وقتادة وعيسى بن عمر (ثم لم تكن) بالتاء، (فتنتهم) بالرفع، اسم تكن، والخبر (إلا أن قالوا). فهذه أربع قراءات. والخامسة (ثم لم يكن) بالياء، (فتنتهم) بالرفع يذكر الفتنة لأنها بمعنى الفتون. ومثله ﴿فمن

(١) ورقة ٨٠.

(٢) معانى القرآن ٢ / ٢٣٥.

(٣) راجع المصاحف لابن أبى داود ٦١.

جاءته موعظة من ربه ﴾[1] [البقرة: ٢٧٥].

هذا ما ورد عند النحاس وأظن أنه يختلف كثيرا عما ورد عند التبريزي..

مصادره

استفاد الخطيب من سابقيه من العلماء الذين اهتموا بإعراب القرآن الكريم. وقدنص على النقل عن الكثير منهم.

وكتب إعراب القرآن السابقة عليه والتي ظهرت حتى الآن هي: معاني القرآن للفراء، معاني القرآن للاخفش، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، معاني القراءات للازهري، مشكل إعراب القرآن، الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب.

وقدرجع الخطيب إلى كل هذه الكتب ونقل عنها إما موافقا لأصحابها أو مخالفا لهم.

وفضلا عن مصادره من كتب إعراب القرآن الكريم، فقدرجع الى كثير من المصادر الأخرى ككتب النحو واللغة والشعر والأساليب،فنجد كثيرا من العلماء تتردد أسماؤهم في صفحات كتابه، نجد سيبويه وابن الانباري، واليزيدي وأبا عبيدة وأبا عمرو بن العلاء وأبا عبيد والمبرد وأبا حاتم وابن كيسان، وقطرب وابن قتيبة، والاصمعي، والأخفش الصغير وابن دريد وأبا زيد وثعلب وابن برهان والمعري وغيرهم.

والكتاب ليس كاملا حتى نعطي صورة صادقة لمصادره وما بقي منه اقل مما ضاع، إذ إن الباقي لا يتجاوز الثلث.

كما رجل الى كثيرمن التفاسير بدءا من تفسير ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل بن سليمان وغيرهم. ورجع الى بعض المصادر القرآنية ونقل عنها فلديه كثير من القراءات السبعية وبعض القراءات العشرية والشاذة.

---

(١) إعراب القرآن ١ / ٥٤٠ ومابعدها.

مكتبة الجامع الكبير بمكناس(١)

د. فاطمة العيساوى

الدراسات الجادة فى موضوع المكتبات بالمغرب محدودة وحديثة فى أغلبها(٢)، على الرغم من وضع فهرسة للمشهور منها، وعراقة الكثير منها من الناحية التاريخية، وتواتر أخبارها فى المصادر المغربية. وقد أحصى الأستاذ محمد المنونى(٣) فى منتصف هذا القرن ما يقرب من مائة وثمان وعشرين مكتبة بالمغرب(٤).

ويرجع تأسيس المكتبات العامة بهذا البلد إلى عهد الدولة المرابطية (ق ٦هـ / ١١-١٢م). ثم تنامت أعدادها، وتوالت فترات ازدهارها بفضل اعتناء

---

(١) يستعمل مصطلح « خزانة » فى المغرب عوض « مكتبة »، وقد آثرت استعمال اللفظة الأخيرة لكثرة تداولها فى البلاد العربية الأخرى.

(٢) هناك أطروحتان جامعيتان أنجزتا لنيل الدكتوراه فى موضوع المكتبات بالمغرب: الأولى تقدمت بها لطيفة بن جلون العروى تحت عنوان: Les bibliotheques au Maroc. Paris Editions Maisonneuve et Larose 1990. والثانية تقدم بها الأستاذ أحمد شوقى بنبين بعنوان: Histoire des bibliotheques au Maroc Casablanca Dar Ennajah Al Jadida 1992. كما أن هنالك ندوتين نظمتا فى نفس الموضوع:

- « المخطوطات العربية فى الغرب الإسلامى. الدار البيضاء، ولادة، ومؤسسة الملك عبد العزيز، ١٩٩٠.

- « الخطوط العربى وعلم المخطوطات، » تنسيق أحمد شوقى بنبين. مطبعة فضالة بالمحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٤.

(٣) هو الفقيه محمد بنعبد الهادى المنونى - زاد الله فى عمره - أحد كبار المختصين فى المكتبات فى المغرب، وإليه يرجع الفضل فى فهرسة وتصنيف وترتيب الكثير من المكتبات العامة، وكذا مكتبات الزوايا مثل الزاوية الحمزية والزاوية الناصرية.

(٤) « دور الكتب فى ماضى المغرب »، مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٢٥٨.

السلاطين المغاربة باقتناء الكتب، وانتشار ظاهرة وقفها على المكتبات والمساجد. **وأهم ما يميز هذه المكتبات ما يلى :**

- انتشارها فى كل مناطق البلاد.

- ارتباط أغلبها بالمؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا، ولا شك أن المغرب يشترك مع البلاد العربية فى هذه الظاهرة.

- تفاوت قيمة محتوياتها، خاصة من المخطوطات؛ من حيث الكمية والأهمية العلمية والعمق التاريخى.

- طغيان الصبغة الدينية على مضمون مخطوطاتها؛ إذ إن أغلبها يتعلق بالتفسير والحديث والفقه.

- رغم أهمية الأعداد التى تتوفر عليها المكتبات المغربية من المخطوطات، فقد ضاع الكثير منها، بعد أن امتدت إليه أيدى الحدثان، بسبب الظروف التاريخية التى مرت بها البلاد، وبسبب النهب وإتيان الأرضة على أغلبها.

ويمكن تقسيم أنواع هذه المكتبات إلى ثلاث مجموعات :

أ - المكتبات العامة، ومن أمثلتها المكتبة العامة بالرباط، ومكتبة القرويين بفاس، ومكتبة ابن يوسف بمراكش، والمكتبة العامة بتطوان، ومكتبة المسجد الأعظم بمكناس، ومكتبات الكليات، وفى مقدمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط التى يوجد فيها عدد لا بأس به من المخطوطات.

ب - مكتبات الزوايا، وهى كثيرة ومعظمها فى المناطق الجنوبية من المغرب. ومن أشهرها : زاوية تامكروت الناصرية، وزاوية أبى الجعد الشرقاوية، والزاوية الحمزية.

ج - المكتبات الخاصة : التى هى ملك شخصيات ذات مكانة سياسية أو علمية، وعلى رأسها المكتبة الحسنية ومؤسسة علال الفاسى بالرباط، والمكتبة الصبيحية بسلا، ومكتبة الفقيه محمد داود، ومكتبة عبد الخالق الطريس

بتطوان، ومكتبة عبد الله جنون بطنجة .

ويلاحظ أن بعض هذه المكتبات، مثل المكتبة الزيدانية بمكناس قد ألحقت بالمكتبة الحسنية، ومكتبة محمد الفاسى، ألحقت مخطوطاتها بمكتبة القصر الملكى بمراكش . وتجدر الإشارة إلى وجود عدد من المكتبات الخاصة لا تزال فى ملك أسر توارثتها، وهى الآن تنتظر نفض الغبار عنها .

مكتبة المسجد الأعظم بمكناس :

ليست هناك دراسات مستفيضة عن هذه المكتبة؛ فكل ما هناك مقالان[1] وبعض الفقرات أو الإشارات فى الكتابات التاريخية بصفة خاصة[2] .

تأسيس المكتبة :

لم تحدد المصادر المغربية تاريخ إنشائها بالضبط . ويفهم من خلال بعض الإشارات أنها تأسست فى عهد الدولة المرينية، فقد ذكر ابن غازى[3] فى «الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون» عند حديثه عن ترجمة أحد علماء هذه المدينة[4] «أنه أصابه الطاعون، وهو يقرأ «البخارى» بالجامع الأعظم من مكناسة عند خزانة الكتب، وذلك عام ثمانية من القرن المذكور (التاسع الهجرى)»[5] . ولا يستبعد من خلال هذه الإشارة أن هذه المكتبة كانت من

---

(١) محمد العرائشى : «خزانة الجامع الأعظم بمكناس» مجلة دعوة الحق، العدد ٢٣٤، جمادى الأولى ١٤٠٤ / مارس ١٩٨٤ ص١٠٧-١١١ .

- «وضعية مخطوطات خزانة الجامع الكبير بمكناس»، ندوة المخطوطات العربية فى الغرب الإسلامى السابقة الذكر، ص ١٢٩-١٦٢ .

(٢) الوثائق الحزنية المكتوبة بداخل الكتب الموقوفة على المكتبة . - المصادر التى تؤرخ للمدينة وعلى رأسها كتاب عبد الرحمن بن زيدان : «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» الدار البيضاء : مطابع إديال ١٩٩٠ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن غازى العثمانى، شيخ الجماعة وأحد علماء مدينة مكناس، ولد بمكناس سنة ٨٤١هـ ، وتوفى بفاس فى ٩١٩هـ .

(٤) الرباط : المطبعة الملكية ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

(٥) هو محمد بن عمر بن الفتوح، فقيه ومحدث، ولد بتلمسان وتوفى بمكناس سنة ٨١٨هـ . ويعتبر =

ضمن ما أسسه السلطان أبو عنان فارس (٧٤٩-٧٥٩هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨م) من مكتبات، أهمها مكتبة القرويين بفاس، ومكتبة المسجد الأعظم بتازة، ومن ثم يكون تأسيس هذه المكتبة داخلاً ضمن سياق تاريخي معين هو النهضة العلمية التي عرفها المغرب في عهد المرينيين؛ ففي إطار بحثهم عن المشروعية أولوا اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء[1] وتشييد المدارس والمكتبات، وجلب الكتب إليها من الأندلس والمشرق، وتوجيه المصاحف الثمينة إلى الحرمين الشريفين.

أما مقر هذه المكتبة عند تأسيسها فقد كان قريباً من أحد أبواب المسجد الأحد عشر وهو (باب الكتب) «الذى اكتسب هذه الإضافة لقربه من المكتبة العلمية»[2] عند الجهة الغربية من هذا المسجد فوق المحراب ومقابل المدرسة الفيلالية، ثم في بداية القرن الرابع عشر الهجرى / ق ٢٠م، صار مكانها أعلى الجدار الشرقي للمسجد أو الجامع الكبير، وعرفت إدخال بعض التنظيمات الحديثة إليها[3]. ومؤخراً وبالضبط في ١٩٩٨ انفصلت عن المسجد بالمدينة القديمة – وإن ظلت تحمل اسمه – ليصبح مقرها بالمركب الثقافي بشارع بئر إنزران بالمدينة الجديدة.

تنظيم المكتبة

أورد الأستاذ محمد المنوني في كتابة «دور الكتب في ماضي المغرب» صورة عن تنظيم المكتبات بفاس، وقال إنها تنطبق على كل مكتبات المغرب، ومن ثم تدخل مكتبة الجامع الكبير ضمنها، فذكر بأن توقيت المطالعةيمتد من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وأن ذلك كان يتم في قاعات خاصة، تحت إشراف قيِّم واحد. كما ذكر أن هذه المكتبات في البداية لم تكن تسمح بالإعارة الخارجية

- أول من أدخل «مختصر خليل» إلى المغرب عام ٨٠٥هـ.

(١) ابن غازى، المصدر السابق ص ٥٩.

(٢) ابن زيدان، المصدر السابق جـ١ ص١٠٠.

(٣) المنوني، المصدر السابق ص ٥١.

لكتبها خاصة، وأن هذه الأخيرة لم تكن لها أية أرقام ترتيبية[(١)].

وتفيد الوثائق المخزنية أن الذى كان يتولى أمرها هو الناظر، بمساعدة عدلين يقومان بتسجيل المتوفر من الكتب فى كل مكتبة، والمضاف إليها فى كناش خاص.

أما رصيد المكتبة من الكتب فقد كان يتحقق عن طريق الأوقاف السلطانية عليها من عهد المرينيين إلى عهد العلويين، وهكذا نجد مثلاً أن السلطان المولى محمد بن عبد الله أوقف عليها مجموعة مهمة من مكتبة جده المولى إسماعيل[(٢)]، فقد جاء فى أول ورقة من أحد المخطوطات التى حبسها ما يلى: «الحمد لله، حبس مولانا أمير المؤمنين سيدى محمد، ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الله هذا الجزء من تفسير سيدى «عبد الرحمان الثعالبى» على خزانة الجامع الكبير من مكناسة، وحازه من له النظر فى الحبس وقُيد فى سابع عشر من جمادى الثانية عام ١١٧٥هـ»[(٣)]. كما بادر السلطان المولى عبد الرحمن (١٨٢٢م – ١٨٥٩م) إلى وقف نسخة من «صحيح البخارى» تضم ستة وعشرين جزءاً، جاء فى أولها: «الحمد لله وحده بشهادة شهيديه فى غيره بهذا السِّفر المبارك المكتوب على أول ورقة منه من صحيح الإمام المعظم سيدى محمد بن إسماعيل البخارى، رضى الله عنه، حبسه مولانا الإمام الأعظم ظل الله فى الأرض، مولانا عبد الرحمن، مع خمسة وعشرين جزءاً على خزانة المسجد الأعظم من محروسة مكناسة الزيتون، تقبل الله من سيدنا عمله وبلّغه فى الدارين أمله، بواسطة ناظر المسجد الفقيه السيد الطاهر بن عثمان، وحازه للمسجد، وبضمنه. شهد على الناظر المذكور فى رابع شعبان المبارك عام سبعة وأربعين ومائتين وألف».

(١) العراقشى، «خزانة الجامع الأعظم بمكناس» السابق الذكر.

(٢) المنونى، م س ص. ٤٠.

(٣) العراقشى، المرجع السابق ص. ١١٠.

وبإلقاء نظرة على لائحة المخطوطات التى ما زالت إلى الآن بالمكتبة نلاحظ أن القسط الأوفر منها من وقف السلطان سيدى محمد بن عبد الله، ثم من بعض المحسنين، أمثال عبد الكريم بنانى ومحمد المتونى، أما ما كان يشترى من مداخيل الأوقاف فقد كان محدوداً.

تطور المكتبة:

تأثرت مكتبة الجامع الكبير بمكناس كمثيلاتها بالبلاد المغربية بتطور الأوضاع العامة، فقد كان الاستقرار يؤدى إلى انتعاشها، والاضطراب يؤدى إلى تدهورها. ففى مرحلة ازدهارها منذ عهد المرينيين إلى العلويين كانت غنية بأمهات الكتب، ومراقبة أحياناً من طرف السلطان نفسه. وتوضح إحدى الوثائق التى كانت محبسة على الخزانة(١) اهتمام السلطان مولاى الحسن (١٢٩٠-١٣١١هـ - ١٨٧٣-١٨٩٤م)، إذا جاء فيها:

«الحمد لله وحده، يعلم الوزير سيدى على المسفيوى أنه وصلنى كتابك بما أمر به مولانا - أعزه الله - من سؤالى عن خزانة كتب العلم بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية آمراً لى - أعزه الله ونصره - بالبحث، هل لازالت كتبها مصونة كما كانت ومن القائم بها، وهل لها كناش، وعند من هو، فليكن فى علمك - حفظك الله - أنى بحثت عن ذلك وتتبعته، فتحصل لى على لسان بعض علماء البلد أنهم يعرفون الخزانة المذكورة معرفة تامة، وأنها مملوءة بالكتب المتنوعة: عدة من كتب التفسير، وعدة من كتب الحديث، وعدة من كتب الفقه، وعدة من كتب النحو، وكذلك كتب الحساب، والتنجيم والتوقيت والتعديل، وعلم الموسيقى، والهندسة وعلم الكيمياء، وعلم التدبير، وعلم

(١) رسالة من محتسب مكناس محمد العربى اجانا إلى على المسفيوى وزير الشكايات في عهد نفس السلطان، في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ. وقد حبسها حفيده احمد أجانا، الذى كان محافظاً لهذه المكتبة من سنة ١٩٥٧ إلى تاريخ وفاته سنة ١٩٨٤، إلا أن هذه الوثيقة نهبت، وقد كانت الوثيقة الوحيدة في المكتبة وإن كان محمد العرائشي قد نشرها وأعطى لها رقماً ترتيبياً هو ٦٢٠، علماً بأن المكتبة لا تتوفر على الوثائق أصلاً.

الطب واللغة وعلم الأدب، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة»[1].

إلا أن وضعية الخزانة بعد القرن التاسع عشر الميلادى آلت إلى الانحطاط والإهمال؛ فقد كتب مؤرخ مدينة مكناس عبد الرحمن بن زيدان واصفًا ما آلت إليه فى بداية القرن العشرين قائلا: «وفى الجهة الغربية منه (أى المسجد) المكتبة العلمية الجامعة لمحاسن الكتب القديمة لولا اختلاس جل نفائسها ومد اليد العادية فى ذخائرها الثمينة وإضاعة باقيها من ولاة الأحباس بعدم التعاهد والإصلاح أولاً، وتعطيل منفعتها بغلق أبوابها عن القراء ثانيًا، حتى آل الأمر بسبب ذلك إلى أن صار الكثير مما بقى من كتبها التى يعز أن توجد فى غيرها إلى حد لا ينتفع به أصلاً، لتمزقه وتلاشيه ووضعه فى محل الكناسة والأزبال، وذلك من المفاسد التى لا تباح، ومن العظائم التى أوقعت فى الجناح، مع كون جانب الحبس غنيًا، وبتجديد ذلك ورده إلى حال شبابه مليا».

ويؤكد الأستاذ محمد المنونى هذا الوضع المسف الذى آلت إليه هذه المكتبة خلال النصف الأول من القرن العشرين، إذ يقدم فى مخطوطة صورة حزينة عنه، بعد أن أتت الأرَضَة على العديد من كتبها وحولتها - حسب تعبيره - إلى «مخزن من الغبار»[2]، وهذا ما جعل ذوى الأريحية من مثقفى مدينة مكناس يرفعون المذكرات مطالبين بالالتفات إلى مكتبتهم. ولذلك بادرت إدارة الأوقاف فى سنة ١٩٣٩م إلى إنشاء قاعة كبرى لإيواء المكتبة، إلا أن هيئة «مجلس المعهد المكناسى» اتخذتها مقرًا مؤقتًا لها.

وقد استرجعت المكتبة قاعتها ونظمت تنظيمًا عصريًا، وأعيدت إليها الحياة من جديد قبيل قيام السلطان محمد الخامس إلى مدينة طنجة سنة ١٩٤٧م. ولكن الجدير بالذكر هو أنه فى سنة ١٩٥٧م خرجت مجموعة مهمة من أمهات كتب مكتبة الجامع الكبير بمكناس، تقدر بستة وخمسين مخطوطا، ويقال:

---

(١) ابن زيدان، المصدر السابق، الجزء الأول ص١٠٦.

(٢) المنونى، المصدر السابق، ص٥٢.

إنها وجهت إلى المكتبة العامة بالرباط فى ظروف غيرواضحة وبطرق ملتوية، الشىء الذى أدى إلى فشل جميع محاولات استرجاعها إلى يومنا هذا .

مضمون المخطوطات :

توجد فى الخزانة خمسمائة وخمسون مخطوطا تقريبًا، تختلف عمراً ومضمونًا . **ومن أقدم المخطوطات بها :**

- « مختصر المدونة الكبرى » .
- « العلم والمستعلم فى معانى القرآن »، لابى جعفر بن أحمد بن إسماعيل .
- جزء من « تفسير الكشاف »، للزمخشرى .
- كتاب فى الحديث .
- « شرح البرهان »، للإبيارى على بن إسماعيل الصنهاجى .
- « مطالع الأنوار على صحيح الأنوار »، لابن قرقول الإبراهيمى .

أما موضوعات المخطوطات فتتوزع على الشكل التالى، وسنقتصر منها على بعض النماذج :

- القرآن الكريم : مجموعة مصاحف، من بينهاجزء كُتب على رَقّ الغزال .
- التفسير : يتعلق الأمر بتفسير أجزاء من القرآن الكريم، مثل « تفسير الكشاف فى حقائق غوامض التنزيل »، لمحمد بن عمر الزمخشرى .
- الحديث : « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى »، لشهاب الدين العسقلانى، المعروف بابن حجر .
- السيرة : « تنبيه الأنام فى بيان علو مقام نبينا محمد عليه الصلاة والسلام »، لعبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عظوم .
- التوحيد : « عمدة أهل التوفيق والتسديد فى شرح عقيدة أهل التوحيد » ، لابى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى .

- الفقه : «مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل»، للحطاب محمد الرعيني .
- الأصول : «شرح جمع الجوامع من أصول الفقه لابن السبكي»، لجلال الدين محمد الشافعي .
- التصوف : «الرسالة القشيرية في التصوف»، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي .
- اللغة : «الجمهرة في اللغة»، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .
- النحو : «شرح مصنف في النحو»، لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج .
- الصرف : «شرح منظومة تتضمن حكم آخر الفعل المعتل اللام»، لأحمد بن عبد العزيز الهلالي .
- التاريخ : ما وجد من كتاب «الأخبار على ما بسبتة من شتى الآثار»، وهو مختصر كتاب «الكواكب الوقادة»، للقاضي عياض بن موسى السبتي .
- التراجم : «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر القرطبي النمري .
- الفلك : «الكوكب الدري في معرفة الأسطرلاب الكوري»، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الأندلسي المراكشي .
- الحساب : «بغية الطلاب في شرح منية الحساب، «لمحمد بن غازي العثماني .
- الطب : بعض الأوراق الخاصة بصنع بعض الأدوية .

والملاحظة الأساسية التي يخرج بها المتصفح لهذه المخطوطات هي أن هناك سمة تطبعها، وهي كونها في الغالب مبتورة الأول أو الوسط أو الآخر وتسقط منها الملزمات، في حين تكملتها موجودة، وهي عبارة عن خروم موضوعة بملفات، ولكنها تحتاج إلى مجهود من أجل إلحاقها بأصولها .

حريق الجامع الأموى

عند ابن الحمصى

د. عمر عبد السلام تدمرى

تعرض الجامع الأموى بدمشق فى تاريخه الإسلامى إلى عدة حرائق، كان أولها حريق عام ٤٦١ هـ (١٠٦٩م)، بسبب الحرب بين الفاطميين وأهل دمشق[١]، وثانيها عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م)، حيث احترقت منارته الشرقية[٢]، وثالثها عام ٧٤٠ هـ (١٣٤٠م) على يد متآمرين من النصارى[٣] ورابعها عام ٧٩٤ هـ (١٣٩٢م) وجرى اتهام يهودى به[٤]، وخامسها عام ٨٠٣ هـ (١٤٠١) فى فتنة تيمورلنك[٥]، وسادسها عام ٨٨٤ هـ (١٤٧٩م)، وهو ما نتناوله فى هذه المقالة. أما آخر حريق فكان عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣م)[٦].

---

(١) انظر عن حريق عام ٤٦١ هـ/١٠٦٩م: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) - تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى - طبعة دار الكتاب العربى، بيروت ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م - حوادث ووفيات (٤٦١- ٤٧٠ هـ) - ج٣١/ص٥، وفيه حشدت مصادر كثيرة.

(٢) المصدر نفسه (حوادث ووفيات (٦٤١ - ٦٥٠ هـ) - ج ٤٧/ص٢٠، وفيه حشدت مصادر كثيرة.

(٣) انظر عن حريق عام ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠م: دول الإسلام، للذهبى ٢/ ٢٤٦، ومن ذيول العبر، له ٢١٣، ٢١٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ١٨٦، والدرة المضية فى الدولة الظاهرية، لابن صَصْرى - ص١١٨، والسلوك، للمقريزى ج٢ ق ٢/ ٤٩٥-٤٩٧، وصدق الأخبار، المعروف بتاريخ ابن سباط، لحمزة بن أحمد بن عمر، المعروف بابن سباط الغربى (ت بعد ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠م) - تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى - طبعة جروس برس، طرابلس ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م. ج ٢/ ٦٥٩-٦٦٢، وفيه حشدت مصادر أخرى. وقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، المجلد ٣١، ج١/ ٤٣، ٤٤، كانون الثانى ١٩٥٦ المحضر الذى كتب بدمشق عن الحريق عن النسخة المخطوطة بمكتبة ليدن، هولندة، رقم Cod. Or. 951.

(٤) الدرة المضية، لابن صصرى - ص١١٦.

(٥) تاريخ ابن سباط - بتحقيقنا - ج٢/ ٧٦٧: وفيه مصادر أخرى عن الحريق.

(٦) انظر عن حريق عام ١٣١١ هـ/ ١٨٩٣م: كشف اللثام عن أحوال الشام، مخطوط بيد محسى =

حرسه الله إلى يوم الدين.

وأخبار الحرائق الخمسة الأولى مبثوثة في المصادر التاريخية المتداولة المنشورة ويمكن لكل قارئ أو باحث العودة إليها.

أما حريق عام ٨٨٤ هـ (١٤٧٩) (وهو السادس)، فالمعلومات المنشورة عنه قليلة جداً في المصادر المطبوعة، إذ أتى « علاء الدين البُصْروي (المتوفى سنة ٩٠٥ هـ)، على ذكر هذه الحادثة في أقل من تسعة أسطر في « تاريخه »[١]، في حين ضاعت الصفحات التي فيها خبر الحريق من مخطوطة « مفاكهة الخلان » لابن طولون الدمشقي، حيث طبع وفيه نقص عدة سنوات، وخاصة السنوات الأولى منه (٨٨٠– ٨٨٤ هـ)[٢].

واكتفى السخاوي في حوادث ٨٨٤ هـ من كتابه « وجيز الكلام »[٣] بالقول: « وكان الحريق في الجامع الأموي »، دون إضافة! وذكر نحو ذلك « عبد الباسط ابن خليل الظاهري » في كتابه « نيل الأمل »[٤]. وكذلك البطريرك اسطفان الدويهي في « تاريخ الأزمنة »[٥] في ما كتب « ابن سباط » ستة أسطر عن الحريق في « تاريخه »[٦].

= الدين بن عبد المنعم عبس ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٨م. – تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري – نشر في مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت ١٩٩٤ – العدد ١٥١ / ص ٣٤ وما بعدها.

(١) تاريخ البصروي، لعلاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي البصروي (ت ٩٠٥ هـ) – تحقيق أكرم حسن العلبي – طبعة دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م. ص٨٨.

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لابن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣ هـ) – تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦٢.

(٣) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) – تحقيق د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، ود. أحمد الخطيمي – طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م. ج٣/ ٨٩٨.

(٤) نيل الأمل في ذيل الدول، لعبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت ٩٢٠ هـ تقريباً) مخطوطة مكتبة البودليان بأكسفورد، رقم ٦١٠، Hunt ٢٨٥) – ج٢/ ورقة ١٩٨أ.

(٥) تاريخ الأزمنة، للبطريرك إسطفان الدويهي (ت ١١١٦ هـ). – تحقيق الأباتي بطرس فهد – منشورات دار لحد خاطر – بيروت ١٩٨٣ – ص٣٦١.

(٦) صدق الأخبار (تاريخ ابن سباط) – ج٢/ ٩٠٢.

ولهذا علق أكرم حسن العلبى فى تحقيقه لتاريخ البصروى (ص٨٨-٢ رقم٢) بما نصه:

« يكاد هذا الحريق يكون مجهولاً، لان البصروى انفرد بنشره، ويبدو أن ابن طولون في تاريخه نقل أخبار هذا الحريق، ومن ثم نقلها عنه عبد القادر بدران فى كتابه « منادمة الاطلال » ص٣٦٢، الذى قال: « ذكره ابن طولون فى تاريخه »، ولا ندرى أي تاريخ، والأغلب أنه « مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان » قبل أن تفقد منه حوادث السنوات الأربع الأولى، من سنة ٨٨٠ حتى غاية شهر ذى القعدة سنة ٨٨٤ هـ ».

وأقول: إن هذا الحريق لم يكن مجهولاً، بدليل أن جماعة من المؤرخين ذكروه فى تواريخهم وإنْ على سبيل الاختصار والإيجاز، كما سبق أن أشرت إلى ذلك. وإن « ابن طولون » أتى على ذكر الحريق فى الصفحات الضائعة من « مفاكهة الخلان » على وجه « التأكيد » وليس على « الأغلب »، فقد جاء فى آخر سنة ٨٨٤ هـ من المطبوع من كتابه ما يؤكد ذلك، إذ قال فى أخبار شهر ذى الحجة: « وفى يوم الاثنين رابع عشريه جاء الحاج محمد الدقى إلى القاضى صلاح الدين العدوى ومعه مطالعة الشيخ شهاب الدين بن المحوجب بسبب عمارة الجامع الأموى، وشرع فى عمارته بمباشرة الأمير يشبك الحمزاوى، والبداة بمشهد الزيلع » (ج١ / ص٥).

وقال فى شهر المحرم سنة ٨٨٥ هـ: « وفيه أطلق مقدم الزبدانى ابن العزقى من السجن بسفارة شخص يدعى سيدى عمر بن النيربى التاجر الحلبى.. وكان فى السجن من حريق الجامع قد أشرف على القتل.. والعمل كثير فى الجامع الأموى، والمعلمون من المسلمين؛ عبد الوهاب الحلبى وابن العجلونية، ومحمد ابن المؤذن، والأعسر، والدفية[1] ابن التازى، وأخيه عبد الوهاب » (ج١ / ص٦).

---

(١) الدفية هكذا بالفاء، وفى « حوادث الزمان » لابن الحمصى - بتحقيقنا - ج١ / ورقة ١٨٦أ « الدقية » بالقاف، وتعنى المعلمين المهرة المختصين بالأعمال الدقيقة من حفر وتنزيل الخشب.

وقال في شهر المحرم سنة ٨٨٦ هـ: «وفي يوم الجمعة بعد صلاتها ثاني عشريه صلى بالجامع الأموى غائبة على الشمس القدسي، بعد فراغ الجامع المذكور من عمارته بعد حريقه بالنار» (ج١ / ص ٣٣) . «وفي يوم الجمعة تاسع عشريه تمت عمارة الجامع الاموى من كل وجه (ج١ / ص٣٤) .

وقال في حوادث شهر ربيع الآخر ٨٨٧ هـ: «وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه ورد مرسوم السلطان بعمارة المنارة الغربية المحترقة بالجامع الأموى، وترصيص الجمَلُنات إن وجد رصاص. كل ذلك من مال السلطان» (ج١ / ص٥٤) . «وفي يوم الجمعة مستهل رجب منها فرغت عمارة الصاغة الجديدة وقف الجامع الأموى التي كانت حرقت قبل تاريخه مع حريق الجامع، وعمرت من مال الجامع» (ج١ / ص٥٥) .

أما القول بأن «البُصْروى» انفرد بنشر خبر الحريق، ففيه مجازفة، فلقد قيض الحادث المشئوم أن يدوم مفصلاً على يد شاهد عيان، هو شيخ المؤذنين بالجامع الأموى، المحدث المؤرخ «شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، الشهير بابن الحمصى» (٨٤١-٩٣٤ هـ/١٤٧٣-١٥٢٧م) . في الجزء الأول من تاريخه المخطوط «حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران»(١) . وكان ممن أسهم في حماية منبر الجامع، والمصحف العثماني، والبسط التي عمل مع غيره من المتحمسين في نقلها إلى خارج الجامع قبل أن تلتهمها النيران. وأحاطت روايته بالتفاصيل الدقيقة للمراحل التي قطعتها عملية الإصلاح والترميم وإعادة تأهيله، وتزيينه، مع ما رافق ذلك من أخبار وطرائف، ومن ذلك أن يهودياً عرض عشرة آلاف دينار في شراء الرماد الناتج عن حريق رصاص الجامع، وقد استغرقت عمارة الجامع سنتين وخمسة وعشرين يوماً، وصرف عليه السلطان «قايتباي» بمفرده، ثمانية عشر ألف دينار.

---

(١) حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، لابن الحمصي (ت ٩٣٤ هـ) - مخطوطة مكتبة فيض الله أفندي بإستانبول، رقم ١٤٣٨ - ج١ - صدر عن المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٩٩ .

وفيما يلى النص الكامل لرواية «ابن الحمصى» عن حريق الجامع الأموى سنة ٨٨٤ هـ ١٤٧٩م، مع الإشارة إلى الالتزام بنص المؤلف الذى اعترته أغلاط كثيرة:

حريق الجامع الأموى

فى شهر رجب ٨٨٤ هـ: /ورقة ١٧٥/ «وفى ليلة الأربعاء المسفر صباحها عن سابع عشرينه حصل بلية عظيمة لم يقع نظيرها ولا فى فتنة تمرلنك، هو أنه /ورقة ٧٥ ب/ حرق فى هذه الليلة المذكورة، وقت عشاء الآخرة، الجامع الأموى بدمشق من أوله إلى آخره، ولم يسلم منه سوى مشهد النايب، المعروف بسيدنا عثمان، ومشهد الشيخ خطاب المعروف بسيدنا على بن الحسين، رضى الله عنهما. ومن الرواق الشمالى قطعة لا غير، واحترقت المنارة الغربية، وسقط راسها على رجل فمات، واحرق سوق الاخفافيين، وسوق العنبرانيين، وسوق السبوريين، وسوق الحريريين، وسوق النجار، والحباكين، والصُّفين، المعروف بسوق الذراع، والصاغة الكبيرة العتيقة. «وذهبت للناس، فى هذه الليلة، أموال، ونهبت حواصل ودكاكين، وغير ذلك، وكانت ليلة منكرة فظيعة تقشعر من ذكرها الجلود.

وكان سبب هذا الحريق، على ما ذكر، أن شخصاً إدَمِيّاً[1] يقال له: ابو بكر ابن علوان البديرى ساكن فى علوى باب البريد فى طبقة على باب الجامع الأموى الصغير الملاصق لمرتفق باب البريد، أمر زوجته أن تعمل له دهن شمع، فسقط القار على قنب، ولم يعلموا، فاشتعل القنب، فلما رأوا ذلك خافوا، فنقلوا حوائجهم، ولم يعلموا احداً، فقويت النار، وانتقلت إلى سوق الإدميين[2]! فاشتغلت / ورقة ١٧٩/ الناس باخذ الحوائج من الحوانيت، وتركوا

(١) الإدمى: نسبة إلى الإدام، وهو الطعام. ويعنى هنا: الطباخ.
(٢) هكذا فى الأصل.

طفّىَ النار، وبعضهم بالنهب، فقويت النار إلى أن أحرقت الإدميين، وانتقلت إلى العنبرانين! فاحترقت، وخرجت النار منها فدخلت من قمرية مكسورة بالجامع الاموى لصيق باب المنارة الغربية من القبلة، فشعلت النار فى سقف الجامع من جهة الغرب والقبلة، ثم قويت إلى أن احترقت بقيت(١)! السقوف.

ثم أمر الصارمى إبراهيم بن منجك (المعمار) بقطع سقف الجامع عند باب الساعات خوفًا على بيته، فقطع خشبتين، فلأجل ذلك لم يحترق مشهد الشيخ خطاب ولا بقية الرواق. وأما مشهد النايب، فعدم احتراقه لأن سقوفه قصيرة، فاصلا بينها الجدران، فلم تحكم النار عليها.

وكنت حاضراً لغالب هذه الأمور، انقل البسط أنا ورفاقى إلى صحن الجامع، وانحّى الناس على حملهم(٢)! من داخل الجامع إلى الصحن، وأمرت بفك المنبر لما قربت منه النار، وحمل المصحف العثمانى والربعات والصريج(٣)! الذى للوقف. وكنا قد عملنا حصراً /ورقة ٧٦ ب/ جددا رقاعًا لم ير مثلها. ووضعت عند شباك مشهد النايب، فجاءت النار من الشباك فأحرقتها، ولم يحترق المشهد، ولله الحمد.

وذكر أنه فى فتنة تمرلنك لم يحترق.

وكان ملك الأمراء قانصوه اليحياوى(٤) قبل الحريق بشهرين قد رسم بعمارة الجامع ووقفه، وكان قد جدد الرخام فى الحايط القبلى من أوله إلى أن وصلت النصارى الموجهين فى هذه الليلة إلى ضريح سيدى هود عليه السلام من الحيط

---

(١) هكذا فى الأصل.

(٢) الصواب: «على حملها».

(٣) هكذا. والمراد: «السراج».

(٤) تولى قانصوه اليحياوى نيابة الشام سنة ٨٨٤ هـ. وتوفى سنة ٩٠٢ هـ. (إعلام الورى بمن ولى من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، لابن طولون - نشره محمد أحمد دهمان - دمشق ١٩٦٤ - ص٨٢-٨٤، مفاكهة الخلان، له- ج١/ ١٨٥- ١٩٤، تاريخ الأزمنة، للدويهى ٣٧٢، تاريخ ابن سباط ٢/ ٩٠٢ و ٩١٠).

القبلى المذكور. وكان قد جدد الطراز القبلى المذهب من أوله إلى آخره. فلما وقع الحريق ذهب الطراز، واحترق الرخام وتساقط، وصار كالملح يذهب، (وسقطت فصوصه وقماريه، وذاب الرصاص الذى كان على الجانبين)، وذهبت محاسن الجامع وعينه الرخامية.

وكان كلما سقط منه جملون من النار يسمع دويه كالرعد القاصف وصار الناس ينظر بعضهم (بعض)(١) فى الليل من شدة النار.

وكان عند الناس عزاء عظيم وبكا، حتى الذمة صارت تنظره وتبكى. وجاءت الناس من القرى والبلدان، فشرعوا عند رؤيته يبكوا(٢)، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

واعلم أنى اختصرت ما وقع كراهية الإملال والتطويل.

/ورقة ١٧٧أ/ وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه نصب للخطيب كرسى تحت قبة النسر فى صحن الجامع، وخطب عليه، وبكا(٣) الناس بكاء عظيمًا، وكانت ساعة عظيمة.

شعبان: وفى سابع عشرينه جاء الشيخ محب الدين الحصنى - أعاد الله من بركته - إلى الجامع الأموى، وأمر الناس بشيل التراب المحروق من الجامع فى الخراب، فاجتمع فيه (٤خلق وقضاة، وعلما، وصلحا، وغيرهم٤) لا يعلم عدتهم إلا الله، فشالوا (تراب)(٥) الرواق المحترق فى يوم، وشالوا تراب الثلاث جمالين الشرقية، وتراب مشهد المؤذنين فى يوم، وشالوا تراب الثلاث جمالين الغربية فى يوم.

---

(١) الصواب: «ينظر بعضهم بعضًا».

(٢) الصواب: «يبكون».

(٣) الصواب: «وبكى».

(٤ - ٤) ما بين القوسين عن هامش المخطوط.

(٥) إضافة يقتضيها السياق.

وكان فى هذه الثلاث[١]! أيام خلق لا تعد ولا تحصى، حتى النسا والصبيان /ورقة ٧٧ ب/ والعبيد، كل منهم نقل على حساب حاله، ولم ير مثل هذا العمل وسرعته، فإنه على خلاف القياس[٢].

وشاهدت قضاة، وعلما، وأشراف يعبوا التراب على الدواب ويروحوا يكبوه[٣] فى الخراب. وكان هذا التراب – والله أعلم – ما ينقل فى سنة من كثرته، ولكن همة العلما والصالحين ساعدت، وبقى فى الجامع تهليل وتكبير، وكانت ساعة عظيمة.

وفى يوم الأحد سلخه ورد مرسوم السلطان قايتباى بتقدير ما يحتاجه الجامع الأموى ووقفه، فحضر إلى الجامع المذكور نايب الشام قانصوه اليحياوى، والقاضى ناظر الجيش السيد موفق الدين، وقاضى القضاة المالكى شهاب الدين المرينى، ويشبك حاجب الحجاب، ودوادار السلطان، وغيرهم، وخلق لا تعد، ومعهم المعلمين[٤]، وابن العطار معلم السلطان. وكان فى زعم الناس أن شهاب الدين العطار هو الذى منع من أن يقطع على الجامع حتى لا يحترق، وتسبب بالحريق، فلما رآه الناس قد حضر مع النايب، والناس مشغولون بشيل التراب، فكبروا وعيطوا، وقالوا: «ما يحل دخول ابن العطار الجامع». وأرادوا قتله، فمنعتهم المماليك، فعند ذلك رجم العامة النايب فى الجامع، فقويت الحجارة والرجم، فاغتاظ النايب وأخذ طبر[٥] وأراد ضربهم به، وضربت /ورقة ٧٨؟/ المماليك ضربًا مؤلفًا، فهربت العامة، ورأى النايب رجلاً روميًا فى الجامع

---

(١) الصواب: «الثلاثة».

(٢) الصواب: «وأشرافًا».

(٣) الصواب: «يكبونه».

(٤) الصواب: «المعلمون».

(٥) هكذا فى الأصل، والصواب: «طبرا» بالتحريك، البلطة، ذات رأس شبه دائرى تثبت فى قائم إما من المعدن أو من الخشب يحملها أفراد فرقة الطبر دارية. (الملابس المملوكية – ل. ا. ماير – ترجمة صالح الشيتى – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ – ص٨٥).

حامل[١] طنبوره، فازداد حنقه، وضربه هو والمماليك بخشب محرق من خشب الجامع إلى أن عاين الموت. وكانت ساعة مهولة.

فلما هربت العامّة قعد النايب ومن معه وثمّنوا ما يحتاجه الجامع ووقفه من الآلات (وغيرها) التى يُعاد بها على أحسن هيئة، فوجد ثمانية وخمسين الف دينار وسبع ماية دينار، فارسلوا يعلموا السلطان بذلك حسب ما رسم.

رمضان: وفى يوم الاربعاء ثالثه أخذ شيخ البلد تقىّ الدين بن قاضى عجلون الشافعى من التجار ومن أهل الخير مالاً وجمعه، وابتدا بعمارة مشهد سيدنا عروة بن الزبير، رضى الله عنه، المعروف بمشهدالمؤذنين (بالجامع الأموى)[٢]. وتتمة الرواق الشمالى من باب الكلاسة إلى الدركاه التى عند باب البريد.

وفى يوم السبت سابع عشرينه وقع رجل من المغاربة من سقف مشهد المؤذنين وهم فى عمله، فأتى بالشهادة، وخرجت روحه. رحمه الله تعالى.

وفى يوم الثلاثاء سلخه رسم ملك الأمراء الناظر على الجامع الأموى ووقفه بأن يصرف ما بقى من وقف الجامع المذكور للمؤذنين والبوابين، والأيمة، وقومة البرانى عشرة اشهر للمباشرين بأنفسهم، وللمستفيدين /ورقة ٧٨ب/ النيابة لا غير.

.. وفيه ورد مرسوم السلطان بأن يدفع لعمارة الجامع الأموى مما يحسب به نقده من صندوق السلطان الذى بقلعة دمشق خمسة عشر ألف دينار. وهذه النقدة تكفى الجامع فى عمارته إن شاء الله تعالى. وأن تُستدان ثم تدفع لأجل الحل.

.. وفى كمل عمارة سقف مشهد المؤذنين بالجامع الأموى، وكمل سقف الدّركاه الفوقانى الملاصق لباب البريد، وكمل سقف الرواق الغربى. وكان قبل الحريق بسقفين، فعمل بسقف واحد لأجل الخفة. والمصروف على هذه المواضع

(١) الصواب: «حاملاً».

(٢) عن هامش المخطوط.

المذكورة فقط، ،كما تقدّم، من أهل الخير من التجار وغيرهم.

ذو القعدة: وفي خامسه رسم ملك الأمرا للمعلمين والخشابين ومباشري الجامع الاموى بان يدوروا على غياط دمشق جميعها، وان يعلّموا الأخشاب والأوتار التى تناسب عمارة الجامع، ففعلوا.

.. وفيه اشترى الخشب من أربابه بالعدل والإنصاف، وأورد المال القاضى صلاح الدين العدوى وكيل المقام الشريف من مال السلطان المتقدم ذكره.

.. وفي يوم الاثنين سادس عشرينه أمر نايب الشام قانصوه اليحياوى بهدم محراب مشهد سيدنا عروة بن الزبير، رضى الله عنه، المعروف بمشهد المؤذنين، وكان على يمينه خلوة، وعلى يساره خلوة. ورسم أن لا تعاد الحلاوى أيضًا. وكان محرابًا حسنًا عظيمًا مرخمًا. ورسم بأن ينقر فى الحايط عوضه، فامتثل.

ذو الحجة: /ورقة ١٧٩/ وفى رابع عشرينه ابتدى بعمارة سقف داخل الجامع الأموى من مال السلطان – نصره الله تعالى – المتقدم ذكره، والمشد على العمارة الأمير يشبك الحاجب الثانى، من قبل ملك الأمراء، وشهود العمارة الشيخ زين الدين بن الجاموس الأسدى، ورفيقه الشيخ نور الدين الجبصينى.

ثم بعد ذلك بأشهر انتقض هذا الأمر، وجعل السلطان أمينًا على المصروف أيدكى نقيب القلعة، فغير نقيب القلعة الشهود المذكورين أعلاه، وهم ليس لهم نظير فى الدين والضبط. اقام برهان الدين البصروى، ومنصور الأسلمى شهودًا للعمارة. واستمر الأمير يشبك مع نقيب القلعة على عمارة الجامع الأموى.

عام خمس وثمانين وثمانماية

المحرم: .. وفيه جاه يهودى يشترى تراب الرصاص المحرق من جمالين الجامع الأموى، ودفع فيه ألف درهم، فراحوا به إلى النايب الناظر على الجامع، فقال: «ما أبيعه إلا بثلاث آلاف درهم»، فاشتراه اليهودى بذلك.

وكان سبب مشترا[1] اليهودى للتراب أن شخصا رآه يسرق /ورقة ٨٠أ/ من التراب الرصاص، فمسكه، ففزع اليهودى أنه يفتضح، فجا واشتراه. فلما اشتراه اليهودى طلب منه الثمن، فتقلب، وقال: ما معى شىء فجاء شخص فزايده، فوصل إلى مائتين وخمسين أشرفيا، فاشتراه اليهودى بذلك.

ثم دار اليهودى وزوجته يقولوا[2]: غصبنا وغلبنا، ياخذوه، ليس لنا به حاجة. فخرج لهم شخص آخر فزايدهم فيه إلى أن وصل فى سابعه إلى عشرين ألف درهم. ثم حصلت فيه المزايدة أيضا. وابيع فى خامس عشرينه فى الجامع الأموى بحضرة الجمع الغفير بألف دينار ومايتين[3] دينار وخمسين دينارا، اشتراه ناصر الدين البهنساوى صيرفى القلعة ورفاقه.

ثم جاء اليهودى المتقدم ذكره وقال: عندى فيه بالأمانة عشرة آلاف دينار، فقال ناصر الدين الذى اشتراه: أنا أدفع ثمنه، ومهما زاد الجامع أعمله من غير فايدة لى.

وكان فى الجامع الاموى مرصص جملون قبليات والنسرين، والعبارات، فالذى سلم من الرصاص من الحريق وضع فى حاصل الجامع، والذى احترق واختلط بالتراب أبيع.

وفيه كمل سقف مشهد الزبالع المعروف بمشهد سيدنا أبى بكر بالجامع الأموى من مال السلطان المتقدم ذكره، وهو صنعة /ورقة ٨٠ب/ المعلم محمد ابن العجلونية.

... وفيه كملت الخزاين بمشهد المؤذنين بالجامع الاموى، المشهور بمشهد سيدنا عروة بن الزبير، رضى الله عنه، وعدتهم[4] بالصغار اثنان وخمسون

---

(١) الصواب: «مشترى».

(٢) الصواب: «يقولون».

(٣) الصواب: «ومائتى».

(٤) الصواب: «وعدتها».

خزانة، وجدّدهم(١) من ماله الجناب الناصرى سيدى محمد الدوادار الكبير دوادار ملك الأمرا قانصوه اليحياوى.

وكان قبل الحريق به خزاين غير لاصقة تُشال وتُحَطّ، لكل شخصٍ خزانة، لكنها كانت غلسة، طوال وقصار وسُود(٢) ومكسَّرة، فأعيدت أحسن ما كانت، ولله الحمد.

صفر: وفيه كمل سقف الجَمَلُون الأولى القبلى بغرب الجامع الأموى من مال السلطان، نصره الله، ويسر الله بشخص كان لا يفطن إليه، نجار شيخ يدعى محمد الكفتى، من الصالحية، عمل صارى ودولاب(٣)، وشال فيه أوتار جملون، وهذه نعمة عظيمة، فإنه وفر بذلك مال كبير(٤) وهذا الجملون المذكور صنعة المعلم أحمد بن التريك، والمعلم عبد الوهاب، وذلك بمباشرة الجناب /ورقة ٨١/ السيفى يشبك الحمزاوى الحاجب الثانى، والمُشد على الجامع الأموى من قبل ملك الأمرا قانصوه اليحياوى.

ربيع الأول: فيه كمل سقف الجملون الثانى القبلى بغرب الجامع الأموى، من مال السلطان أيضًا، وهو صنعة المعلم أحمد بن عباس ورفاقه صبيان بن العطار.

وفيه كمل عمارة الجملون الثانى القبلى من جهة الشرق، وهو صنعة المعلم أحمد بن التريك، والمعلم عبد الوهاب أيضا. وعمل فيه مقطوع عظيم فوق ضريح سيدى يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام.

جمادى الأولى: ... فيه كمل عمارة سقف الجملون الثالث القبلى من جهة الغرب بالجامع الأموى، /ورقة ٨١ب/ من مال السلطان، نصره الله. وهو صنعة أحمد بن عبّاس ورفاقه صبيان ابن العطار.

---

(١) الصواب: «وجددها».

(٢) الصواب: «طوالا وقصارا وسودا».

(٣) الصواب: «عمل صاريا ودولابا».

(٤) الصواب: «وفر بذلك مالا كبيرا».

. . . وفيه شُرِع فى ترخيم ما أحرقته النار من الجامع الأموى من مال السلطان، نصره الله، وأول ما بدى به الحايط القبلى من جهة الغرب .

وفيه رسم الأمير ايدكى نقيب القلعة والأمين على المصروف من قبل السلطان بدهن /ورقة ٨٢أ/ أوتار الجمالين بالجامع الأموى بالأحمر بالزنجفير، وكانت بياض[(١)] احسن وابهج، لكن الذى رسم بذلك محبوب وهو نقيب القلعة .

جمادى الآخر : . . . فيه كمل عمارة سقف الجملون الثالث القبلى من جهة الشرق بالجامع الأموى من مال السلطان ايضا، وتمت به جمالين داخل الجامع الستة، خلا النسرين، يسر الله عمارته . وهذا الجملون المذكور صنعة المعلم عبد الوهاب، ورفيقه المعلم أحمد بن التريك .

وفيه شرع فى عمل القمارى القبلية المحترقة بالجامع المذكور . . .

رجب : وفيه بلطت أرضية مشهد المؤذنين (بالجامع الأموى)[(٢)] بالبلاط الملاطون من /ورقة ٨٢ب/ (مال)[(٣)] السلطان، رحمه الله تعالى .

. . وفيه ابتدى بعمل أبواب الجامع الأموى الجوانية من مال السلطان، نصره الله .

. . . /ورقة ٨٤أ/ وفى يوم الاثنين سابع عشر منه شرع فى شبك الرصاص لأجل ترصيص النسرين والعبارات، ونقل بعضه إلى مدرسة البلخية داخل الصادرية ليعمل بها .

/ورقة ٨٤ب/

شعبان : وفيه تكمل ترصيص النسر القبلى بالجامع الأموى ودخله من

(١) الصواب : « وكانت بياضا » .

(٢) عن الهامش .

(٣) إضافة على الأصل .

الرصاص سبعة وسبعون قنطارا وربع قنطار، ويسر الله لسبك هذا الرصاص وعمله رجل رومي[1] يسمى الحاج أحمد بن إسحاق الرومي، جاء بنفسه من غير طلب، وجعل له على القنطار سبك وتركيب[2] عشرين[3] درهما، خلاف صبيانه، فإن أجرتهم ليست عليه. وكان قبل ذلك قد سبك /ورقة ١٨٥أ/ رصاص بيت المقدس وعمله.

وفيه كمل ترصيص النسر الشمالي، والأجرة من مال السلطان، نصره الله.

رمضان: ... وفيه كمل بياض الجامع الأموى من مال السلطان، ونصبت قاندلة القناديل تجاه ضريح سيدى يحيى عليه السلام، وصليت التراويح فى محراب الصحابة (رضى الله عنهم)، والخطبة عنده. وكانت قبل ذلك عند محراب السادة الحنفية من جهة الغرب، وحصل للناس سرور عظيم.

/ورقة ٨٥ب/ ...

شوال: وفيه وقع رجل من مشهد الخيرية[4] بالجامع الأموى فمات.

وفيه ركبت قمارى المقصورة الكبار، وهم[5] صنعة محمد العجمى.

وفيه فرغ من تركيب المدهون بالنسر الشمالى بالجامع المذكور أعلاه، وهذا النسر والذى فرغ قبله ليس لهما/ ورقة ١٨٦أ/ نظير فى الحسن، وعمل بذهب ولازورد، وكتب فى الطراز القبلى اسم السلطان عليه والتاريخ. والنسر المشالى لم يكن له سقف تحتانى قبل الحريق.

وفيه ركبت الأبواب الثلاثة تحت النسر بالجامع المذكور، وهم صنعة المعلمين الدقية الذين جاءوا من حلب.

(١) الصواب: «رجلا روميا».

(٢) الصواب: سبكا وتركيبا».

(٣) الصواب: «عشرون».

(٤)

(٥) الصواب: «وهى» فى المواضع الثلاثة.

والصف الأبواب القبلية الغربية صنعة الدقية أولاد الزعيمة.

والصف الأبواب القبلية الشرقية(١) وهم العتق الذى لم يحترق(٢)، حلوهم واعادوهم(٣).

والعمل المذكور جميعه من مال السلطان. وقد قارب فراغ الخمسة عشر ألف دينار التى تفضل بها المقام الشريف. لكن، لله الحمد، لم يبق فى الجامع المذكور إلا اليسير. أعان الله على تكملته.

وكان السلطان أرسل مرخمين من القاهرة فتوفى معلمهم ولم يظهر لهم عمل.. /ورقة ٨٧أ/.

عام ست وثمانين وثمان مائة

المحرم: ... وفى يوم السبت تاسعه ركب باب الزيادة النحاس المعروف باب العنبرانيين بالجامع الأموى، وفرغ أحسن مما كان، ولله الحمد، من مال السلطان أيضاً، نصره الله.

.. وفى يوم السبت سادس عشره ركبت تكة المؤذنين المعروفة بالسدة، /ورقة ٨٧ب/ وجدت مكانها القديم بالمقصورة، وصرف على دهانها بالذهب واللازورد خمسة وعشرون ألف درهم.

وفى يوم الأحد سابع عشره ركب المنبر بالمقصورة، وهو القديم الذى فك ليلة الحريق، لكنه دهن جديد(٤) فعاد أحسن ما كان، ولله الحمد.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه خطب أقضى القضاة سراج الدين الصيرفى على المنبر بالمقصورة بالجامع الأموى بدمشق، وبعد فراغه من الخطبة والصلاة حضر قاضى القضاة مجد الدين بن القصيف الحنفى، وقاضى القضاة شهاب

---

(١) الصواب: «وهى» في المواضع الثلاثة.

(٢) الصواب: «التى لم تحترق».

(٣) الصواب: «جلوها واعادوها».

(٤) الصواب: «دهن جديداً».

الدين المريني المالكي، وقاضي القضاة نجم الدين بن مفلح الحنبلي، يشبك حاجب الحجاب ويلباي دوادار السلطان، وأيدكي نقيب القلعة، وغيرهم. وأديرت الربعة بالمقصورة عليهم، وحضر المؤذنون، وأهدوا ثواب الختمات المقروءة لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي لأجل عمارته الجامع المذكور بعد حريقه، وصرف عليه إلى الآن ستة عشر ألف دينار. أعان الله على تكملته.

ربيع الأول: /ورقة ٨٨ ب/ .. وفي يوم الجمعة رابع عشرينه حضر ملك الأمرا قجماس والقضاة بالمقصورة بالجامع الأموي، وقروا ختمات وهدوها للسلطان لأجل تكملة عمارة الجامع. وصرف عليه سبعة عشر ألف دينار.

جمادى الأولى: ... وفي يوم الأحد رابعه سكن التجار وغيرهم بسوق الدراع، وسوق الحريريين، والعنبريين /ورقة ١٨٩/ والسيوريين، واستجد عمارة هذه الأسواق، وصرف عليها من ممن تراب الرصاص الذي سقط من جمالين الجامع الأموي، وأبيع بألف دينار ومايتين وخمسين ديناراً، وبقية المصروف على الأسواق من مال الوقف، ولم يبق غير الصاغة بلا عمارة، وقطعة من سوق الإدميين لأجل عمارة المنارة الغربية، ولله المنة والحمد على ذلك.

شعبان: /ورقة ١٩٠ أ/ ... وفي (يوم الاثنين حادي عشرينه)[1] كمل طراز الجامع الأموي من مال السلطان الملك الأشرف قايتباي، وتم ولله الحمد، جميع ما حرق منه، إلا المنارة الغربية، وفرغ على أحسن نظام، وعلقت تنانيره وثرياته وسلاسله وقناديله، وغير ذلك. فتكون مدة عمارته سنتين وخمسة وعشرين يوماً، ويكون المصروف عليه بمفرده تقريباً ثمانية عشر ألف دينار (من مال السلطان المذكور أعلاه)[2] والحمد لله، وله الفضل والمنة.

عام سبع وثمانين وثمان ماية

/ورقة ٩٦ ب/

ربيع الآخر: ... وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه ورد مرسوم السلطان بعمارة المنارة الغربية المحترقة بالجامع الأموي وترصيص بقية الجملونات بالجامع المذكور. كل ذلك من مال السلطان، نصره الله تعالى.

(١، ٢) ما بين القوسين عن هامش المخطوط.

علم الفروسية :
«السيوف وجواهرها»، لمجهول

د . عبد العزيز بن عبد الله السلومي

إن تراث أمتنا العسكرى حافل بكثير من الجهود، ولايزال يضيف لنا الجديد والمفيد، فيما تركه أسلافنا الأبطال والأفذاذ فى كثير من المجالات الحربية بجميع مدلولاتها، ولا أدل على ذلك من كثرة مؤلفاتهم فى هذا الميدان .

فمن علوم تتحدث عن بطولات المسلمين وشجاعتهم وإقدامهم فى ميدان الفروسية وتاريخ ذلك، إلى فنون فى أمر الحروب ومكائدها، وما يتبع ذلك من توجيه وتعليم وتدريب تصاحب تلك العلوم، فكان لهم السبق فى ذلك، إلى صناعات حربية مختلفة تواكب طبيعة العصر والمكان والإمكانيات المتاحة للمسلمين، حيث صنعوا وأبدعوا فى التصنيع استجابة لأمر الله : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ . وفاجأوا الأعداء بما أنتجوه، فكان ذلك - بعد الله - سبباً فى تحقيق أغلب الانتصارات .

كل هذا - وما صاحبه من إيمان قوى بالله جل وعلا، والتماس ما عند الله، وحب الجهاد، والاستشهاد فى سبيل الله - جعل للمسلمين السبق وتحقيق النصر بإذن الله على الأعداء، ومن هنا تكمن أهمية تراث أمتنا العسكرى الكبير والكثير(١)، وإخراجه إلى النور حتى نتمكن من دراسته والاستفادة منه .

من بين هذا التراث حصلت على مخطوطة مهمة فى الفروسية بشكل عام، مؤلفها رجل عسكرى متمرس، ركز فى تأليفها على جانبين مهمين فى هذا المجال هما : الجانب الصناعى، والجانب الميدانى . ومن هنا كانت أهميتها، ولاسيما أنها تضيف معلومات ذات قيمة ليست لغيره من المؤلفين، مع أنه اعتمد عليهم فى بعض الأحيان .

---

(١) انظر مثلاً : كوركيس عواد - مصادر التراث العسكرى عند العرب .

والكتاب بشكل عام يحتوى على موضوعات عدة فى الفروسية، ولذا سماه مؤلفه « كتاب فى علم الفروسية »، وهذا العلم ألف فيه كثير من رجالات العلم من أمثال ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) رحمه الله، فله كتاب « الفروسية » وهو مفقود(١)، وكذلك شمس الدين بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) رحمه الله، وله كتاب « الفروسية »، وكذلك نجم الدين أيوب الرماح (ت ٦٩٤ هـ) وله كتاب « الفروسية برسم الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من العباد »، وكتاب « الفروسية والمناصب الحربية » حققه د. عيد ضيف العبادى، ومثله بكتوت الرماح الخازندار المالكى (ت ٧١١ هـ) وكتابه « الفروسية »، وكذلك كتاب « الفروسية والبيطرة ومعرفة الخيل ورياضتها وتأديبها وعلاجها ومعرفة العمل بالسيف والرمح ورمى النشاب »، لمحمد بن يعقوب الختلى، المتوفى (٢٢٧ هـ).

ومن المصادر الأخرى التى لم يعرف مؤلفوها: كتاب « الفروسية باللعب بالرمح »، وكتاب « الفروسية والجهاد »، وكتاب « الفروسية والحرب والطعن والتبطيلات »، وكتاب « الفروسية ورماية النشاب »، وكتاب « الفروسية والعمل بها » وغيرها كثير مما كتب فى ذلك الزمان، وهو ما بين القرنين السادس والثامن زمن الحروب الصليبية.

وكل واحد من هؤلاء له منهجه وطريقته وأسلوبه فى عرض مادته العلمية، وكذلك طبيعة الموضوعات التى يتناولها، والدخول فى بعض التفصيلات لبعض الجوانب النظرية أحياناً، والميدانية أحياناً أخرى.

ويختلف عن غيره، فقد ركز - بالإضافة إلى الجانب الميدانى الذى كثيراً ما يشير إليه مؤلفو الفروسية - على الجانب التصنيعى للموضوع الذى يتحدث عنه، وذلك بأن يشير إلى أنواع صناعتها وطرائقها وأصل جوهرها والجيد منها والمتوسط والردىء، وجهات تصنيعها، إلى غير ذلك، مما له صلة بهذا الجانب، وهذه إضافة جيدة لها أهميتها فى هذا الكتاب.

(١) انظر الحاج خليفة - كشف الظنون ٢ / ١٤٤٦، وانظر أيضاً هدية العارفين ١ / ٥٢٢.

وقد اقتصرت فى هذا البحث الذى يتكون من ١٠٢ لوحة على تحقيق القسم الأول منه وهو موضوع « جواهر السيوف والجيد منها والردىء »، وسيتبعه إن شاء الله تعالى بقية الأقسام تباعاً، لأهمية هذا ولوحدة موضوعه، وليتناسب مع نشره بحثاً علميًا متخصصاً تسهل قراءته والاستفادة منه.

فالسيوف وما كتب عنها فى مصادرنا – وهى كثيرة – نجدها على نوعين:

النوع الأول: الجانب الأدبى: حيث نجد الأدباء والشعراء أكثروا من التفنن والتغنى بالسيوف وأنواعها وأجزائها وأشكالها وأفعالها وذكر تاريخها وأمجادها وأسمائها ونسبتها إلى أصحابها، وما سطروه بها من بطولات وانتصارات يصعب فى هذه العجالة الاستطراد فيها، ولكن يمكن الرجوع إليها بما ورد فى كتب الأدب شعرا ونثراً، وسيجد القارئ الكريم فى ذلك الشىء الكثير.

النوع الثانى: الجانب التصنيعى: من حيث خاماتها وطريقة صناعتها وسبكها ومدى متانتها وجودتها وعزوها إلى أربابها، وحتى أوزانها ومقادير أثمانها فى أوقاتها، إلى غير ذلك مما له علاقة بهذا الأمر.

ولعل أقدم دراسة لعلماء المسلمين وصلت إلينا كانت « رسالة السيوف وأجناسها » ليعقوب بن إسحق الكندى، المتوفى سنة ٢٥٢ هـ، وهى رسالة على قدر كبير من الأهمية فى هذا المجال، إذ كتبها بناءً على رغبة الخليفة العباسى « المعتصم »، وهى على صغر حجمها غنية بالمعلومات عن أنواع السيوف ومواطن إنتاجها وطرق صناعتها وذكر خصائص كل نوع منها، فهى بحق تعد من المصادر المهمة التى اعتمد عليها هذا البحث وخاصة فى عمل المقارنة، فهناك بعض الأنواع التى ذكرها الكندى لم ترد عند مؤلفنا هنا، للفارق الزمنى الكبير بينهما، وهى على كل حال أنواع متفرعة من الأقسام الأساسية مثل السيوف « القلجوريه » متفرعة من اليمانية، و« البهنك » متفرع من السلمانية، و« المنصورية » متفرع من السرنديبية، وهكذا.

ومن المصادر المهمة الأخرى فى ذلك ما كتبه أبو الريحان محمد بن أحمد

البيرونى، المتوفى فى الثلث الأول من القرن الرابع الهجرى فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » وهو وإن لم يكن خاصًا بالسيوف افرد باباً عن صهر الحديد واستخراجه وذكر أنواعه، ثم عرج على صناعة السيوف ومراكزها، وأوصاف متانتها وقوتها وأنواعها من حيث صناعتها وصانعيها، غير أن أنواع السيوف التى ذكرها البيرونى لم تكن شاملة لجميع أنواع السيوف، كما ان هناك أنواعاً ذكرها هو ولم يذكرها الكندى ولا مؤلفنا هنا، فمن هذه الأنواع :

السريجية : منسوبة إلى سريج صانعها – وقيل نسبة إلى السراج – مصغراً لبريقها، وهو تعليل ضعيف .

القساسية : منسوبة إلى قساس وهو جبل بارمينية .

المشرفية : نسبة إلى المشارف وهى قرى تدانى الريف، وقيل نسبة إلى صانع جاهلى من ثقيف اسمه مشرف(١) .

الشابرقان : وهى سيوف الروم والروس والصقالبة(٢) .

وهناك مصادر أخرى تناولت موضوع السيف بشىء من الإيجاز، تلك المصادر التى تتحدث عن عدد وآلات القتال بشكل عام، ومنها السيوف(٣) .

أما الكتب والمراجع الحديثة فيمكن أن نجملها باختصار على سبيل المثال لا الحصر فى نوعين :

النوع الأول : دراسات المستشرقين حول هذا الموضوع، وما قاموا به من نشر لبعض المخطوطات، مثل « كلودكاهن » الذى درس ونشر كتاب الطرسوسى « تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء »، ومثل « فردريك ويلهام »

---

(١) انظر الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٥٣، وكذلك ابن سيده - المخصص ٢/ ٢٥ - ٢٦، وعن السيوف المشرفية انظر خزانة السلاح - لمؤلف مجهول ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) انظر الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٤٨، ٢٥٠ .

(٣) انظر كتاب مصادر التراث العسكرى عند العرب ١/ ٣٨٨، ٣٩٦ .

الذى كتب عن السلاح فى أيام الجاهلية وصدر الإسلام.

النوع الثاني: مؤلفات المسلمين المعاصرين، فمن أبرزها ما كتبه د. عبد الرحمن زكى فى كتابه «السيف فى العالم الإسلامى»، وكذلك كتاب «السلاح فى الإسلام»، وكذلك د. عبد الرؤوف عون ضمن كتابه «الفن الحربى فى صدر الإسلام».

لقد عثرت على نسخة واحدة فقط لهذه المخطوطة، وهى نسخة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم «٣٤٦٧»، ولما كان اسم المؤلف غير معروف، فإن ذلك قد جعل عملى فى تحقيق النص أكثر صعوبة، إذ تطلب ذلك منى البحث فى المصادر والمعاجم التراثية لعلى أجد لها نسخاً أخرى، ولكن دون جدوى.

ثم بدأت أبحث فى كتب الفروسية المطبوعة منها والمخطوطات المصورة، سواء للمؤلفين المعروفين أو المجهولين، لكن وجدت هناك اختلافات وفروقات فى مضامينها وترتيب أبوابها وكذلك طبيعة مادتها العلمية، إلا أنه من حسن الحظ أن كان خط النسخة واضحاً وجميلاً، والنص مكتملاً، فعقدت العزم على المضى فى الاعتماد بعد الله على هذه النسخة، وقد اضطرنى ذلك إلى عمل المقارنة، مع ما ورد فى المصادر الأخرى التى تحدثت عن الموضوع نفسه، حيث حرصت على إخراج النص سليماً من خلال تلك المقارنة، أو الإشارة إلى تلك الفروق، وقد قمت بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم، وقمت أيضاً بتخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة، وفسرت الغريب من الكلام فى الحواشي، بالرجوع إلى كتب اللغة، ورجعت أيضاً إلى معاجم البلدان والأماكن لتحديد الأماكن الجغرافية وتعريفها، وقمت بتصويب أخطاء الناسخ الإملائية، عسى أن يستقيم النص بذلك إن شاء الله!

مؤلف الكتاب

ليس فى كتاب الفروسية هذا ما يشير إلى اسم مؤلفه، غير أن هناك إشارة إلى الشخص الذى ألف له الكتاب، وهو ما ورد فى الصفحة الأولى على الغلاف بالعبارة التالية: «برسم الجناب السيفى منجك العلائى الملكى الظاهرى» فمنجك كان أحد ولاة السلطنة المملوكية فى الشام، ثم نائب السلطنة فيما بعد، فبحثت فى العصر الذى عاش فيه هذا الوالى، لعلى أجد إشارة إلى من ألف له، أو ممن كان من خاصته وجلسائه من العلماء المهتمين بمثل هذه العلوم، إلا أننى لم أهتد إلى شىء من ذلك، ثم بحثت فى كتب الفروسية بشكل عام، من مخطوط أو مطبوع، واستعرضت كل ما توفر من مصادر، ولكن لم أجد بغيتى فى ذلك.

ثم إن كتب التراجم والمعاجم التى أشارت إلى هذا الكتاب أوردته باسم مؤلف مجهول(١).

لكن الذى يمكن تحديده من خلال ذلك هو الفترة الزمنية بملاحظة طبيعة الخط، وكذلك بعض المعلومات والتراجم والتواريخ الواردة على الكتاب أو ضمنه. فحتى نصل إلى الفترة الزمنية لابد من معرفة الخط والكتابة، وبعد النظر فى طبيعة الخط وشكله ورسمه وبعض عباراته نجد أنه من أسلوب خطوط القرن السابع والثامن الهجرى مقارنة بما يماثلها من الكتب فى تلك الفترة وهو خط الناسخ للكتاب، وعلى وفق ما ورد فى اللوحة الأخيرة منه أنه قد فرغ من نسخه فى شهر شوال عام (٧٩٩ هـ)، هذا بالإضافة إلى حصرها بين التواريخ المثبتة على المخطوط، فالكتاب عليه مطالعات أحدها من القارئ «تغرى برمش» عام

---

(١) انظر مثلاً كوركيس عواد - مصادر التراث العسكرى عند العرب ٢ / ٢٩٨ برقم ٤١١٤ فى فهارس مكتبة طوب قابى سراى ٣ / ٨٧٦.

(٨٣٩ هـ) والأخرى من «طوغان شيخ» عام (٨٤٣ هـ) وذلك يغلب الظن أنه ألف قبل هذا التاريخ.

وإذا ما أردنا تقريب وقت الكتاب أكثر من ذلك، فهذا ممكن من خلال معرفة الشخص الذى من أجله كتب له الكتاب وهو «منجك العلائى»، حيث تولى هذا نيابة السلطنة للماليك فى كل من دمشق ومصر، وذلك يؤكد أنه كتب له فى تلك الفترة، وخاصة حينما كان نائباً للسلطنة فى دمشق، لأن بلاد الشام كانت تعيش فترة من استمرار حروب مع الصليبيين، ففى تلك الفترة ألف كثير من المؤلفات من هذا النوع، وإذا نظرنا إلى وفاة منجك التى كانت فى أواخر عام (٧٧٦ هـ)[١]، وكذلك توليه نيابة السلطنة وخاصة فى بلاد الشام إلى سنة (٧٧٥ هـ) ونيابة السلطنة فى مصر إلى وفاته، فيمكن تحديد الفترة الزمنية للمؤلف وتاليفه لهذا الكتاب ما بين سنتى (٧٤٨ – ٧٧٥ هـ).

كما أن موضوع الكتاب وأسلوب المؤلف ينم عن شخصيته إلى حد ما، حيث إن كتابه يبين لنا أنه متمرس فى فنون الفروسية بكل أشكالها، من ذلك مثلاً إشارته عن نفسه، حيث يقول فى معرض حديثه عن بعض التوجيهات الميدانية: ولست أرى أن يكون السيف إلا فى غمده فى كل المواطن إلى وقت الحاجة إليه، ويكون سلساً جيداً، فهو الصواب وهو الذى أعمل به»[٢].

هذا، وأسأل الله تعالى أن يكون العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون خطوة فى سبيل نشر التراث العسكرى الإسلامى خطوة من خطوات إعداد المسلمين للجهاد فى وقت تكالبت عليهم الأمم كتداعى الأكلة إلى قصعتها، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

---

(١) ألف الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رسالة فى الجهاد للأمير منجك العلائى هذا، وهى مطبوعة.

(٢) انظر كتاب فى علم الفروسية – للمؤلف لوحة ٣٤ ب.

وصف المخطوط

إن الكتاب الذى نقوم بتحقيقه وهو الجزء الخاص بالسيوف من حيث جواهرها والجيد عنها ومقادير قدودها ونسبتها إلى أصحابها، ضمن « كتاب فى علم الفروسية »، الذى قسمه مؤلفه إلى عدة أقسام، بدأه بالسيوف ثم أتبعه بموضوع الشراس، ثم فى ذكر الرجله، ثم فى ذكر الرمى وأنواعه، ثم فى ذكر العمل بالعمود، ثم فى ذكر الركوب وأنواعه، ثم العمل فى الركض، وهو آخرها، ثم وضع لكل قسم من هذه الأقسام أبواباً تتناسب والموضوع الذى يتحدث عنه قلة وكثرة، فأقلها أربعة أبواب وأكثرها مائة وأربعة عشر باباً، وبقية الأبواب بينهما .

والقسم الذى نحن بصدد الحديث عنه هو « السيوف » التى جعل المؤلف لها ثلاثة عشر صنفاً .

فالكتاب بشكل عام يتكون من ١٠٢ لوحة تشمل جميع الموضوعات المشار إليها سابقاً، وهو محفوظ بمكتبة احمد الثالث باستانبول(١) برقم « ٣٤٦٧ » .

ففى صفحة الغلاف التى يوجد فيها عنوان الكتاب، يلاحظ فيها عناية كبيرة من حيث تقسيمها وزخرفتها زخرفة جميلة متناسقة بشىء من التماثل بين أجزائها، وينم هذا عما ساد فى ذلك العصر من الاهتمام بفن الكتاب الذى غالباً ما يحمل أشكالاً هندسية متماثلة، سمة الفن الإسلامى فى هذا المجال بالإضافة إلى استخدام الألوان والتذهيب .

وعلى هذه الصفحة كتابة تحمل عنوان الكتاب وما يتبع ذلك مما هو متصل

---

(١) انظر فهرس طوب قابى سراى ٨٧٦/٣ ، حيث وضع لها رقمين الرقم التسلسلى العام والذى يحمل الرقم ٧٤١٣، وهناك الرقم الخاص بالمخطوطات العربية إلى جانبه، وهو الرقم الذى أشرنا إليه، وكان مسجلاً على الكتاب وهو رقم « ٣٤٦٧ » .

به من العبارات الدعائية. وعلى جوانب هذه الصفحة هوامش وتوقيعات وأختام ومطالعات.

والجزء العلوى من هذه الصفحة كتب بخط عريض العنوان، وهو: «كتاب فى علم الفروسية» برسم.

أما **الجزء الأوسط** فكتب ضمن شكل مستدير أشبه بالصحن العبارة التالية:

«الجناب السيفى منجك[1] العلائى الملكى الظاهرى نفعه الله تعالى به وبأمثاله ورزقه».

وفى **الجزء السفلى** المماثل للجزء العلوى من حيث الشكل كتب تكملة العبارة «العمل به آمين يارب العالمين» كل ذلك بخط نسخى مشكل الحروف.

أما الكتابة الهامشية: ففى أعلى الصفحة يوجد توقيع مركب الانحناءات تكثر أشكاله فى مخطوطات تلك الفترة مما يوحى بأنه الكاتب والرسام لهذا الكتاب.

كما يوجد ختم المكتبة الموجود بها الكتاب بأحرف لاتينية وهى مكتبة أحمد الثالث، بالإضافة إلى ختم مستدير نلاحظه على مخطوطات أحمد الثالث فيه العبارة التالية: «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله»، ثم توقيع فى أسفله ضمن هذا الختم.

أما فى جانب الصفحة الأيسر فنجد فيه مطالعتين لشخصين قرآ الكتاب

---

(١) هو منجك بن عبد الله اليوسفى وكان يلقب بسيف الدين، تولى الإمارة والوزارة فى كل من بلاد الشام ومصر فتقلد مناصب عدة وتنقل فى عدة وظائف وولايات فكان نائب السلطنة فى بلاد الشام، ثم نائب السلطنة بالديار المصرية، وكان له أمور وحوادث، امتاز بقوة الشكيمة وشدة البأس والبطش، وبقى نائباً للسلطنة فى مصر إلى أن توفى فيها يوم الخميس أواخر ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة، ودفن بعد وفاته بيوم بالقرب من جامع أنشأه هو حول القلعة.

انظر: ابن كثير - البداية والنهاية ١٤ / ٢٦١، ٢٦٨، ٢٨٣، ابن حجر - الدرر الكامنة ٥ / ١٣٠، ١٣١؛ المقريزى - السلوك ٣ / ١ : ٢٤٧، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ١١ / ١٣٣.

ودونا اسميهما عليه، أحدهما مقابل الجزء الأعلى من الصفحة، والآخر في الجزء الأسفل منها.

فالأول كتب في مطالعته بخط يشبه الخط الفارسي العبارة التالية: «طالع فيه تغري برمش[1] الفقيه في سنة ط ل ض». وهذا ينقلنا إلى الأسلوب السائد في تحديد التواريخ في ذلك العصر من خلال حساب الجمل[2]، فحرف الطاء يساوي ٩ وحرف اللام يساوي ٣٠ وحرف الضاد يساوي ٨٠٠، وعليه يكون تاريخ مطالعة هذا القارئ تغري برمش في سنة ٨٣٩ هـ.

أما المطالع الآخر الذي دون اسمه في الجزء الأسفل من الصفحة بخط شبيه بالذي قبله، فقد كتب في مطالعته العبارة التالية: «طالع فيه العبد الفقير طوغان شيخ[3] عفا الله عنه، آمين في سنة ٨٤٣هـ[4]»، فالأرقام كتبت بصورة الأرقام الهندية، أما الرقم الأخير وهو رقم المئات فإنه تعرض لشيء من الطمس، لكن بقي جزء يسير منه يوحي بأنه رقم ٨، ولعل تاريخ وفاة طوغان شيخ عام ٨٥٢ هـ، الذي كتب مطالعته في هذا الكتاب تدعم وتعزز هذا الاحتمال بشكل كبير، فيكون تاريخ المطالعة في عام ٨٤٣ هـ، وهذا لا يعارض جميع التواريخ التي وردت في هذا الكتاب سواء لكاتبه أو لمن ألف له أو لمن طالع فيه.

وإذا ما انتقلنا إلى داخل الكتاب، فإن المؤلف بدأ بدايتين، بداية عامة تتألف

(١) هو تغري برمش بن عبد الله الجلالي الناصري فرج ثم المؤيدي شيخ، لفقيه كان محدثاً حافظاً فصيحاً، تولى نيابة قلعة الجبل للملك الظاهر جقمق، ثم أخرجه إلى القدس وبقي هناك إلى ان مات مطعوناً في رمضان سنة اثنين وخمسين وثمانمائة للهجرة.

انظر عنه السخاوي - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣/٣٣، ٣٤، ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٥٣،١٥، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ٧/٢٧٣.

(٢) حساب الجمل ضرب من علم الرمل.

(٣) هو طوغان بن عبد الله العثماني، كان حاجب حلب، ثم نائباً للقدس، ثم نائب غزة، وكان يوصف بالشجاعة، وهو من مماليك الاتابك الطنبغا العثماني الظاهري، توفي في غزة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، انظر: السخاوي - الضوء اللامع ٤/١٣، ابن تغري بردي - الدليل الشافي على المنهل الصافي ١/٣٧٣.

(٤) كتب تاريخ السنة بصورة الأرقام الهندية، اما الرقم الاخير فكان مطموساً.

من لوحة كاملة بدأها بالبسملة ثم بالحمولة والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم أوجز موضوعات كتابه والأبواب الذى سيتحدث عنها وأنواعها .

أما فى اللوحة الثانية فقد بدأ البداية الخاصة عن العمل بالسيوف وجواهرها ومقادير قدودها، وقد بدأ المؤلف بنبذة موجزة عن أهمية السيف والحاجة إليه كل زمان ومكان، ثم أورد أحاديث وآثاراً تبين فضل السيف ومكانته وأهميته، ثم تحدث عن السيوف من حيث جودة صنعها، حيث قسمها إلى أربعة أقسام وهى : الجديد، والعتيق - وهو أفضلها، وقسمه إلى ثلاثة أقسام على الترتيب : اليمانى ثم القلعى ثم الهندى - أما القسم الثالث فهى المحدثة وهى الرديئة، والقسم الرابع غير المحدثة وهى المتوسطة .

وبعد ذلك تحدث عن السيوف من حيث منشؤها وسبكها، حيث جعل لها ثلاثة عشر باباً، عنون لكل منها بخط عريض مميز، فأحياناً يضع هذا العنوان بسطر مستقل، وأحياناً مع بداية السطر وأحياناً مع نهايته، ولكنه يميزها بخط عريض وكبير، ثم يدخل فى تفاصيل ذلك، وعلى ما سيلمسه القارئ لهذا الكتاب .

وفى نهاية الحديث عن السيوف وما يتعلق بأنواعها وصناعتها أفرد عنواناً يتعلق بأغماد السيوف والطرق السليمة لاستعمالات ذلك .

أما عن عدد لوحات الكتاب المحقق فإنه يتألف من ١٤ لوحة دون لوحة الغلاف، مسطرة كل صفحة ١٣ سطراً، فى كل سطر عدد من الكلمات تتراوح بين السبع إلى تسع كلمات، كل ذلك بخط نسخى واضح، ومقروء، كما أنه كان مشكل الأحرف فى الغالب، وهو ما ساعد على تسهيل قراءاته وتحديد مراد المؤلف منه، والكتاب بشكل عام ليس فيه طمس أو تخريم أو سقط بشكل واضح، سوى بعض الأشياء البسيطة التى تم التنويه عنها فى مواضعها .

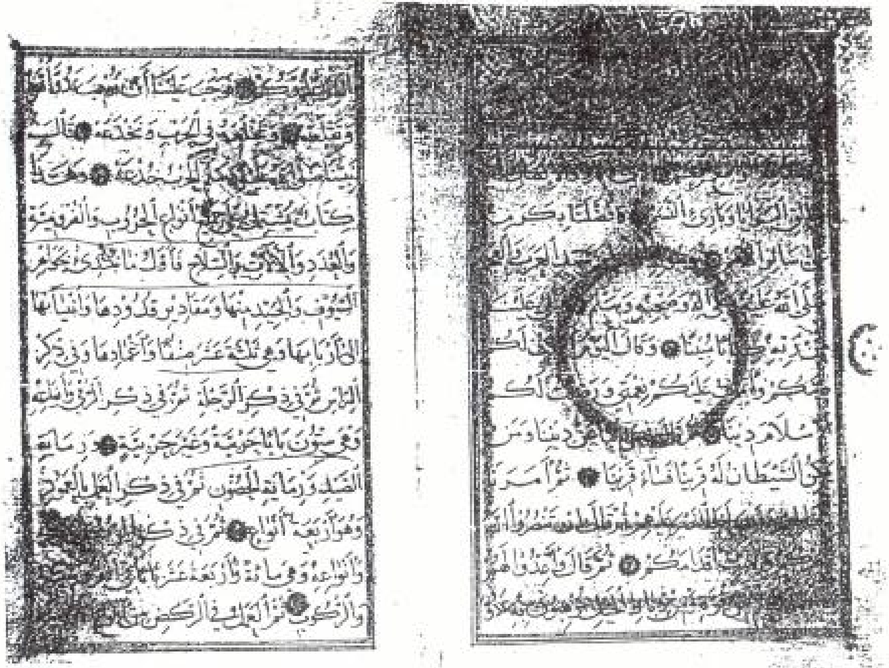

اللوحة الأولى من المخطوطة

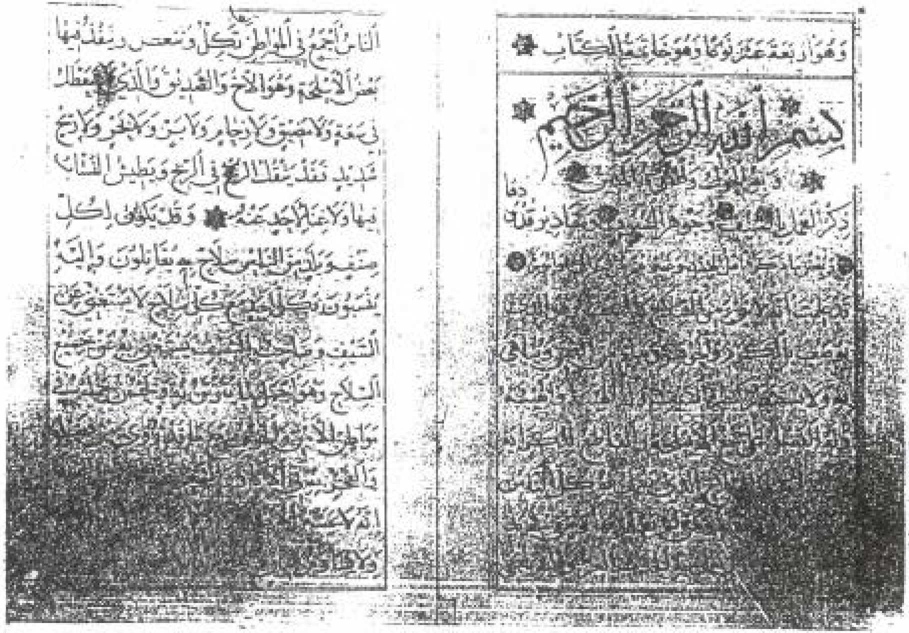

وهو أربعة عشر نوعًا وهو جامع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

ان من أنجع في المواطن يكل وتنقص ... منها
بعض الأسلحة وهو الرمح والقنا ... يبطل
[illegible]

اللوحة الثانية من المخطوطة

[١ / أ] بسم الله الرحمن الرحيم(١)

رب يسر ولا تعسر(٢)

الحمد لله الواسع النعم، ذي الآلاء والإفضال والكرم، خالق البرايا وبارئ النسم، فضلنا بكرمه على سائر الأمم، برسوله المصطفى سيد العرب والعجم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. فتلا علينا من ربه كتاباً مبيناً. وقال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، ثم قال فيمن تبأ عن ديننا: ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾ [النساء: ٣٨]، ثم أمرنا بقتالهم، وضمن لنا النصر عليهم، ثم قال: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾ [محمد: ٧]، ثم قال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فوجب علينا أن نرهب عدو الله ونقلعه، ونخلعه في الحرب ونخدعه، قال نبينا ﷺ: «الحرب خدعة»(٣).

وهذا كتاب يشتمل على جميع أنواع الحروب، والفروسية، والعدد، والآلات، والسلاح.

فأول ما نبتدئ بجواهر السيوف، والجيد منها، ومقادير قدودها، وأنيابها إلى أربابها(٤) – وهي ثلاثة عشر صنفاً(٥) – وأغمادها. وفي ذكر التراس، ثم في

---

(١) وردت بعد البسملة عبارة «وبه نستعين».

(٢) وردت هذه العبارة في وسط السطر الثاني وتحت البسملة ولهذا أوردتها كما جاءت.

(٣) أورده البخاري ومسلم من طريقين أحدهما من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه، والآخر من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، انظر صحيح البخاري ٤ / ٢٤، وصحيح مسلم ١٢ / ٤٥، وانظر أيضاً مختصر سنن أبي داود ٣ / ٤٣٣، ومسند الإمام أحمد ٣ / ٢٩٧.

(٤) يعني إرجاعها إلى أصحابها وصانعيها وأماكن صناعتها، على ما سيأتي إن شاء الله.

(٥) أورد المؤلف منها بذكر عناوينها أحد عشر صنفاً، إلا أنه ذكر السيوف السليمانية بعنوانين لكن –

ذكر الرجلة، ثم في ذكر الرمي وأنواعه وهي ستون باباً حربيةً وغير حربية. ورماية الصيد ورمايةحصون، ثم في ذكر العمل بالعمود وهو أربعة أنواع. ثم في ذكر الركوب وأنواعه، وهي مائة وأربعة عشر باباً في الفروسية والركوب. ثم العمل في الركض من أنواع الفروسية، [٢ / ب] وهو أربعة عشر نوعاً وهو خاتمة الكتاب.

* * *

= ومن خلال ما ستقره النصوص الواردة لكل منهما ومتابعتها ومقارنتها بما جاء في المصادر الأخرى تم تحديد الفرق بين نوع السيوف السلمانية والسيوف السليمانية وسيتم الإشارة لها في موضعها، مما يدل على حدوث تحريف بالخط، كما أن نوع السيوف اليمانية لم يضع لها عنواناً رغم أنه تحدث عنها كثيراً مما يوحي بحدوث سقط من الناسخ لذكر هذا العنوان حيث ستلزم مني إضافة العنوان في مكانه المناسب حيث سأشير إلى ذلك في موضعه إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الحول والقوة المتين[١]

ذكر العمل بالسيف، وجرهر[٢] السيوف، ومقادير قدودها[٣]، وبعض ما ذكره أهل الهند وغيرهم من أحوالها وأمورها.

قد علمت أنه لا شيء من السلاح كالسيف، وهو الذى يوصف بالكرم والجوهر، ويبلغ من الثمن ويباهى به، ولا يستنصر كنصرة السيف، وله الهيبة والهيئة، وله الفضل على جميع الأسلحة، والقاطع للكراية[٤] من الضرائب، والسلاح الذى يعمل به كل الناس، ممن علم بالفروسية ومن لم يعلم بها، ويتقى فى يد الشيخ الكبير ويعمل به الحدث الغر[٥]، وإليه يلتجئ [٢ / ب] الناس أجمع فى المواطن التى تكل وتتعطل وينفذ فيها بعض الأسلحة، وهو الأخ والصديق، والذى لا يتعطل فى سعة ولا مضيق ولا زحام ولا بر ولا بحر ولا ريح شديد، فقد يثقل الرمح فى الريح، ويطيش[٦] النشاب فيها، ولا غنى لأحد عنه.

وقد يكون لكل صنف وبلد من الناس سلاح، به يقاتلون وإليه ينسبون،

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى وسط السطر الثالث تحت البسملة من اللوحة الثانية.

(٢) الجوهر هو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به، وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته، انظر ابن منظور – لسان العرب ٢ / ٧١٢.

(٣) من القد وهو الاعتدال، يقال: فلان حسن القد. أى الاعتدال والجسم وشيء حسن القد، أى حسن التقطيع، ومنه قد السيف. انظر ابن منظور – لسان العرب ٦ / ٣٥٤٣.

(٤) لم أقف على معنى لها فى المصادر التى رجعت إليها.

(٥) أى الصغير المغرور.

(٦) يقال: طاش السهم عن الهدف يطيش طيشاً إذا عدل عنه ولم يقصد الرمية، انظر ابن منظور – لسان العرب ٥ / ٢٧٣٩.

فكل أحد مع كل سلاح لا يستغنى عن السيف، وصاحب السيف يستغنى به عن جميع السلاح، وهو أجمل ما يتزين به، ويحسن حمله فى مواطن الأمن والخوف، مع ما قد روى من فضله والفخر به فى الآثار والشعر، فقد قالت الفضلاء: «إنه لا يمسه إلا طاهر، ولا يراه من النساء حائض، ولا يساوم بيمين(١)» ولا يتناول مشهوراً(٢) إجلالاً له [٣/أ] وعزة.

وروى عن الفضلاء أنه «ملعون من ناول أخاه السيف مشهوراً»(٣)، لما فيه من الهيبة.

وقد أمر الله عز وجل به فى كتابه المجيد فقال: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ** ﴾ [محمد: ٤]، وفسر المفسرون قول الله عز وجل: ﴿ **فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقالوا: هم الشهداء، يتيهون حول العرش متقلدى سيوفهم(٤).

وروى أيضاً «المتقلد سيفاً بنية الجهاد فى سبيل الله تصلى عليه الملائكة مادام

---

(١) لم أقف على رواية لهذه من المصادر التى رجعت إليها، علماً بأن مثل هذا الكلام لم يرد له ما يؤيده من القرآن أو السنة أو فعل الصحابة رضى الله عنهم. ولعل المراد هنا هو تكريم السيف وإعطاؤه المكانة اللائقة به بحكم أهميته.

(٢) مشهوراً أى مسلولاً، ومن معانيها يقال: سل السيف فهو مسلول، وشهره فهو مشهور، وأصلته فهو مصلت، وجرده فهو مجرد، واخترطه فهو مخترط، انظر عبد الرحمن الهمذانى (الألفاظ الكتابية ١٢٤، ١٢٥).

(٣) أورد أبو داود فى سننه حديثاً عن رسول الله ﷺ بهذا المعنى من رواية جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه أنه «نهى أن نتعاطى السيف مسلولاً»، انظر سنن أبى داود ٣/ ٧٠، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٠٠، ومختصر سنن أبى داود ٣/ ٤٠٥.

وفى رواية... «إذا سل أحدكم السيف فليغمده ليناوله أخاه». أورده السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٢٨، وانظر أيضاً الفتح الكبير ١/ ١٢٠.

(٤) أورد ابن كثير حديثاً من رواية أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية: ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟ قال: «هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر...» الحديث، انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٤.

متقلداً»(١).

وروى أيضاً: أنه قد جاء في الآثار أن سيوف المجاهدين مفاتيح الجنة(٢).

وروى أيضاً في آثار الصحابة رضي الله عنهم، أن الله عز وجل يباهي الملائكة [٣/ب] بالمتقلدي السيوف في سبيله(٣).

وروى أيضاً عن الصحابة رضي الله عنهم: من تقلد سيفاً في سبيل الله تعالى قلده الله عز وجل يوم القيامة بوشاح الكرامة(٤).

ومن سل سيفاً في سبيل الله بايعه الله يوم القيامة.

وقد تكلم سائر الأمم فيها، ومن ذلك ما قالته الشعراء الفصحاء في مدح السيوف والافتخار بالضرب، منهم طرفة بن العبد(٥)، حيث يقول:

حسام إذا ما قمت منتصراً به

كفى العود(٦ منه البدء ليس بمعضد٦)

---

(١) أورده بهذا المعنى ابن جماعة الحموي، انظر مستند الأجناد ص ٥٨، وانظر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٤، والهندي في منتخب كنز العمال ٢/ ٢٩٠.

(٢) أورد ذلك السيوطي في كتابه الفتح الكبير ٢/ ١٧٥، وكذلك الجامع الصغير ٢/ ٣٩.

(٣) انظره بمعناه عند ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٤، والهندي في منتخب كنز العمال ٢/ ٢٩٠.

(٤) أورده ابن جماعة وغيره بلفظ «من تقلد سيفاً في سبيل الله قلده الله يوم القيامة وشاحين في الجنة»، انظر مستند الأجناد ص ٥٨، وانظر أيضاً منتخب كنز العمال ٢/ ٢٩٠.

(٥) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله من ندمائه، ثم وشي به، فأرسله بكتاب إلى عامله على البحرين يأمره فيه بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله وهو شاب يافع، وكان ذلك نحو ٦٠ قبل الهجرة، انظر أبو بكر الأنباري - شرح القصائد السبع الطوال من ١١٦ - ١٣٢، ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٨٨، ٨٩، محمد بن سلام الجمحي - طبقات الشعراء ٤٩، ٥٠.

(٦-٦) في المخطوطة: «منه ليد ليس بمعضد». والتصحيح من المصادر الأدبية، انظر الأنباري - شرح القصائد السبع ٢١٤، القرشي - جمهرة أشعار العرب ص ٢٠٧.

أخو(١) ثقــةٍ لا ينثنى عن ضــريبــةٍ

إذا قلـت(٢) مـهـلاً قـال حـاجـزه قـد(٣)

قيل: أرفع السيوف من كل صنف العتيق(٤) منها.

[٤/أ] وليس العتيق من السيوف سيفا واحدا، إنما يذهب من عتقها إلى الكرم، كما يقال: فرس عتيق وهو مهر، يراد به الكريم(٥)، فأى شيء لحقته خواص الكرم فهو عتيق(٦) فى أى دهر صنع، وأما الأحدث الأبعد من العتق فهو ضده فى المعنى - أعنى ما عدم من خواص العتيق - فلذلك سمى بضد اسمه، أعنى محدثاً. وإن كان صنع قبل زمان عاد(٧). ألا ترى أن السيوف إنما إلى جواهرها، وفرنداتها(٨)، وفدودها.

فالجديد لا يزيد جوهرها ويلحق فرنده لقدمه، ولا ينقص لقرب عهده من أن

---

(١) فى المصادر الأدبية «أخى ثقة» وهى صفة للسيف أى موثوق به، انظر ابو زيد محمد بن ابى الخطاب القرشى، جمهرة أشعار العرب ٢٠٨، وانظر ايضا الأنبارى: شرح القصائد السبع الطوال ص ٢١٤.

(٢) فى المصادر الأخرى: «إذا قيل»، انظر ابن منظور - لسان العرب ٦/٣٥٤٥ - وانظر الأنبارى - شرح القصائد السبع الطوال ص ٢١٤، القرشى - جمهرة أشعار العرب ٢٠٨.

(٣) حاجزه بمعنى صاحبه، وقد بمعنى حسبى، انظر ابن منظور - لسان العرب (ق د د).

(٤) العتيق هو كل شيء بلغ النهاية فى الجودة والحسن من صلب قديم نوعه كريم. انظر لسان العرب ٥/٢٧٩٩.

(٥) انظر الجوهرى - الصحاح ٤/١٥٢١، وابن منظور - لسان العرب ٥/٢٧٩٩.

(٦) انظر عن ذلك الجوهرى - الصحاح ٤/١٥٢٠ - ١٥٢١، ابن منظور - لسان العرب ٥/٢٧٩٩.

(٧) أورده الكندى فى رسالته. انظر السيوف وأجناسها ص ٧ مخطوطة نشرها د. عبدالرحمن زكى فى مجلة كلية الآداب بالقاهرة - المجلد ١٤ ج٢ عام ١٩٥٢م.

(٨) الفرند: وَشْيُ السيف وهو دخيل، وفرند السيف وإفرنده رُبَدُهُ ووشيه. وفرند السيف جوهره وماؤه الذى يجرى فيه، وطرائقه يقال لها: الفرند وهى سفاسقه، ويطلق الفرند على السيف نفسه، قال جرير:

***

وقــد قطع الحــديد فــلاتمور ... فــرند لا يفــل ولا يــذوب

انظر: الجوهرى - (الصحاح ٢/٥١٩)، وابن منظور - (لسان العرب - ف ر د).

يعمل فيه قدم الزمان.

والعتيق ينقسم ثلاثة أقسام على جواهر هذا الاسم: فأولها وأجودها اليماني، ثم ثانيه القلعي(١)، ثم ثالثه الهندي(٢).

ومن السيوف المحدثة، وهي الرديئة من السيوف.

وأما التي [٤ /ب] ليست بعتيق ولا محدثة فتسميها الصياقلة(٣) غير محدثة، وهي المتوسطة من السيوف بطبع اليمن من الحديد السليماني السرنديبي(٤)، فيقال غير مولود وهي السيوف حكى بها اليمانية(٥).

فأما اليمانية فجوهرها جوهر مُعْوَجٌ متساوي العقد، ليس العقد أكبر من بعض، أبيض الجوهر، أحمر الأرض، أخضر الأرض(٦) قبل الطرح، قريب من سيلانه آثار بيض شبيهة بالدود يتلو بعضها بعضا شبيهاً بالفضة(٧).

ومنها العريض الأسفل، المخروط(٨) الرأس، المربع السيلان.

---

(١) القلعي بالتحريك مرج القلعة وهو موضع بالبادية وإليه تنسب السيوف.
وبالسكون: اسم معدن ينسب إليه الرصاص الجيد وهو بالشام، وذكر ياقوت أنه بالأندلس وإليه تنسب السيوف القلعية. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٨٩، ولسان العرب (قلع).
أما البيروني فنفى نسبة القلعي إلى المكان، انظر (الجماهر ص ٢٤٨).

(٢) انظر الكندي في رسالته (السيوف، وأجناسها ص ٨-٩).

(٣) الصقل هو الجلاء، والمصقلة هي التي يصقل بها السيف، والصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها والجمع صياقل وصياقلة، انظر الجوهري - (الصحاح ٥ / ١٧٤٤)، ابن سيده - المخصص ٢ / ٢٣، ابن منظور - (لسان العرب ص ق ل).

(٤) سرنديب جزيرة عظيمة بأقصى بلاد الهند، بها جبل عظيم تكثر فيه المعادن من حديد وياقوت والماس ونحوها، انظر الحموي - (معجم البلدان ٣ / ٢١٥ - ٢١٦)، تسمى الآن سيرلانكا أو سيلان.

(٥) انظر الكندي في رسالته (السيوف وأجناسها ص ٩) حيث وردت عنده بصورة مماثلة.

(٦) ذكر ذلك البيروني في كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٥٣).

(٧) انظر: البيروني، إلا أنه ذكر أنه شبيه بدبيب النمل المتتابع (الجماهر ص ٢٥٤)، أما الكندي فقد أورده مثل ما أشار إليه المؤلف هنا، انظر (رسالة السيوف ص ١٥)، وانظر النويري (نهاية الأرب ٦ / ٢٠٧).

(٨) هو الذي يكون رأسه وقده غير متساويي الأبعاد ويكون طرفه كطرف اللسان.

وأكثر ما يكون من علامات العتيق التى طبعت فى الجاهلية، نقش فى السيلان بالسنبك(١)، وثقب السنبك من أحد الجانبين أوسع أو متساويتين، والوسط أضيق .

ومنها اربع شُطب(٢)، ومنها المحفور، وهو الذى شطبه شبيهة بالأنهار، مدورة الحفر(٣) [٥ /أ] حفر بالمبرد مدوراً .

ومنها الذى شُطْبَهُ ذا شكات(٤)، وهى شُطَب بزوايا مربعة من داخل الشطب، متساوية فى وجه السيف (٥) .

ومنها ذو ثلاث شطب، واحدة فى الوسط، واثنتان فى الشفرتين(٦)، وأكثر ما يكون منها عرضاً ثلاث(٧) أصابع تامة، وأقل ما يكون منها إصبعان ونصف، وهى [الخفاف](٨) .

باب القلعية(٩)

ليس يكون فى القلعية ما يكون عرضه اربع أصابع، ولا ثلاثة تامة

---

(١) السنبك فى السيف هو طرف حليته، وذكر ابن منظور نقلاً عن التهذيب أنه طرف نعله، انظر (المخصص ٢ /٢٧) و(لسان العرب س ب ك) .

(٢) هو القنوات التى تحفر على وجه النصل لتقلل من ثقله ولتجعله أكثر ليونه وقابلية للانثناء، وذكر النويرى أنها الطريق فى حدى متنيه، انظر (نهاية الأرب ٦ /٢٠٧) .
وذكر البيرونى أن الشطب من السيوف هو الذى فيه طرائق كالجداول معمولة فربما كانت مرتفعة وربما كانت متجددة . انظر (الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٥٣)، وانظر (المخصص ٢ /١٨ – ١٩) .

(٣) ذكر ذلك الكندى وسماه الابدر بكدح ومعناه الموقّع فيه الشطب المعمول بالكوثر، انظر (رسالة السيوف ص١٦) .

(٤) كتبت « بداشكات » والتصحيح مما ورد عند الكندى، انظر (رسالة السيوف ص ١٦)، وهى من الشكشكة وهى حدة السلاح، انظر: البستانى (محيط المحيط ١ /١١١٦) .

(٥) ذكر هذا النوع الكندى وأشار إلى أنه يسمى « شهادست » . انظر (رسالة السيوف ص١٦) .

(٦) أشار الكندى إلى أن هذا النوع كان يسمى « دست » وهى تسمية الجاهلية ، انظر: رسالة السيوف ص ١٦ .

(٧، ٨) ساقطة وأضيفت مما ورد عند الكندى، انظر (رسالة السيوف ص١٧) .

(٩) تحدث البيرونى عن القلعية وتسميتها ونسبتها، انظر (الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٤٨ – ٢٥٠) حيث يختلف مع غيره فى النسبة إلى المكان .

إلا معمول (١)، وطولها ما بين الأربعة أشبار إلى الخمسة، وقدودها مستوية أعاليها وأسافلها واحدة، أرق(٢) من سيلان اليمانية، ومكاسرها ومكاسر اليمانية كالفضة البيضاء، فأما المعمول منها عملاً فيأتي على غير سبك(٣)، ويؤخذ على كل طبع، إلا أنه لا يكون منها مشطب، وهي أصغر فرنداً من اليمانية، وأكثر تعقيداً [٥ / ب] لجوهره، وأشد اختلاف عقد، وأشد حمرة جوهراً وأرضاً، توجد نقية من العروق(٤)، والله أعلم.

باب الهندية

جوهرهاشبيه [بجوهر اليماني](٥)، إلا أن جوهر اليماني يضرب إلى السواد، وكذلك مكاسرهاتضرب إلى السواد.

ويقع من المولدة مما جاء من خراسان أجناس، تدخل في القلعي واليماني. فإذا رأيت منها في قدّ القلعي أشد تعقداً من القلعي، يتداخل الفرند بعضه في بعض، يضرب إلى السواد مختلف الفرند من أوله إلى آخره، موضع فرند صغار وموضع كبار، ووجد الموضع الذي يتركه للصياقلة بلا سقي، وهو على قد شبر من السيلان فرند صغار، ميت شبيه بالشيلم(٦)، فاعلم أنه مُولَّدُ، فاجْلِ منه قطعة فإنك ترى مجرى [٦ / أ] الزيت من تحت المصقلة فيها خَفِيَ، وترى الفرند

(١) ذكر البيروني أن «السيوف القلعية تمتاز بأنها عرض». انظر (الجماهر ص ٢٤٨).

(٢) وردت عند الكندي بلفظ «أدق». انظر (رسالة السيوف ص ٢٣).

(٣) السبك هو تذويب المعدن - أيًا كان - وإفراغه في قالب. والسبيكة القطعة المذوبة منه، انظر: ابن منظور (لسان العرب س ب ك).

(٤) أورد الكندي ذلك مماثلاً لما ذكره المؤلف هنا. انظر (رسالة السيوف وأجناسها ص ٢٣).

(٥) ساقطة، وأضيفت لمقتضى السياق، كما أن عبارة (إلا أن جوهر اليماني) تكررت مرتين.

(٦) وردت عند الكندي «بالسلم»، انظر (رسالة السيوف ص ٢٤). «والشيلم» هو زؤان القمح وهو الذي ينقى منه ويرمى به، انظر: (أبو الحسن المنائي، المنتخب ج/ ١ / ٣٦٢، ٢ / ٦٧٥) وانظر: عبدالفتاح الصعيدي وحسين موسى في (الإفصاح في فقه اللغة ٢ / ١٠٩٥، ١٠٩٧).

الذى وصفت لك فى صدر الكتاب فى اليمانية شبيهاً بالدود الذى يتلو بعضه بعضاً، فى المولدة كمدة(١) تضرب إلى السواد(٢)، والزيت الذى يخرج من تحت مداوسها وسخ قليل(٣)، والمولدة تخرج حماها ومكاسرها مثل الرماد، والزيت الذى يخرج من تحت مداوسها أسود(٤).

السلمانية(٥)

صنفان : صغار، وكبار.

أما الكبار(٦) فطولها أربعة أشبار، وعرضها ما بين أربع أصابع مضمومة إلى ثلاثة أصابع ظواهر الجواهر من غير طرح، جياد المتون، حسنة الرءوس(٧)، سيلاناتها تشبه سيلانات القلعية، وأوزانها ثلاثة أرطال إلى ثلاثة ونصف(٨).

[٦ /ب] والصغار : منها لطاف للعروض(٩)، ظاهرة الجوهر، والصغار الجوهر

---

(١) الكمد هو تغير اللون وذهاب صفائه وبقاء أثره. انظر : ابن فارس (مجمل اللغة ٢ / ٧٧٠)، ابن منظور – لسان العرب ك م د).

(٢) إلى هنا أورده الكندى فى : رسالة السيوف ص ٢٤.

(٣) كتبت « قليلاً » والصحيح ما أثبتناه وهو مقتضى السياق.

(٤) انظر ذلك عند الكندى – حيث ذكر أيضاً أن اليمانى والقلعى العتيق يخرج منه وسخ قليل وكذا الهندى، بخلاف المولد – فى رسالته (السيوف وأجناسها ص ٢٤ – ٢٥).

(٥) وردت السليمانية ولكنه تصحيف من الناسخ حيث سيأتى معنى النوع الذى يطلق عليه سليمانى، وعند مقارنة ما وجد هنا بما أورده الكندى فى السيوف السلمانية وجد بينها تطابق، مما استلزم هذا التصحيح، كما أن الكندى نسب هذا النوع لأرض سلمان القريبة مما وراء النهر من خراسان، انظر (رسالة السيوف ٢٦).

(٦) ذكرها الكندى وأطلق عليها اسم الرثوث وأورد لها وصفاً مشابهاً لما هو هنا، انظر « رسالة السيوف ص ٢٧ / ٢٨ ».

(٧) كتبت (الرؤس) والصحيح ما أثبتناه.

(٨) ذكر ذلك الكندى وأشار إلى أن أوزانها ما بين أربعة أرطال وأربعة ونصف وأقلها ثلاثة أرطال ونصف. انظر : (رسالة السيوف ص ٢٨).

(٩) المقصود بها العروض العسكرية التى تعمل بحضرة قادة الجيوش أو الخلفاء، أو الأمراء أو الولاة.

توجد حمراء بعد الجلى، والفرند منه مقدار واحدة ونصف من فرند القلعى، وأكثر من فرند اليمانى(١)، و الجوهر قليلاً، ويرى فرنده بعد الطرح غير متصل فى مواضع عدة، ليس فى كله وربما وجد على مقدار إصبعين من سيلانهاطابع، فيه اسم أصابعه، وأجودها : ما وجد عليه قد انحطم ، وأردأ هذا الصنف من السيوف ما وجد فرنده عريضاً، ليست بظاهره(٢) حمرة(٣).

السرنديبية(٤)

أقطع هذا الجنس الذى يسمى اللتى(٥)، وفرند هذه السيوف دقاق صفر، أكثر عرضها ثلاثة أصابع، تشبه حديدها باليمانية، إلا أنه لا يخلو فرنده من الدقة والهزال، وأرضه قبل الجلى حمراء، تضرب إلى الغبرة وبعد الجلى حمراء، وفرنده صغار [٧/أ] أصفر، نسبة قدود اليمانية السواذج(٦)، وفيها ما طبع بفارس، عليها تماثيل مذهبة(٧).

البيض(٨)

هى سيوف قصار، أعرض ما يكون منها ثلاثة أصابع، وطولها ثلاث أشبار

(١) انظر الكندى (رسالة السيوف واجناسها ص ١٠).

(٢) فى المخطوطة : « بظاهره ».

(٣) هذا النوع الأخير الذى ذكر المؤلف أنه أردأ هذا الصنف، ذكره الكندى وسماه « البهنك » وذكر أن عرضها ما بين ثلاثة إلى أربعة أصابع وطولها أربعة أشبار . انظر (رسالة السيوف ص ٢٧).

(٤) ذكر البيرونى عن سرنديب أنها معربة من الهند وإليها ينسب السيف المهند . انظر (الجماهر ص ٢٥٣) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٥) ذكر الكندى أن هذا النوع يدعى التىء ولا يحمى عليه بالنار، انظر (رسالة السيوف ص ٢٩).

(٦) قال عنها الكندى أن هذا النوع مما يصنع بالمنصورة ويسمى السيف المنصورى نسبة إلى المنصورة مدينة بالسند اسمها القديم « عينو » . انظر (رسالة السيوف ص ٢٩ – ٣٠).

(٧) ذكر الكندى أن لها طرزا تسمى شاه فخر بمعنى « الملك فى الصيد » انظر « رسالة السيوف ص ٣٠ » وقد ذكر د. عبدالطيف زكى أن هذا النوع يعرف بالسيوف الخشروانية . انظر (السيف فى العالم الإسلامى ص ١١٥).

(٨) ذكر الكندى أن البيض ينقسم إلى قسمين هما الكوفية المطبوعة بالكوفة فى أول زمن الكوفة وهى المسماة بالزيدية نسبة إلى الرجل الذى طبعها يقال له زيد فنسبت إليه، والثانية الفارسية، انظر : « رسالة السيوف وأجناسها ص ١٠ ».

وأربع أصابع، مفرجة كلها، وسيلاناتها دقاق، أعاليها أدق قليلاً رقاق، في ثقب سيلاناتها نقش بالسنبك، رءوسها أثقل من أسافلها(١) ورءوسها إلى التدوير ملسنة(٢)، دقاق الأطراف، وفرانداتها شبه الأكمنة(٣) التي في القلعية، كلها مستوية.

ومنها ما يكون فرانداتها مشجرة كلها، فما كان منها فيه موضع مشجر، وموضع غير مشجر فذلك مُوَلَّدٌ.

والبيض الكوفية أقطع من الفارسية(٤)، ومنها ما يكون له وشاحان(٥) على الحد، وهي أصبر السيوف على الكراية وأقطعها لها.

وعلامة [٧/ب] الفارسيِّ أنه أطول من الكوفي، وأكثر سيلاناً بإصبعين(٦)، وأعرض جوهراً من الكوفي(٧).

[اليمانية](٨)

الخفاف، منها القبورية(٩)، تكون سواذج(١٠) لاشطب فيها مختلفة في الطول ما بين الثلاثة الأشبار وأربع أصابع إلى أربعة أشبار.

(١) المقصود بالأسافل هو ما يلي القائم. انظر: الكندي «رسالة السيوف وأجناسها ص ٣١».

(٢) الملسن هو ما جعل طرفه كطرف اللسان، انظر ابن منظور «لسان العرب: ل س ن».

(٣) وردت عند الكندي «شبيهة بالأمكنة». انظر «رسالة السيوف ص ٣١».

(٤) انظر: «رسالة السيوف وأجناسها للكندي ص ١٠ وص٣١».

(٥) الوشاح هو الحلية أو الرونق، انظر: ابن منظور «لسان العرب: و ش ح».

(٦) في حين ذكر الكندي أن البيض الفارسي أطول من الكوفي بثلاث إصبع. انظر: «رسالة السيوف ص٣١».

(٧) إلى هنا انتهى الحديث عن السيوف البيض. ويبدأ الحديث عن اليمانية.

(٨) هذا العنوان ساقط من المخطوط وأضيف لمقتضى السياق؛ لأن المؤلف يتحدث هنا عن السيوف اليمانية حيث إن الناسخ لم يميزه بعنوان كغيره مما سبق من أنواع السيوف.

(٩) أما الكندي فإنه أطلق عليها اسم «القلجورية». وفي نسخ أخرى سم «العنورية» وأخرى «القبوزية» وأخرى «القبيورية». وصورة هذه الكلمات متشابهة مما يعزز صحة كونها القبورية. انظر: «رسالة السيوف ص١٧».

(١٠) في الأصل «سواذجا»، وهي ممنوعة من الصرف.

فأما العراض فيكون طولهاثلاثة أشبار ونصفاً، وتكون أوزانها ما بين الرطلين ونصف إلى ثلاثة[1] أرطال غير ربع. والتي فيها ثلاثة[2] غير ربع مضطربة القدود، شديدة الالتواء إلى الاستقامة.

ولا تكاد اليمانية تسلم من العروق المفتوحة، وقد يوضع على العروق التماثيل، ويكتب عليها الأسماء لتختفي، فكل كتاب يصاب فيه سيف أكثر من أسفل السيلان بأربعة أصابع مضمومة بالعرض فهو عن كسر، وان كان خط، دَقَّ أو غَلُظَ [٨ /أ] فهو على عروق.

وإن وجد على سيف تمثال رجل أو حيوان تام مذهب، فهي على عيب يسمى الكباكي[3]، ينكسر من ذلك الموضع، فإن رأيت في اليماني شبيهاً بالصئبان[4] ثقب يسمى السوسك[5] يابس إذا جلى أحمر، ولا يصاب هذا الفن إلا في اليمانية العتق القبورية ، وما يتخوف أن تضربه في الوقت البارد من الزمن.

والعروق في السيوف تكون من الدواء الذي يطرح على الحديد في وقت الطبع، لا يختلط بالحديد على الاستواء، فيبقى موضع العروق ليناً لا فِرِندَ فيه، فإذا وقع في الشفرة[6] فَضُرِبَ به تجلّس.

ومنها ما دخل عليه الماء فصار شبيهاً بالعرق، لا فرند له، والعرق لا يضر السيف إلاما كان على الحد، فإنه لا يشرب الماء ولا يقطع [٨ /ب] سيفه أبداً.

والعروق الخفية هي: التوكات[7] في الحديد، والماسات ما صغر منها مقدار

---

(١) في حين أشار إليها الكندي باسم «الكياكي». انظر: «رسالة السيوف ص١٨».

(٢، ٣) الصئبان هي صغار القمل وشبهها المصنف هنا بها لصغر الثقوب في السيف.

(٤، ٥) أطلق عليه الكندي السوستك، وقال هو النخالة. انظر: الكندي في «رسالة السيوف ص ١٨».

(٦) الشفرة هي جانب النصل وحد السيف الذي يرق ويشحذ، انظر: ابن سيده «المخصص ٢/ ١٨، ١٩»؛ ابن منظور «لسان العرب شفر» النويري - «نهاية الأرب ٦/ ٢٠٧، ٢٠٨»؛ البستاني «قطر المحيط ١/ ١٠٥٤».

(٧) التوكات هي العروق المتتابعة والمتراصة بعضها إلى جانب بعض مع صغر حجمها.

إصبعين أو نحوه.

والطير وهو عرق، وكل عرق أو ماس يكون فوق المضرب إلى القائم بقدر إصبعين فإنه لا يضر السيف شيئاً(١).

ومن اليمانية الموصولة السيلان، ومنها الموصول الصدر، وإنما يكون ذلك لحادث من ضرب.

وتطبع باليمن(٢) سيوف فيها شُطَبُ دِقَاق كثيرة، وما فيه شطبة واحدة، وسواذج طولها أربعة أشبار أو أكثر. وأقل عرضها أربعة أصابع أو أكثر أو أقل، وليس حديدها سليمانيًا ولاسرنديبيًا(٣)، وأكثرها مستوية القدود، عرض أعاليها وأسافلها واحد(٤). ولا يكاد يكون [٩ / ١] يماني فيه ثلاثة أرطال أبداً(٥)، وليس يظهر فرنده إلا بعد الظهر إلا شيء خفي، وهي أرق من الحديد تضرب إلى البياض والخضرة، والفارسية أسافلها من رءوسها(٦).

الفرنجية

عراض الأسافل، دقاق الرءوس(٧)، في قد اليماني العتيق بشطبة واحدة، عريضة في وسطها كالنهر الظاهر، وجوهرها شبيه بالثياب الطبرية، وتركيب حلق الذراع أبيض الوشي، أحمر الأرض قبل الطرح وبعده، في صدورها أهله أو

---

(١) أورده الكندي مع تقديم وتأخير. انظر «رسالة السيف ص ١٩ – ٢٠».

(٢) كتبت (باليمن) والتصحيح لمقتضى السياق.

(٣) أما الكندي فقد أشار إلى هذا النوع وأكد أن حديده سليماني وسرنديبي وهندي وليس يمانيًا. انظر «رسالة السيوف ص ٢١».

(٤) أي أنه ليس مخروطي الشكل.

(٥) الكندي أن تكون غير ثلاثة أرطال بقوله: «فمن ادعى أنه يقدر على يمان فيه ثلاثة أرطال أتيناه بسيف من هذه فسقناه إلى ما جاء به فإن شاكله فهو صادق وهذا غير موجود». انظر «رسالة السيوف ص ٢١».

(٦) كتبت (رؤسها) والصحيح ما أثبتناه.

(٧) كتبت «الرؤس) والصحيح ما أثبتناه.

ذهب صليب، محشوة بعضها يكون فيه مسمار ذهب أو شبهه، مقصرة عن طرف الذباب بثلاثة أصابع أو أقل، لا يظهر فى هذا الموضع فرند وهى أخرط رءوساً من اليمانية(١) . والله أعلم .

[٩ / ب] السليمانية

حديدها على مثال الفرنجية، إلا أنه أصغر وشياً وأجلى ، وأغرب صنعة، وأول السيف وآخره مستو، غير مخروط، وليس فيها تمثال ولا صليب ، وسيلاناتها تشبه سيلانات اليمانية، وكذلك الفرنجية، إلا أن سيلانات الفرنجية أوفر، ولمعانها(٢) سواء .

والمولدة

فى كل طبع فرند معقد معقداً صغاراً، واحدة إلى جانب الأخرى(٣)، يشبه القلعى، وحديده أسود، أعرض ما يكون إصبعين ونصف، ولا يظهر إلا بعد الطرح، فإن ظهرمنه شيء، قيل: رأيت حديداً مظلماً بعضه يتلو بعضاً، وعلامته أن ثقب سيلانه دقاق(٤) .

المحدثة البصرية

يظهر حديده قبل الطرح معقد تشبه [١٠ /أ] جوهر اليمانى، جوهر ناعم، تبين الرخاوة فيه مع سواد وظلمة، تبينه فى الشمس أضعاف ما تبينه فى ظل ، خشن الشفرة تنبو اليد عنه، وتظهر آثار المصاقل فيه مختلفة القدود من عراض

---

(١) انظر الكندى فى رسالة السيوف ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) فى المخطوطة : « ومعانها » والتصحيح جاء لمقتضى السياق .

(٣) ذكر الكندى أن هذه العقد تعمل بالمنقاش عملاً ثم يداس بالمداوس فيستوى فترى عقده صفوفا يتلو بعضها بعضاً، انظر : « رسالة السيوف ص ٣٤ » .

(٤) أضاف الكندى جنساً من المولدة يقال له : « الحرو » ، وهوما عمل بخراسان فى قد القلعى . انظر رسالة السيوف ص ٣٣ .

ودقاق وقصار وطوال(١).

الدمشقى

قواطع إذا كانت على السقاية الأولى، وهى طوال ، حديدهايشبه حديد البيض، إلا أنه مختلف الجوهر، وقدودها أربعة أشبار، وعرضها أربع أصابع وأقل قليلاً، وهى أقطع من المحدثة كلها(٢).

المصرية

طوال، فيستوى وجه السيف ويشتد قطعه لاستوائه(٣).

الزماهن(٤)

بعضها هندية ، وبعضها رومية، فالهندى(٥) يعرف باضطراب قدِّه والتواء المبرد فى شفرتيه.

وأما الرومية [١٠/ب] فسواذج مضطربة رقاق، وموضع خارج وموضع داخل(٦)، وليس يظهر فى الزماهن كله قليلة وكثيرة جوهر(٧).

---

(١) أشار الكندى إلى الرجل المشهور بطباعة هذه السيوف رجل من البصريين يقال له : سليمان، طبعها سنة ٩٥ وقطع العمل سنة ١٠٩ وكانت تباع بدينارين ونصف، انظر رسالة السيوف ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) لم يذكر الكندى شيئاً من قدودها، لكنه أشار إلى أثمانها وأنها ما بين خمسة عشر درهما إلى عشرين درهماً. انظر رسالة السيوف ص ٣٥.

(٣) أشار الكندى إلى أن حديده حديد بصرى وأن أثمانها عشرة دراهم. انظر «رسالة السيوف ص ٣٥».

(٤) وردت عند المؤلف بلفظ الناز ما هن بزيادة الألف الأولى والتصحيح مما هو المشهور فى رسمها. انظر «الجماهر ص ٢٤٨، ٢٥٢» ، وانظر أيضاً : الكندى «رسالة السيوف ص ١١، ٣٦».

(٥) ذكر الكندى هذا النوع من هذا الفرع وأنه كان يسمى «مندلى» نسبة إلى مندل بالهند ، انظر: «رسالة السيوف ص ٣٦» وانظر ياقوت - «معجم البلدان ٥/ ٢٠٩».

(٦) أورد البيرونى وصفاً للزماهن وأن حديده يلقب بالأنوثة وأنه ينقسم إلى قسمين أحدهما هو، والآخر ماؤه السائل منه وقت الإذابة. انظر: «الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٤٨،٢٥٢».

(٧) ذكر البيرونى : «أن كل سيف لاجوهر فيه يسمى باخرى» ، انظر «الجماهر فى معرفة الجواهر ص ٢٥٥».

واعلم أن القواطع من جميع السيوف من غير جهة جواهرها، بل بأشكالها: فقصارها: إذا جادت متونها، واستوت سطوحها تحتها، فلم يكن فيهاموضع داخل وموضع خارج، ولا موضع أثخن من موضع، وغلظت شفارها، ما خلا نَقْشَ الحديد، فإنه ينبغي أن يكون دقيق الحد، قدر شعرة من كل جانب، هذه أقطع السيوف للكراية، وأما أقطعها للثياب واللحم فأرقها شفاراً، وليس ذلك بمحمود أن تعرض الدقة في الشفرة، فإنها إذا لقيت الضربة الصلبة انْثَنَتْ.

واعتدال السقي عون على القطع، وذلك لأنه إذا اشتد سقيه [١١/أ] انثنت عند الضرب.

والمضرب(١) من السيوف على قدر شبر من الذباب(٢).

وزعم بعض الناس أن السيوف عند خروجها من طبعها وبعده أرواح وأعراف.

فأجودها ما كان رائحته رائحة دهن الدفلي(٣) والنيلوفر(٤)، أو رائحة السمن بالزعفران.

والرديئة: ما كان رائحته رائحة أبوال البقر والْقِرَدَة وريح الضفادع والحمأة(٥) واللحم.

وأشرُّهَا ماكان رائحته رائحة شحم السلحفاة والدم.

---

(١) المضرب هو الذي يضرب به منه وهو نحو شبر من طرفه. انظر: النويري «نهاية الأرب ٦/٢٠٨».

(٢) ذباب السيف حد طرفه وقيل حده مطلقاً. نظر النويري «نهاية الأرب ٦/٢٠٧»، وانظر أيضاً ابن سيده «المخصص ٢/١٩».

(٣) الدفلي: قال الجوهري: نبت مر، وذكر ابن منظور أنه شجر مر أخضر حسن المنظر يكون في الأدوية. انظر «الصحاح ٤/١٦٩٨»، و اللسان: «دفل»، كما أن ابن منظور في موضع آخر قال عن الدهن: إنها شجرة سوء كالدفلي.

(٤) النيلوفر ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ويسمى عند أهل مصر البشنين، انظر حسين موسى وعبدالفتاح الصعيدي «الإفصاح في فقه اللغة ٢/٩٦٧؛ ١١٢٠».

(٥) الحمأة والحمأ: هو الطين الأسود المنتن. انظر ابن منظور «لسان العرب: حمأ».

وزعموا أن للسيوف أصواتاً تسمع كالأنين، ولها عسر عند أحيان السَّلّ، وبرق من غير هَزّ، وأنينها موت أصحابها ، وعسر بريقها ظفر أصحابها، واندلاقها وقوع حرب .

واعلم أن الفارس يحتمل قِصَرَ السيف، وهو في يده أمكن. والراجل يحتاج إلى طول [١١ / ب] السيف، وله فيه الفضل على أقرانه .

وجملة الأمر: أنه ليس ينبغي أن يُتَّخَذَ من كل السلاح إلا الخفيف، الذى يَقْوى عليه صاحبه، وإلا لم ينتفع به .

وأما السيف فإنه لم يكن خفيفاً في يد صاحبه على قدر قوته، ثم ضرب به الضرب اليسير، وهن كتفاه واسترخت كفه على القائم ، فإذا صار إلى هذه الحالة لم يأمن ألا تعمل ضربته، أو يسقط سيفه من يده .

واعلم أن السيوف أصناف : ذو الحدين(١)، والصغدى(٢). وذو قفا، وهو الخشرواني، هو حَدٌّ ونصف، وغير ذلك .

وأنفعها عندى في اللقاء ما كان حاد الظُّبَةِ(٣) دقيقها على طبعها تصلح للطعن بها والبعج(٤)، وربما عمل السيف بالبعج والطعن أضعاف ما يعمل بالضرب(٥) .

---

(١) هو السيف المستقيم ذو الحدين المتوازيين والتى تجرى في وسطه قناة أو شطفة، وله قائم ذو طرفين ملتويين إلى الأسفل وهو من صناعة الهند . انظر: د. عبدالرحمن زكي «السيف في العالم الإسلامي ص ٧٧» .

(٢) الصغدى هو السيف الذى له حد واحد فقط ، أما ذو قفا فهو حد ونصف كما أشار إلى ذلك المؤلف هنا، وعلى هذا فإن السيوف بشكل عام لا تخرج عن هذه الأصناف الثلاثة: ذو حدين ، وذو حد واحد، وذو حد ونصف .

(٣) الظبة هي حد السيف وظبتاه حداه. انظر النويرى «نهاية الأرب ٦ / ٢٠٧» .

(٤) البعج هو الشق في البطن يقال: بعج بطنه بالسكين يبعجه بعجاً أى شق. انظر «لسان العرب ١ / ٢٠٨» .

(٥) انظر: نجم الدين حسن الرماح «الفروسية والمناصب الحربية ١٠١، ١٠٢» .

والسيوف إن لم تلبس بالمعاليق(١) والحمائل(٢) لم يكن لصاحبه [١٢/أ] أن يرمي بجفنته عند الرجلة ويقصره في عنقه، وينبغي أن يكون فيما بين الحمائل سير يوثق في المنتقه(٣)، لئلا يقلق عند الركض، وهو مشغلة عند الرجلة(٤).

ولَيَكُنْ قائم(٥) سيفك إلى التربيع، لئلاً يدور القائم عند الضرب في كَفِّكَ، وتكون الأصابع للتقي عليه ويثق المسمار.

وينبغي أن يكون السيف سلساً(٦) في غمده في الشتاء والصيف.

فأما ما ينبغي أن يتقيه، أوْلا سَلُّ السيف وإغماده في الركض(٧). مع الحاجة إلى حفظ العنان(٨)، وإلى تضبيعه(٩)، فإذا أردت أن تَسُلَّ سيفك فَضَعْ يدك ما بين القبض(١٠) والردى(١١)، معتمداً فوق الردى على فخذك، ثم تسل من وراء

(١) مفردها معلق وهو القدح الذي يعلقه الراكب معه. انظر «لسان العرب: علق».

(٢) هي الحمالة وهي علاقة السيف التي توضع فيه وهي المحمل أو الحميلة والنجاد. انظر: ابن سيده «المخصص ٢/٢٦» النويري «نهاية الأرب ٦/٢٠٩».

(٣) المقصود بها المنطقة وهي كل ما شد به الوسط. انظر: ابن منظور «لسان العرب: نتق» وانظر: حسن الرماح «الفروسية والمناصب الحربية ص ١٠٢».

(٤) ذكر الرماح نصائح حول هذا الأمر وهو مماثل لما أورده المؤلف هنا. انظر «الفروسية والمناصب الحربية ١٠٢».

(٥) قائم السيف: هو مقبضه ويوجد به الشاربان وهما الحديدة المعترضة في أسفل القائم، انظر «المخصص ٢/١١». والنويري «نهاية الأرب ٦/٢٠٨» وانظر: ابن هذيل الأندلسي «حلية الفرسان وشعار الشجعان ١٩٣».

(٦) يقال: سيف سلس ودلوق إذا لم يكن عاضاً في جفنه. انظر: ابن سيده «المخصص ٢/٢٨».

(٧) انظر: الأندلسي، حيث أشار إلى هذه النصيحة في كتاب «حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٩٨».

(٨) العنان هو السير الذي تمسك به الدابة. انظر: ابن منظور «لسان العرب: عنن»

(٩) المخطوطة «تضبيعة» والصحيح ما أثبتناه. والضبع وسط العضد. وقال الجوهري يقال الإبط الضبع وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه. انظر: ابن منظور «لسان العرب ٤/٢٥٤٩».

(١٠) هو المقبض وهو المكان الذي تقبض عليه الأكف. انظر: النويري «نهاية الأرب ٦/٢٠٨».

(١١) الردى هي الذؤابة التي تكون في السيف، انظر: الرماح: «الفروسية والمناصب الحربية ص ١٠٣».

يسارك، ويدك فى عنانك تستغنى عن أخذ الجفن(١) بكفك، وكذلك تضع يدك على المعاليق أيضاً(٢).

وإذا أردت أن تغمد، جعلت يسارك حيث كانت عند سلّه، [١٢/ب] وتضع طرف السيف على رأس الجفن على الحد، وتجره حتى يقع ذبابه على رأس الجفن، ثم تقلبه حتى تدخله(٣).

وفيه حيلة لطيفة جداً تستعمل فى الجفن. وهى أنه ينبغى أن يقطع جانب الجفن من فوق فى رأسه، ليكون الجانب من الرأس من فوق ينقص عن الأسفل بإصبعين، حتى إذا جردت السيف عن الإغماد فجاء إلى النقصان سقط على الفاضل من الجانب الأسفل فلم يخطئ.

وفى الإغماد(٤) ظرائف

من ذلك: أن يأخذ السيف بيده اليمنى، على أخذ الخنجر، وكذلك الجفن باليسرى، ثم يقلب السيف على فخذه، وكذلك يغمده فى الجرى، ويأخذ السيف من وسطه، وكذلك الجفن، فيعتمده ويدير السيف من خلف ظهره، ويغمده تحت فخذيه جميعاً من الجانبين، [٣٣/أ] ويأخذ السيف بفمه ويغمده على رأسه، وخلف قفاه، كل ذلك فى الركض وتحت يديه جميعاً(٥).

ويتفرع من ذلك وجوه كثيرة يمكن من هذه الجملة وفى الجفن فأما بغيرها فلا.

ومن الناس من يكسر حد السيف، ليعمل به الملح، وأنا أستقبح ذلك جداً،

---

(١) الجفن اسم من أسماء قراب وآلة السيف وهو غمد السيف. انظر: «لسان العرب: جفن» والنويرى: «نهاية الأرب ٦/٢٠٩».

(٢) انظر الرماح: «الفروسية والمناصب الحربية ص١٠٣» فقد أورد توجيهات بهذا المعنى.

(٣) حول هذا المعنى انظر: الرماح «الفروسية والمناصب الحربية ص ١٠٣».

(٤) الغمد هو جفن السيف يقال: غمد السيف يغمده غمداً وأغمده أدخله فى غمده. انظر: ابن سيده «المخصص ٢/٢٦» الهمذانى - الألفاظ الكتابية ص ١٢٥، ابن منظور «لسان العرب: غمد».

(٥) انظر: «حسن الرماح» حيث أورد توجيهات مشابهة هذه فى: الفروسية والمناصب الحربية ص ١١٢، وانظر: «كتاب إغاثة الملهوف بالعمل بالسيوف لوحة ٩ب».

وأرى أنْ لوْ عمل ذلك بخشبة كان أزْيَنَ له .

واعلم أن السيف يحتاج صاحبه أن يتعاهد الضرب بالصولجان(١)، فإنه يحذق ويلين مفاصله، وينعقد السيف ويسرع معاطفه، ويجود توقيه، أن يصيب بدنه أو دابته، فقد رأيت أكثر الناس يضرب بالسيف أو يعمل به في الميدان في الأمن ، فيضرب فخذ دابته، وعضده، وأذنه ، ورجل نفسه فيقطعها فليس في السلاح ما يحتاج أن يحذره صاحبه [١٣ /ب] إلا السيف(٢) .

وإذا أردت أن تتعلم عمل السيف فارساً، والضرب به، فاعمد إلى قصبة رطبة، يكون طولها بقامة الفارس . أو قضيباً رطباً، فانصبه في الأرض، وأَوْثِقْ أسفله، وتباعد عنه، واجعله على يمينك، وأجْرِ فرسك ملاء فروجه، كالجرى لرمي النشاب(٣)، فإذا حاذيتها ودنوت منها دُنُواً، استللت سيفك من جفنه، وتفحت به ما يحاذي منكبك من القضيب شزراً(٤)، ويكون نفحك(٥) لهاوالسَّلُّ معه بإشارة ولباقة ، تفعل ذلك مراراً، وتقصر من القضيب بالضرب في كل طلق مقدار شبر، حتى يصير إلى مقدار ذراع من الأرض تدمن(٦) ذلك حتى تَثْقَفَهُ ، ويصير عادتك وتَخِفُّ فيه(٧)، وإذا خففت في ذلك، نصبت خمس نشابات [١٤ /أ] على يمينك ، وتوثقت من نصبها، بين كل نشابة ونشابة عشرة أذرع، وأجريت فرسك ، ونفحت النشاب أسفل من الريش على

---

(١) الصولجان فارسي معرب جمعة صوالج وهو العود المعوج، وقال الجوهري : هو المحجن. انظر: «الصحاح ١ /٣٢٥»، ابن منظور «لسان العرب : صلج» .

(٢) انظر علي بن عبدالرحمن الأندلسي «حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٩٨» .

(٣) النشاب هي السهام والنبل ويقال : قوم نشابه إلى يرمون بالنشاب . «انظر : «ابن منظور، لسان العرب : نشب» .

(٤) الشزر : هو الضرب به عن يمين وشمال، انظر: ابن منظور ، لسان العرب : شزر» وانظر: الهنائي، وأبي الحسن علي بن الحسن «المنتخب من غريب كلام العرب ٢ /٥٠٦» .

(٥) النفح : هو الضرب بالسيف إلى خارج اليمين من قرب او تناوله من بعيد شزراً. انظر: ابن منظور «لسان العرب : نفح» .

(٦) من الإدمان وهو هنا بمعنى الاستمرار والإدامة . انظر: ابن منظور «لسان العرب : دمن» .

(٧) أورد ذلك بهذا المعنى علي بن عبدالرحمن الأندلسي في كتابه «حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٩٨- ١٩٩».

مقدار واحد في سرعة في طلقك، لا تزيد تشابةً على الأخرى في القطع، تفعل ذلك بسيف رقيق الشفرة، وتدمنه حتى تحذقه فارساً، فإذا أحذقت ذلك وقطعتها بخفةٍ وحذق نصبت خمسة أخرى عن يسارك، مخالفة للنصب، الذي على اليمين، ثم تجرى فرسك وسط العشرة، وتنفح يميناً وشمالاً حتى تقطعها كلها.

وإن أحببت أن تزيد على العشرة شيئاً فعلت.

وإذا قصدت العمل بالسيف في كل فن من الميادين والحروب. فَطَرِّفْ برجلك في الركاب[1]، حتى لا يظهر شيء من أصابعك من [١٤ / ب] حديد الركاب، وإذا ضربت فافتل زندك[2]، واحذر على نفسك ودابتك، وليكن ضربك نفحاً وشزراً إلا ما كان قباله[3]. فاحذر حينئذٍ على رجلك وذراع دابتك ورأسها[4]، وآذر من الإذارات ما كان سواذجها فإنها تحسن على الفرس.

وإذا حذقت ذلك وصار لك طبعاً وعادة فتعاطى أن تضرب قُدَّامَ اللَّبب[5]، وخلف الرجل، وعلى يسارك، وعلى كل جهة.. وليس يحبس العمل بالسيف فارس ولا راجل.. والله أعلم[6].

---

(١) الركاب للسرج : هو مثل الغرز للرحل. انظر: ابن منظور «لسان العرب : ركب».

(٢) الزند: موصل طرف الذراع في الكف والزندان هما طرفا عظمى الساعدين وهما الكوع والكرسوع، انظر: ابن منظور «لسان العرب : زند».

(٣) بمعنى أمامه.

(٤) أورد هذا النص بتلك الصورة مع اختلاف طفيف بالعبارات توحي بأنه نقل ذلك من المؤلف لهذا الكتاب، على بن عبدالرحمن الأندلسي في كتابه «حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٩٨» وانظر: أيضاً وبصورة مقاربة لما ذكره المؤلف هنا حسن الرماح «الفروسية والمناصب الحربية ١٠٤ - ١٠٥». وانظر أيضاً إلى مخطوط «إغاثة الملهوف في العمل بالسيوف لوحه ٩ أ».

(٥) اللبب هو موضع القلادة من الصدر من كل شيء والجمع ألباب. انظر: ابن منظور «لسان العرب : لبب».

(٦) انتهى الكلام إلى هنا عن السيف ويبدأ بموضوع آخر وهو باب الترس في آخر اللوحة ١٤ /ب ، وهو موضوع آخر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- الإفصاح في فقه اللغة، لعبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، ط الثانية - دار الفكر العربي.
- الألفاظ الكتابية، لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني، قدم له إميل بديع، ط١- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ - ١٩٩١م.
- البداية والنهاية: ط مكتبة المعارف - بيروت، ط الثالثة ١٩٨٠م.
- تفسير القرآن العظيم: للإمام ابى الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٨هـ.
- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - مصر.
- الجماهر في معرفة الجواهر، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني - ت في عشر الثلاثين واربعمائة - ط ١ عام ١٣٥٥هـ، حيدر آباد - الهند.
- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، قدم له وشرحه علي فاعور، ط - دار الكتب العلمية بيروت ط ١ عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- حلية الفرسان وشعار الشجعان، لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق وتعليق محمد عبدالغني حسن، طبعة دار المعارف للطباعة والنشر.
- خزانة السلاح: لمؤلف مجهول، حققه د. نبيل محمد عبدالعزيز. ط مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة - القاهرة.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي: لجمال الدين يوسف بن تغري بردي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطبوعات جامعة أم القرى.
- رسالة السيوف واجناسها، ليعقوب بن إسحاق الكندي ت ٢٥٢هـ، نشرها د. عبدالرحمن زكي في مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الاول، المجلد الثاني في ديسمبر عام ١٩٥٢م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك: لتقي الدين احمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور ود. محمد مصطفى زيادة، طبعة لجنة التاليف والترجمة ومركز تحقيق التراث.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني، ط الأولى - دار الحديث - بيروت عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

- السيف في العالم الإسلامي، للدكتور عبدالرحمن زكي. طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٩٥٧م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ، ط. / المكتب التجاري للطباعة - بيروت.

- شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري «ت٣٢٨هـ. تحقيق عبدالسلام هارون.ط ٤ دار المعارف عام ١٤٠٠هـ.

- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، «ت ٢٧٦هـ»، تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر.

- الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - ط المكتبة الإسلامية باستانبول عام ١٩٨١م.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي «ت ٩٠٢هـ» دار مكتبة الحياة، بيروت.

- طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي البصري «ت ٢٣٢هـ» ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠هـ.

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي «ت ٩١١هـ». مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٣٥١هـ.

- الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين بن حسن الرماح «ت ٦٩٥هـ»، تحقيق عيد ضيف العبادي - منشورات وزارة الثقافة العراقية، ط دار الحرية بغداد ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- قطر المحيط، للمعلم بطرس البستاني - طبعة مكتبة لبنان - بيروت عام ١٩٦٩م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. ط. وكالة المعارف الجليلة عام ١٣٦٠هـ.

- لسان العرب، لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرين ط - دار المعارف بمصر.

- مجمل اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا «ت ٣٩٥هـ»، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- محيط المحيط: المعلم بطرس البستاني - طبعة مكتبة لبنان - بيروت عام ١٨٧٠هـ.

– مختصر سنن أبي داود ومعه معالم السنن للخطابي ، للإمام المنذري ، تحقيق احمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي – دار المعرفة للطباعة – بيروت.

– المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي الملقب بابن سيده ت ٤٥٨هـ، ط المكتب التجاري – بيروت.

– مستند الأجناد في آلات الجهاد ومعه مختصر في فضل الجهاد، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي ت ٧٣٣هـ، تحقيق أسامة ناصر النقشبندي ط – دار الحرية للطباعة والنشر – بغداد.

– المسند، للإمام احمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت – لبنان.

– مصادر التراث العسكري عند العرب، لكوركيس عواد . ط. المجمع العلمي العراقي، بغداد عام ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

– معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، طبعة دار صادر ودار بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت. لبنان.

* * *

المعجم العربي الحديث اللااشتقاقي:

(المرجع والرائد نموذجين)

د. عبد الإله نبهان

كان حدثًا رائعًا وغرّة في جبين العلم عند العرب ظهور كتاب «العين» في القرن الثاني للهجرة، الذي وضعه أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(١)، الذي جمع وضبط ونظّم ورتّب، وماز المستعمل، من المهمل.. فأحسن في ذلك الإحسان كلّه، وسبق فيه أهل زمانه، وأصبح مَنْ أتى بعده عيالاً عليه، وتبعًا له، يستوي في ذلك مَنِ اعترف به ومَنْ أنكره، ومن قرظه، ومَنِ انتقده.

ولد المعجم العربيّ وصاحَب ولادتَه مصاعبُ شتى كادت تحول بين الناس وبين المعجم، أو لِنَقُلْ: إن تلك المصاعب كانت تحول دون الاستفادة السهلة المرجوّة من مواد المعجم، وفوائده الجمّة ومعارفه الغزيرة، ذلك لأن المقدرة على الاستفادة السريعة تتطلّب ضرباً من التمرس لا يستطيعه جمهور المتعلمين ولا يصبرون عليه، لذلك ما لبثنا أن سمعنا ابن دريد(٢) يقول ولمّا يمضِ طويل زمن بينه وبين الخليل –: إن الخليل قد: (أتعب مَنْ تصدّى لغايته، وعنّى مَنْ سما

---

(١) الخليل بن أحمد (١٠٠ – ١٧٠هـ تقريبًا) ومعجم العين قيل فيه الكثير. انظر: المعجم العربي د. حسين نصار ١ : ٢١٨ وما بعدها، وقد طبع العين تامًّا لأول مرة في ثمانية أجزاء ببغداد ١٩ – بتحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. وقد سار على ترتيبه من بعده القالي (ت ٣٥٦هـ) في «البارع»، والأزهري (ت ٣٧٠هـ) في معجمه «تهذيب اللغة»، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في معجمه «المحيط في اللغة»، وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في معجمه «المحكم في اللغة».

(٢) ابن دريد محمد بن الحسين (ت ٣٢١هـ) صاحب جمهرة اللغة والملاحن والاشتقاق وغيرها.

إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلّف، وكلُّ من بعده له تَبَعٌ، أقرَّ بذلك أم جحد، ولكنه - رحمه الله - ألف كتابًا مشاكلاً لثُقُوب فهمه، وذكاء فطنته، وحِدَّة أذهان أهل دهره)[1].

حاول ابن دريد في «الجمهرة» تجنّب صعوبات كتاب العين، فنبذ ترتيب الحروف على مخارجها وجعل ترتيب الحروف على الألف باء وهو ترتيب الهجاء الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي[2] وشاع بين الناس لنشأتهم عليه في مجالس التعليم الأولى، لكنّ ابن دريد تابع الخليل في التزامه نظام الأبنية، وتابعه آخذاً بنظام التقاليب، ثم ألحق بكتابه أبوابًا لا صلة لها بمفهوم المعجم[3]، فكان كتاب العين أشدُّ منهجيةً وأحكم ترتيبًا من الجمهرة، والتغيير الأساسي الذي قام به ابن دريد هو أخذه بالترتيب الهجائي بدلاً من ترتيب الخليل.

ثم كان أحمد بن فارس[4] الذي خطا بالمعجم خطوة رائدة نحو سهولة الترتيب، وتيسير وصول الباحث إلى المطلوب، وذلك بنبذه نظام التقاليب كليةً وباختصاره نظام الأبنية إلى ثلاثة: الثنائي، المضاعف، والثلاثي، ما فوق الثلاثي، وبنى على ذلك معجمه الفريد في بابه (مقاييس اللغة)، ومعجمه المختصر (مجمل اللغة)[5].

وكان ظهور معجم «تاج اللغة وصحاح العربية»، للإمام إسماعيل بن حماد

---

(١) جمهرة اللغة: ١ : ٣، وقد طبع «الجمهرة» في حيدر آباد سنة ١٩٢٥.

(٢) نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ). وانظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٢٢.

(٣) ألحق ابن دريد بمعجمه عشرات الأبواب عالج فيها النوادر من الأبنية والأسماء والمعرب من الألفاظ وغير ذلك. وهي أبواب لم تقم في ترتيبها على أساس معين. وانظر المعجم العربي ٢ : ٤٢٠.

(٤) أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ).

(٥) معجم مقاييس اللغة طبع بمصر، بتحقيق عبد السلام هارون (١٣٦٦ - ١٣٧١هـ). أما «مجمل اللغة» فقد صدر في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٤، بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، كما صدر عن معهد المخطوطات في الكويت.

الجوهري[١] بترتيبه الرائع من المراحل الحاسمة في تطور ترتيب المعجم العربي في القرن الرابع الهجري، فقد كان ثمرة تطور طويل، وخلاصة جهود بذلها المعجميون السابقون، بدءاً من الخليل (ت نحو ١٧٥هـ) ومروراً بأبي عمرو الشيباني[٢] (ت ٢٠٦هـ) وابن دريد (ت ٣٢١هـ) وإسحاق بن إبراهيم الفارابي[٣] (ت ٣٥٠هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥هـ).. في سبيل الوصول إلى الترتيب الأمثل سهولةً وبعداً عن التعقيد..

ونبذ الجوهري – مستفيداً من تراكم الخبرات السابقة – كلَّ ما من شأنه يَعُوق الرجوع إلى معجمه، فطرح طريقة التقاليب، وأخذ بالترتيب الهجائي (الألف بائي)، وألغى طريقة الأبنية، وأقام نظامه على النظر في أصول المواد، ورتبها – على الحرف الأخير – في ثمانية وعشرين (بابا) وكل باب منها ثمانية وعشرون (فصلا)، على عدد حروف المعجم وترتيبها، مع مراعاة الثواني والثوالث..

وبنظام الجوهري بلغ المعجم الترتيب الأمثل، وكان من اليسير على الزمخشري[٤] (ت ٥٣٨هـ) بعد ذلك أن يقلب طريقة الجوهري، ليظهر الترتيب الآخر المقابل، الآخذ بأوائل الأصول، مع مراعاة الثواني والثوالث...

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، وقد طبع معجمه «الصحاح» عدة طبعات أولها في الأستانة ١١٤٠ – ١٧٢٨م، وفي إيران سنة ١٢٧٠ هـ – ١٨٥٣م، وفي القاهرة: بولاق ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م، و١٢٩٢هـ – ١٨٧٥م، ثم صدر بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، وتتالت طباعته بالأوفست بعد ذلك..

(٢) أبو عمر الشيباني إسحاق بن مرار (ت ٢٠٦هـ) له كتاب «الجيم»، صدر في ثلاثة أجزاء، بتحقيق الإبياري والطحاوي والعزباوي عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٤ – ١٩٧٥. ونشرت دراسة عن معجم الجيم لفرنز ديم ترجمها د. حسن محمد الشماع، ونشرتها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠.

(٣) إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم (ت ٣٥٠هـ) له معجم ديوان الأدب، وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحقيق د. أحمد مختار عمر، في أربعة أجزاء عام ١٩٧٤.

(٤) الزمخشري محمود بن عمر (٥٣٨هـ). والإشارة هنا إلى معجمه «أساس البلاغة»، وقد طبع بالقاهرة عام ١٨٨٢م، وعام ١٩٠٩، وعام ١٩٢٢، وعام ١٩٧٣، وله طبعات أخر.

وعُدَّ الجوهرى رائداً من الرواد الكبار فى تاريخ المعجم العربى، وجعله الدكتور حسين نصّار رائد زمنه، كما كان الخليل رائد زمنه، وفى ذلك يقول: مهما قال القائلون فى «الصحاح»، فإنه خطا بحركة المعاجم أوسع خطوة بعد خطوة الخليل، فهو رائد عصر من الزمن، كما كان الخليل رائد زمنه، أو هو العَلَم الثانى الذى يبرز فى حركة التأليف فى المعاجم، ويكاد يصل إلى مستوى صاحب العين، وأهم ما قدّمه إلى هذه الحركة ترتيبه الجميل، وانتظام معالجة موادّه، ومحاولة التزام الصحيح من الألفاظ، وقد سار أكثر أصحاب المعاجم بعده على ترتيبه فكانوا من مدرسته»(١).

وسار المعجم العربى بعد «الصحاح» و«أساس البلاغة» على هذين الترتيبين، بل إن معظم معجماتنا الأمهات: كالعباب، واللسان، والقاموس، والتاج – سارت على ترتيب «الصحاح». وكل ما بُذِل من الجهد فى الجمع والترتيب، ومحاولة التغلب على العوائق، كانت هناك صعوبات مازالت تواجه مراجعى المعجم.. نعم لقد تغلّب المعجميون على صُعوبة ردّ الحرف الأخير فى الواوىّ واليائى إلى أصله، فدمجوا الواو والياء فى باب واحد، وأخلصوا الباب الأخير للألف اللينة.. ومع ذلك بقيت هناك صعوبات كامنة فى الكلمات التى غَمُض اشتقاقها، وفى الكلمات الدخيلة، والكلمات التى ابتعد الناس باستعمالها عن أصلها حتى تُوهّم أصالة ما هو زائد فيها.

وفى بعض المعجمات كانت بعض الكلمات تتكرر، فتأتى مرة فى موضعها الأصلى، ومرةً فى الموضع الذى يسرع إليه ذهن مَنْ لم يتمرس بالتصريف، أو تكون الكلمة غامضة الأصل، مختلفًا فيها بين العلماء فيراعى صاحب المعجم ذلك، ويذكر الكلمة فى موضعين.

كل ما تقدّم يشير إلى وجود صعوبات كان يحسّ بها واضعو المعاجم،

---

(١) المعجم العربى للدكتور حسين نصار ٣ : ٢.

فيحاولون التغلب عليها ويصدّرون معاجمهم بمقدمات طويلة فى فن التصريف، وبلغ الأمر مبلغًا جعل الصلاح الصفدى[1] (ت ٧٦٤هـ) يستخرج الكلمات ذات الاشتقاق الغامض من معجم الصحاح للجوهرى ويرتبها على الألف باء - من غير مراعاة للأصل - ويخصصها بمصنّف وسمه بـ «غوامض الصحاح»[2]، ولم يجعله لشرح معانى هذه الغوامض، وإنما الغرض الأصلى منه أن يدلَّ المراجع على موضع هذه الكلمات فى معجم الصحاح، وإن كان قد ذكر معانى «الغوامض» مختصراً.. فكان لنا بهذا ترتيب جديد لا يراعى الأصل ولا يقوم على الاشتقاق، وهو ترتيب سبق استعماله فى معجمات ذات مجال خاص، فأبو الفرج بن الجوزى[3] (ت ٥٩٧هـ) سبق أن رتب الألفاظ حسب حرفها الأول من غير نظر إلى أصلها، وذلك فى كتابه «منتخب قرة العيون النواظر»[4]، وهو كتاب فى تفسير الألفاظ القرآنية التى ترادفت مبانيها، وتنوعت معانيها، فترى فيه الكلمات تتالى على هذا النحو: الأتباع، أخلد، الاستطاعة، الاستغفار، الأسف، أصبح، الإصر، أولى، الإذن...

وعلى هذا المنوال نسج كمال الدين عبد الرزاق القاشانى[5] فى كتابه «اصطلاحات الصوفية»[6] من غير ما مراعاة للثوانى والثوالث..

---

(١) الصلاح الصفدى: خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ).

(٢) نشر «غوامض الصحاح» فى معهد المخطوطات العربية فى الكويت سنة ١٩٨٥، بتحقيق عبد الإله نبهان، ثم أعيد نشره فى مكتبة لبنان ١٩٩٦، بيروت.

(٣) ابن الجوزى عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ).

(٤) طبع كتاب «منتخب قرة العيون النواظر» بعنوان آخر لمؤلف آخر، فقد نشر محمد المصرى بتحقيقه «الأشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنية التى ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها»، لأبى منصور الثعالبى، وصدر عن مكتبة سعد الدين بدمشق ١٩٨٤، ثم أثبت الدكتور حاتم صالح الضامن فى بحث له بمجلة المورد/ المجلد ١٥/ العدد: ٢/ ص ١٦٩/ أن هذا الكتاب ما هو إلا المنتخب من «قرة العيون النواظر» لابن الجوزى وأنه لا علاقة له بالثعالبى.

(٥) القاشانى عبد الرزاق من صوفية القرن الثامن الهجرى.

(٦) نشر كتاب «اصطلاحات الصوفية» بتحقيق الدكتور محمد كمال جعفر، وصدر عن الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨١.

أما السيد الشريف عليّ بن محمد الجرجاني[1] (ت ٨١٦هـ) فقد اتبع في كتابه «التعريفات»[2] الطريقة نفسها، لكن مع مراعاة الثواني والثوالث – كما فعل من قبله الصلاح الصفدي في «غوامض الصحاح»، وكما سيفعل من بعده أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) في كتابه «الكليات»[3] الذي هو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، وهو يراعي الثواني دون الثوالث...

وجاء عصر النهضة العربية الحديثة، وبدأت المعاجم الجديدة في الظهور[4]، وقد اتخذت من مواد «القاموس المحيط» أساسًا لها، ومن ترتيب «أساس البلاغة» إمامًا هاديًا، فكانت المعجمات الحديثة التي نعرفها مرتبةً حسب أوائل أصولها، جامعة تحت أصل كل مادة من المواد مواليدها المختلفة مع إضافات تختلف من معجم لآخر... أي إن هذه المعجمات حافظت على البناء الاشتقاقي الذي أسس عليه المعجم العربي، باستثناء معجم واحد قرأنا عنه ولم نره وهو معجم النجاري: محمد بك بن مصطفى بن محمد النجاري القاضي المصري، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ الذي أخذ «لسان العرب» و«القاموس» ورتبهما على الحروف الهجائية بحسب النطق، مهملاً الاشتقاق والتجريد، أي وضع الكلمة في ترتيب حروفها كما يُنطق بها من غير نظر إلى الأصلي منها

(١) علي بن محمد الجرجاني السيد الشريف (ت ٨١٦هـ).

(٢) طبع كتاب التعريفات عدة مرات أولها في استانبول ١٢٢٥هـ – ١٨٣٧م، ثم طبع في القاهرة: ١٨٦٦ و١٨٨٨ و١٨٨٩ و١٩٠٣.

(٣) أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، وقد نشر كتاب «الكليات» عدة مرات وآخرها الطبعة التي عني بها د. عدنان درويش ومحمد المصري، وصدرت عن وزارة الثقافة بدمشق في طبعة ثانية ١٩٨١.

(٤) نذكر منها محيط المحيط لبطرس البستاني الذي صدر في عامي ١٨٦٦ – ١٨٦٩، ثم قطر المحيط له أيضًا ١٨٦٩م، ومعجم «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» لسعيد الخوري الشرتوني عام ١٨٨٩م، والمنجد للويس معلوف سنة ١٩٠٨، ومعجم البستان لعبد الله البستاني، الذي صدر عام ١٩٣٠م، وتلاه فاكهة البستان سنة ١٩٣٠.

والمزيد[١] وهو بهذا يعد رائداً لهذا الأسلوب من الترتيب المعجمى .

واستمرت الرغبة فى تسهيل المراجعة فى المعجم العربى قائمة، والاتجاه إلى التيسير أو التسهيل يتجه – فيما يتجه إليه – إلى طريقة ترتيب المواد الأساسية « الجذور »، ثم تنظيم المداخل والصيغ ضمن المادة الواحدة، وقد تجلّى هذا الاتجاه فى معجمين – على اختلاف بينهما أيضًا – أولهما : معجم « المرجع »، للشيخ عبد الله العلايلى، وثانيهما : « الرائد » لجبران مسعود .

أما « المرجع » فقد ظهر سنة ١٩٦٣ بعنوان « المرجع : معجم وسيط، علمىّ لغوى، فنى . مرتب وفق المفرد بحسب لفظه »، وصدر منه مجلد واحد، بدأ بحرف الألف ووقف فى الجيم عند مادة « جخدل »، وتوقّف عن الصدور . قدم الشيخ العلايلى بين يدى « المرجع » مقدمةً بيّن فيها غرضه من وضع المعجم، كما وضّح نظام معجمه، وأفصح عن غايته من ذلك النظام، فـ « المرجع » كما يقول : « عمل يتصل بالأساس اللغوى ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعىّ الحيوىّ الحضارىّ، فهو يكشف عن تطور اللغة فى جانبها اللغائى « الفيلولوجى »، ثم يحقق دلالتها القديمة، ويصل بينهما وبين ما يحمل الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم، ليفرغ أخيرًا إلى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه، وتطبيقه بأوسع أشكاله »[٢] .

أما طريقة الترتيب فقد بيّنها واضع « المرجع » تحت عنوان : مخطط المرجع، وهو ذكر المصطلح فى موضعه من النطق، متّبعًا فى هذا طريقة أرباب العلوم فى معاجمهم، كالكليات للكفوى أو التعريفات للجرجانى، ومَنْ لا فَهْم ودرج

(١) مقدمة معجم الصحاح ١٧٧ ، ويبدو أن هذا الكتاب لم يطبع فقد قال صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ : ١٨٨٤ وهو يذكر النجارى : وبلغنى أن له معجماً عربيًا يحتوى خلاصة المعاجم الكبرى . لم يطبع .

(٢) المرجع : المقدمة هـ وقد صدر المرجع عن دار المعجم العربى – بيروت .

على سنتهم، كصاحبي «دستور العلماء»[1] و«كشاف الفنون»[2]، أو قبل الطريق الفرنجية في الترتيب، وأشدّد على كلمة «المصطلح» لئلا يظنّ أني عمدت إلى هذه السنة في التصريف أيضاً، وشأنه الإساءة إلى جوهر العربية وروحها، وذلك لأن العربية - كأخواتها الساميات - قائمة على الترابط العضوي، فكلّ جنوح بها في دائرة تصريف الأفعال عن الاندراج تحت الجذر يؤدي إلى التفسيخ الذي لا يغتفر، فعمدت لهذا كلّه - إلى إثبات تصريف الأفعال - مجردة ومزيدة - تحت الجذر.. أما المشتقّات وحدها فقد استبحت لنفسي أن تُذْكَر وفق لفظها.. وفوق هذا كلّه سردت تحت الجذر وما حُفظ من مشتقاته - سرداً فقط - مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق، كما لاحظت أنّ كثيراً من الأفعال ليست مأخوذة من المعنى المصدري للجذر، بل من أسماء الأعيان، ولذا أثبت الأفعال بالمعاني المذكورة تحت «اسم العين» نفسها مثل (أرِضَت الخَشَبَةُ: أي ائتكلت» فقد ذكرتها تحت كلمة «الأَرَضَة» وبذلك تكون طريقة التصنيف لهذا (المرجع) جامعةً للنهج الحديث، بإثبات المفرد في منزله في النطق، والنهج القديم، بسرد مشتقات الجذر تحته، ونهج الوحدات، بذكر بعض الأفعال تحت أسماء الأعيان[3].

فنحن إذن أمام معجم لغوي اتخذ طريقة المعاجم الاصطلاحية عند العرب، أو الطريقة الفرنجية، وأحسّ واضعه أنّ ذكر كلّ كلمة في حرفها الأول سيفتح عليه باباً لا يغلق في معالجة الأفعال، فجعلها تحت الجذر، ووزّع المشتقات وَفْق نطقها، ولكنّ تأمّل ورود المواد في هذا المعجم يُري أن الأفعال لم تأت تحت الجذر في موضع واحد، بل تعددت مواضع ورود الجذر الواحد بحسب الزيادة

---

(١) دستور العلماء: هو كتاب جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون. ط. حيدر آباد ١٣٢٩هـ، ومؤلفه القاضي عبد الغني بن عبد الرسول الأحمد نكري.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد بن علي الفاروقي (ت ١١٥٨هـ)، طبع بالهند وبيروت والقاهرة.

(٣) المرجع: المقدمة: صفحة ح.

والأصالة، ويكفي أن يلحظ الباحث أن (باب الألف) بدأ بالمدة ووردت فيه أمثال هذه الكلمات : آوى، آدن، آذن . . وهذه كلها سترد في المجرد : أوى، أدى، أذن .

كما أننا نجد أفعالاً مزيدة وردت في ألفاظها، وكان المفروض أن تأتي في المجرد، لتجتمع الأفعال تحت جذر واحد . . غير أن واضع «المرجع» كان غالبًا ملتزمًا بخطته في ذكر المزيد والإحالة إلى مادته المجردة، فهو في «اضطرح» يحيل على «ضرح» وفي «اضطمر» يحيل على «ضمر» وفي «أراث» يحيل على «ريث» .

وفي (باب الألف) في «المرجع» تأتي جميع مصادر الرباعي وما فوقه، وتفسّر معانيها، لأن بناء المصدر مما فوق الثلاثي يتطلب الهمزة موصولة أو مقطوعة في أوله في الإفعال والاستفعال، وراح الشيخ في هذا الباب يفسّر الإقدام، والإتراب، والإثمار، والإدانة، والاستنتاج، والاستفادة، والاستهجان . . إلى آخر هذه الجريدة القياسية في باب الألف . . ثم نراه يعيد تفسير أفعالها في باب آخر، ففي باب الألف يورد ما يلي :

إثمار مص «ظهور منعقد الزهر . . » مجازاً كثرة الدخل والمال .

وفي باب الثاء يقول :

ثمر – ثموراً فهو ثامر، الشجر : ظهر حمله، أو بلغ أوان أن يحمل، أو أينع، ومجازاً : الرجل : كثر ماله .

ثم يأتي بالمزيد مع مصدره : أثمر إثماراً فهو مثمر – النبات : ظهر حمله .

وفي «إتمام» يقول : الإكمال، وغلب في الكم، وفي المعاجم المتقابلة وكتب العلوم خلط بينه وبين الإكمال، الإنجاز، الإمضاء .

وفي باب التاء يورد الفعل «تمّ» مجرداً، ثم يقول : ومزيداً كثر فيه أتم إتمامًا، فهو متمّ، الناقص: استوفاه وأكمله . . انظر جذر «كمل» .

فهو يكرر في الفعل المجرد ذكر المصدر، ويعيد ما سبق أن قدمه في حرف آخر، وما وجدناه في باب الألف نجده في باب التاء، فجميع المصادر القياسية التي على التفعل والتفعيل ترد في هذا الباب، فتجد أمامك: التعجب، والتعجل، والتعجن، والتعدي، والتعدين، والتعرض، والتعريض، والتعقيم، والتعليق، والتعليل، .. وهذه المصادر كانت ستَرِد في أفعالها الأصول مرة أخرى لو قيض للمعجم أن يتم نشره.

لقد اشتمل «المرجع» على مادة علمية ولغوية غزيرة، واتسمت صياغته بالدقة، إضافة إلى ذكره مصطلحات، ونصه على الأصل البعيد في لغات أخرى لبعض الألفاظ، وربما كان ما بذل من جهد كبير في الجزء الأول قد أنبأ بما تحتاجه الأجزاء الأخرى من جهد ينوء به الفرد، فحال ذلك دون التمام(١)..

أما المعجم الثاني الذي سنعرض له فهو معجم «الرائد» لجبران مسعود، الذي أصدر طبعته الأولى سنة ١٩٦٤ وتتالت طبعاته بعد ذلك، وقد ورد عنوانه كما يلي: «الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقًا لحروفها الأولى».

قدم المؤلف لكتابة بمقدمة يسوغ فيها الطريقة التي اتبعها في ترتيب مواد معجمه، فقد شكا من صعوبة المعجم العربي في ترتيبه المعروف القائم على فكرة الأصل، وذكر أن هذه الصعوبة كانت تحول بين طلابه وبين الاستفادة من المعجم، وسأترك واضع المعجم المذكور يذكر لنا ما لاقاه من عنت، إلى أن وصل إلى وضع منهج لمعجمه، قال: «.. ورحت أتحرى الأمر، فإذا بالحقائق تشير إلى العقبات الكأداء التي كانت تسدّ عليهم المنافذ، ومنها عقبة كدت أراها مستعصية، عنيت بها المعجم، وحاولت تدارك الخطر ما وسعني تداركه فرحت ألقن التلاميذ طرق البحث في المعاجم، وحملتهم على الاهتداء بها - في الصف وخارج الصف - بما تيسر لي من سلطة أو رقابة أو أفانين إقناع، ولكن

(١) انظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٥٨، ٥٩.

النتيجة لم تأتِ على مستوى الرجاء، لأن أساليب المعاجم لم تكن على مستوى العصر فأنّى للباحث أن يهتدى بسرعة وسهولة إلى معانى الكلمات المطلوبة، والكلمات مبثوتة فى المعاجم بطرائق تختلف أحيانًا بين معجم وآخر، حسب قواعد تحاول مراعاة المنطق الصرفى وغيره، ولكنها لا تراعى منطق المخارج الأبجدية فى أوائل الألفاظ، وأنّى للباحث المستهدى أن يقف على المعنى المراد واللفظة تائهة فى مظانّها بين إعلال وإدغام واشتقاق وتعريب؟ فإذا بـ «المدرسة» تدرج فى باب «الدال» لا فى باب «الميم»، وإذا بـ «تدارس» تدرج فى باب «الدال» لا فى باب «التاء»، وإذا بـ «قال» تحار بين «قول» و «قيل».

وهكذا أدركت يقينًا أن طالبى العربية فى عَنَت، فلكل مؤلف فى نهجه شؤون، ولكل مزاج من أمزجة المؤلفين مفهوم، وبرغم أن الشروح فى كثير من المعاجم قيمة وافية، فإن صعوبة الاهتداء إلى الكلمات فيها تحجب عن الطالب الدر فى غياهب الصدف، وهيهات أن يتاح للناس من الوقت والقدرة ما يمكنهم من الغوص على اللؤلؤة المكنونة، ودون بلوغ الأرب أهوال وأهوال»[1].

ثم اهتدى إلى الحل الأمثل فى نظره، كما يصفه فى مقدمته بقوله:

«وحصل لدىَّ بعد إعياء الحيلة، وإعمال الفكر، أن من وسائل إحياء العربية وإغنائها وتقريبها وخدمة مريديها، والقضاء على عقوق بعض أبنائها، وضعَ معجم عصرى، يحدث انقلابًا فى المظهر، ويساعد على تطوير الجوهر.

معجم عصرى تثبت فيه الكلمات وفقًا لحروفها الأولى، فـ«المدرسة» فى باب الميم، و«درس» فى باب الدال، «وتدارس» فى باب التاء، مع مراعاة الربط بين الكلمات ذات الأصل الواحد ما أمكن الربط»[2].

---

(١) الرائد: ١ : ١١.

(٢) الرائد: ١ : ١٢.

ثم ذكر ما أضافه إلى المعجم من كلمات جديدة، ومعان مستحدثة في اللغة وعلومها، فنحن أمام معجم يرتب الكلمات حسب نطقها، ولا يعبأ برد إلى أصل، ولا بزيادة، أو إعلال، أو إبدال، فالفعل «قال» في القاف مع الألف، ومصدره «القول» في القاف مع الواو، و«رعى» في الراء مع العين أما «الراعي» ففي الراء مع الألف، و«المرعى» في الميم مع الراء.. وهكذا نجد المدرسة في باب الميم، وباع في باع، وليس في بيع، وقس على ذلك، فالباحث في المعجم ليس بحاجة إلى أن يعرف الصرف، ولا أصل الكلمات، ويكفيه أن يبحث في باب الحرف الأول من الكلمة كما تنطق، مع مراعاة الثواني والثوالث، فلم تعد هناك كلمات غامضة الاشتقاق يحار الباحث في ردها إلى الأصل، فأثفيَّة مثلاً في حرف الألف مع الثاء، سواء أكان أصلها «ثفو» أو «ثفي» لا فرق. ولفظ الجلالة «الله» في الألف مع اللام، سواء أكان أصلها «أله» أو ليه».

إذًا نحن أمام معجمين عصريين هما: «المرجع والرائد» اتخذا من ترتيب معاجم المصطلحات في العربية، كالتعريفات والكليات – أو من المعجمات الأجنبية – قدوة لهما في ترتيب الكلمات حسب أوائلها، لا أوائل أصولها، وذلك بهدف التسهيل وخدمة العربية، وفعلاً تم لهما التبسيط كما أرادا، وتوصلا إلى طريقة تسهل على متعلم العربية الرجوع إلى المعجم، وخصوصاً إذا كان من غير الناطقين بالعربية، أو من العرب الذين بعد عهدهم بلغتهم...

أما أنهما قد خدما العربية – على نحو مطلق – فهذا أمر فيه نظر، ذلك لأن هذه الطريقة إذا اتبعت وشاعت في المعجم، وتسربت إلى المدارس في البلاد العربية، فإنها قمينة بأن تقضي على الملكة الصرفية، تلك التي يجب أن تعمل المدرسة على ترسيخها في نفس كل ناطق بالعربية منذ نشأته التعليمية الأولى.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الطريقة تشتت المادة الواحدة في صيغ كثيرة، فتضيع لُحْمَة القرابة، وتنفصم عُرى النسب في كلمات تنتمي لأصل واحد، ولا أعتقد أن الصعوبات التي ذكرها صاحب «الرائد» هي صعوبات حقيقية،

بل إنها صعوبات بولغ فى تضخيمها، حتى غدت أهوالاً ومصائب.. وطلاب العربية الذين يتحدث عنهم واضع «الرائد» أذكى بكثير مما صورهم عليه ولا يستعصى عليهم إلا ما فيه غموض أو لَبْس، ولا أعتقد أن طالبًا فى المرحلة الإعدادية يمكن أن يخطئ فى رد مكتب ومدرسة وأشباههما إلى الأصل.

وعلى كل حال فإن هذه العيوب لا تسوغ لنا رفض هذه الطريقة رفضًا قاطعًا؛ لأن ظهورها فى القرن الثامن للهجرة على يد الصلاح الصفدى، ثم ظهورها فى عصرنا - فى القرن الخامس عشر - من جديد، وإقبال الناس عليها يدل على أنها تلبى حاجةً ما، وتجنب الباحث فى المعجم بعض الصعوبات التى يواجهها فى المعجم الاشتقاقى بترتيبيه المعروفين.

على أن عدم رفض هذه الطريقة لا يعنى الدعوة إلى تبنيها، ونبذ الطريقة المعتمدة على الاشتقاق والرجوع إلى الأصل.. إن عدم الرفض يعنى أن نأخذ بهذه الطريقة فى حدود الحاجة إليها، كأن يكون متعلم العربية من غير أهلها أو أن يكون عربيًا بعد عهده بلغته.

أما الطريقة التى تدعو إلى استمرار العمل بها فى ترتيب المعجم فهى الطريقة الاشتقاقية التى تسهم فى الحفاظ على الملكة الصرفية، وعلى وحدة المادة فى المعجم الواحد.. على أن هذا لا يمنع واضع المعجم العربى الحديث أن يذكر بعض المواد ذات الاشتقاق الخفى أو الغامض فى غير مادتها ويحيل على موضع الأصل منها، فليس فى هذا من حرج، فابن منظور ذكر كلمة «الباز» فى «بزو» كما ذكرها فى «بوز» و«الأثفية» فى (أثف) وفى (ثفو) وليس من حرج إذا ذكرنا كلمة «اضطراب» فى حرف الألف وأحلنا المراجع على «ضرب» وقل مثل ذلك فى «ادكر» و«الطاووس» و«طوبى» و«الدرنفق» وما شابه ذلك، فنكون بهذا قد حافظنا على الطبيعة الاشتقاقية للمعجم، وعلى وحدة المادة المعجمية فيه، وتغلبنا على الصعوبات التى تواجه مَنْ لم يتمرس بالتصريف ومراجعة المعجم، ويمكن تطبيق ذلك خصوصًا فى المعاجم التى تخصص للطلاب، ولمن

يتعلم العربية، وأزعم أن مثل هذا التيسير يمكن أن يلغي الطريقة اللااشتقاقية، لأن الباحث في المعجم الميسر سيتمكن من معرفة الأصول، ويتمرس بردّ الكلمات إلى أصولها، إضافة إلى أنّ جمع الكلمات في أصلها الواحد يلغي تشتت المادة وتمزق أوصالها وتفرق مفرداتها، الذي قام عليه معجم «الرائد» وما شابهه. وكنت أتمنى لو أن المعجم الوسيط قد أكثر من هذه الإحالات، ولم يقتصر فيها على بعض الكلمات التي يصعب على عموم الطلاب ردّها إلى أصلها، فقد أحال في «أسلوب» إلى «سلب» وفي «البارىَ والباريّة والبارياء» إلى «بور» وفي «المبنى، والميناء» إلى «ونى»، وكان بإمكانه أن يورد الأسماء في الألف، ويحيل على «معى» مثلاً.

إن الإكثار من هذه الإحالات هو سبيل تيسير المراجعة في المعجم، مع المحافظة على جوهر الطريقة الاشتقاقية.

إن هذا البحث الموجز لم يعرض لنقد مضمون المعجمات التي ذكرت، لأن الاهتمام انصبّ أولاً على طريقة الترتيب، ولأن نقد المضمون يحتاج إلى بحوث مفصلة تقف مع كل معجم على حدة، وليس ذلك من أهداف هذا البحث.

* * *

المراجــع

- الاشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنية لأبى منصور الثعالبى، تح . محمد المصرى. ط . سعد الدين دمشق ١٩٨٤ .
- اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق القاشانى، تح . د . محمد كمال جعفر. الهيئة المصرية ١٩٨١ – القاهرة .
- جمهرة اللغة، ابن دريد . ط . حيدر أباد .
- دراسة فى المعاجم العربية – كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى، تأليف : فرنردبم، ترجمه، وقدم له د . حسن محمد الشماع، وراجعه د . حسن ظاظا . الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠ .
- الرائد معجم لغوى عصرى، لجبران مسعود . دار العلم للملايين – بيروت ط٣ : ١٩٧٨ .
- صحاح اللغة وتاج العربية، للجوهرى، تح احمد عبد الغفور عطار . القاهرة ١٩٥٦ .
- العين، للخليل بن احمد، تح د . مهدى المخزومى ود . إبراهيم السامرائى . دار الرشيد – بغداد .
- غوامض الصحاح، للصلاح الصفدى، تح د . عبد الإله نبهان . مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٦ .
- الكليات، لأبى البقاء الكفوى، تح د . عدنان درويش ومحمد المصرى . وزارة الثقافة – دمشق ١٩٨٤ .
- مجلة المورد المجلد ١٥ – العدد : ٢ – ١٩٨٦ بحث للدكتور حاتم صالح الضامن، بعنوان : « كتاب الاشباه والنظائر المنسوب إلى الثعالبى » .
- مجمل اللغة، لابن فارس، تح : زهير عبد المحسن سلطان . مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٤ .
- المرجع، معجم وسيط، عبد الله العلايلى، بيروت ١٩٦٣ .
- المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث، لمحمد احمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٦ .
- المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع، لمحمد عيسى صالحية . معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٢ – ١٩٩٥ .
- المعجم العربى نشأته وتطوره لحسين نصار، دار مصر للطباعة – ط . ٢ : ١٩٦٨ .
- المعجم العربى، بحوث فى المادة والمنهج والتطبيق، لرياض زكى قاسم، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧ .
- المعجم العربى بين الماضى والحاضر، لعدنان الخطيب، معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٩٦٧ .
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، ليوسف إليان سركيس الدمشقى، دار صادر – بيروت مصورة عن طبعة سركيس بمصر ١٩٢٨ .
- المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تح عبد السلام هارون، ط . مصر ١٣٦٦هـ .

تعليقات على

فهرس بلدية الإسكندرية :

(الجزء الأول منه)

لطف الله قارى

فهارس المخطوطات العلمية الخاصة بالتراث العربى لا تزال أقل بكثير من طموح الباحثين فى هذا المجال. ولهذا فإن كل جهد مشكور فى هذا المجال يكون موضع حفاوة وترحيب، ونتمنى من كل القائمين على رعاية التراث دعم هذا الميدان الذى لا تخفى أهميته. ومن هذه الفهارس **«فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية، ج١ : المخطوطات العلمية»**: صدر عن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، من إعداد الدكتور يوسف زيدان، سنة ١٩٩٧م.

وإذا اهتم باحث بإبداء ملاحظاته وتعليقاته على إنتاج علمى فلان ذلك الإنتاج قيم استحق الالتفات إليه والكتابة عنه، وليس الهدف من النقد النيل من جهد المؤلف الذى لا ينكر جهده، وإنما الغرض هو نفس غرض المؤلف: أى إفادة الباحثين بتصحيح معلومة أو إضافة أخرى. فتعليقاتنا إذاً إما لتصويب رأى للمؤلف الفاضل، أو إضافة اسم المؤلف لمخطوطة نسبت فى الفهرس إلى مجهول، أو لإضافة معلومات أخرى لا غنى عنها.

والملاحظة العامة على الكتاب أنه محدود التوزيع، فقد بحثنا عنه مع عدد من الإخوة المصريين فى القاهرة والإسكندرية، فلم نجده. ولم أره يباع إلا فى جناح الهيئة العامة لإحياء مكتبة الإسكندرية بمعرض القاهرة الدولى للكتاب، أى فى مكان واحد خلال زمن وجيز وهذه مشكلة إنما تتعلق بالنشر والتوزيع.

أما الملاحظات الخاصة فتتمثل فى الآتى :

* يقول المؤلف: «لم ينشر منها (أى من كتب العلوم الطبيعية فى التراث) حتى اليوم بشكل علمى أكثر من ثلاثين كتابًا».

التعليق: إذا كان المقصود بعبارة «بشكل علمى» اتباع قواعد التحقيق ومناهجه وتزويد الكتاب المحقق بفهارس فنية كشافة تظهر فوائد الكتاب، فإن ما نشر من كتب التراث العلمية فى مصر وحدها أكثر من ثلاثين كتابًا!! وإذا كان الشكل العلمى يتطلب الفهارس الفنية للأعلام والمواضيع والعناوين، فإننا نعتب على المؤلف الفاضل لِخُلُوِّ الكتاب منها، مع الإمكانات الموضوعة بين يديه، والأشخاص الذين تعاونوا معه من موظفى مكتبات الإسكندرية كما ذكر هو فى المقدمة، دَعْكَ من أن أعماله السابقة فى هذا المجال - مثل تحقيقاته لمؤلفات ابن النفيس - لم تخل من الفهارس. وربما يعتذر عن هذا بأن هذه الفهارس سوف تصدر لاحقًا تتميمًا لفائدة هذا الفهرس.

* ص ٢٠ و٢١: قال المؤلف: إن «مجموعة من المخطوطات تكررت بشكل لافت يعكس اهتمام العلماء العرب بها. ومع ذلك فهى لا تكاد تعرف اليوم». وذكر منها «رسائل لسبط المارديني»، ولابن المجدى. وهى معروفة لمؤرخى الآلات الفلكية. وذكر أيضًا كتاب «خلاصة الحساب» للعاملى، وهو مطبوع منشور سنة ١٩٧١[١]. وذكر أيضًا مختصر «المعونة فى الحساب» لابن الهائم. وهو أيضًا؛ مطبوع نشر عام ١٩٨٨[٢].

* فى ص ٥٢، رقم: ٧: «أرجوزة فى معرفة المنازل وأماكنها وصفاتها، لمجهول».

التعليق: هذه الأرجوزة لمحمد المقرى[٣].

فى ص ٥٩، رقم ١٧: «الإشارات فى العمل بالمجيب». وهنا قام المؤلف

(١) الأعمال الرياضية للعاملى، ص ١٦ - ١٧٩.

(٢) المعونة لابن الهائم، انظر المراجع بآخر هذا البحث.

(٣) العلوم العقلية، ص ٤٠٦.

بتشكيل كلمة «المجيب» على وزن منبر.

التعليق: الصواب هو: المجيب، بفتح الجيم وتشديد الياء مع فتحها، أى على وزن «الموقر». وقد أشار المؤلف فى الهامش إلى أن هذه المخطوطة عبارة عن شرح رسالة «الرسالة الفتحية فى الأعمال الجيبية» لسبط الماردينى. وهذا يؤيد تصحيحنا هنا، لأن كلمة «المجيب» من جيوب المثلثات الكروية.

فى ص ٦٣، رقم ٢٢: «الإيضاح فى أسرار النكاح، للشيرازى، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ».

الصواب هو: الشيزرى (من قلعة شيزر ببلاد الشام). وتاريخ وفاته هى ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م(١)(٢).

فى ص ٨٥، رقم ٥٠: «على بن عيسى الماهر، توفى بعد ٢٧٩ هـ».

التعليق: الصواب هو: على بن عيسى الكحال، توفى سنة ٤٣٠ هـ(٣).

فى ص ٨٧، رقم ٥٣: «للصوفى أبى عبد الله محمد بن أبى الفتح المصرى، المتوفى فى حدود سنة ٩٥٠ هـ».

التعليق: عرف هذا العالم بين معاصريه باسم «ابن أبى الفتح الكتبى»(٤)(٥)، وتاريخ وفاته فى حدود سنة ٩٣٠ هـ(٦).

* فى ص ٩١، رقم ٥٨: «تعليقات على خلاصة الحساب للعاملى، لمجهول».

(١) نهاية الرتبة، مقدمة المحقق، صفحة ي، ك.

(٢) فهرس هيا الدوسرى ص ٣٨.

(٣) الأعلام: ٤ / ٣١٨.

(٤) الضوء اللامع ٩ / ١٧٩.

(٥) بدائع الزهور ٢ / ٢٥٢ و ٣ / ٢٧٤.

(٦) الآلات الميكانيكية فى تراثنا العلمى.

التعليق: ذكر كنج[1] مخطوطات شروح كتاب العاملى. ومقارنة محتويات هذه المخطوطة بمحتويات تلك ربما تؤدى إلى معرفة المؤلف.

* فى ص ٩٢، رقم ٥٩: «تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية... للسنوسى؟».

التعليق: تحذف علامة الاستفهام، لان الكتاب حقًا من تاليف محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، المتوفى سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٩٠م[2].

* فى ص ٩٤، رقم ٦٣: «للصوفى... المتوفى سنة ٩٥٠ هـ».

التعليق: هو التعليق نفسه الذى ذكرناه حول صفحة ٨٧ رقم ٥٣.

* فى ٩٨، رقم ٦٧: «توضيح التشريح... للعاملى».

التعليق: المؤلف - على حسن مقدمة المخطوطة - هو أحمد بن الحسن.

* فى ص ١٠٩، رقم ٧٩: «جوامع اللذة، لمجهول».

التعليق: المؤلف هو علي بن نصر الكاتب، المعروف بابن السمساني. توفى ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م[3] تقريبًا.

* فى ص ١١١، رقم ٨١: «الجوهر النفيس فى شرح أرجوزة الشيخ الرئيس، لموسى المتطبب».

التعليق: المؤلف هو موسى بن إبراهيم البلداني الكحال[4][5].

* فى ص ١٢٩، رقم ١٠٢: «لابن الاقباعي»

التعليق: أشار إليه معاصره «السخاوى» فى «الضوء اللامع» مراراً بلقب

(١) فهرس كنج ٩٣٤ - ٩٣٦.

(٢) فهرس ششن ٢٥١.

(٣) فهرس ششن ٥٢.

(٤) العلوم العقلية ٦٠٦.

(٥) الأعلام ٧/ ٣١٩.

«الوفائي». وعرف بلقب «الوفائي» أيضًا بين مؤرخي الفلك المعاصرين(١)، فلقب «الوفائي» كان أشهر قديمًا وحديثًا من ابن الأقباعي.

* في ص ١٤، رقم ١١١: «لنصر الدين بن نصر، ألفه لداود بن الملك المنصور».

التعليق: المؤلف هو نصر بن نصر. ألف الكتاب للملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر الرسولي، المتوفى سنة ٧٢١ هـ/ ١٣٢٢م. فالمؤلف إذًا عاش في اليمن في أوائل القرن الثامن الهجري (١٤ م). وقد نسب بعض الباحثين الكتاب إلى مؤلفين آخرين(٢).

* في ص ١٣٦، رقم: «لعله: المصري، رضوان بن عبد الله».

التعليق: تحذف كلمة «لعله». لأن الكتاب في الحقيقة للفلكي رضوان أفندي بن عبد الله(٣)(٤).

* ص ١٤٥، رقم ١٢٤: «لجمال الدين أبي القاسم بن محفوظ؟».

التعليق: تحذف علامة الاستفهام، لأن الكتاب لجمال الدين أبي القاسم بن محفوظ المنجم البغدادي(٥).

* ص ١٤٨، رقم ١٢٨: «الرسالة الصالحية... لمجهول»

التعليق: المؤلف هو محمود الأنطاكي(٦).

* ص ١٥٥، رقم ١٤٢: «رسالة في أعمال الكسور، لمجهول».

---

(١) فهرس كنج ١٢١٨.
(٢) فهرس شِشن ٣٧٧.
(٣) فهرس كنج ٢٥٤.
(٤) الأعلام ٣/ ٢٧.
(٥) فهرس كنج ٤٠١، ٤٠٢، ١١٩٠.
(٦) فهرس كنج ٥١٧.

التعليق: الصواب أنها «نزهة النظار في قلم الغبار» لابن الهائم[١].

* في ص ١٦٠، رقم ١٥٠: «رسالة في الأسطرلاب، لجمال الدين.. إلخ».

التعليق: هي نفسها الرسالة التي سبق ذكرها في ص ١٤٥ – ١٤٦ برقم ١٢٤.

* في ص ١٦٢، رقم ١٥٣: رسالة في الجراحة ووظائف الأعضاء، لمجهول».

التعليق: بمقارنة النص مع كتاب «العمدة في الجراحة» لابن القف نجد تطابقاً في الألفاظ[٢]. فهي إذاً لابن القف.

* في ص ١٧٠، رقم ١٦٥: «رسالة في الربع المجيب»

التعليق: هو التعليق نفسه الذي ذكرناه حول صفحة ٥٩ رقم ١٧ عن تشكيل كلمة «المجيب».

* في ص ١٧١، رقم ١٦٦: «رسالة في الربع المجيب».

التعليق: نفس التعليق السابق.

* في ص ١٧٢، رقم ١٦٨: «رسالة في الربع المجيب (رسالة على ربع الدائرة الموضوعة على المقنطرات)».

التعليق: هو التعليق السابق حول كلمة «المجيب». ونضيف إليه أن ربع المقنطرات غير الربع المجيب. والعنوان الأصح للمخطوطة هو الذي ذكره مؤلف الفهرس بين قوسين. وهو نفس عنوان النسخ الأخرى من نفس المخطوطة، مثل نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة[٣].

* ص ١٧٣، رقم ١٦٩: «رسالة ... في الطب، لمجهول».

---

(١) فهرس عايدي ٤٧، ٤٨.

(٢) العمدة في الجراحة، لابن القف.

(٣) فهرس كنج ٤٥٠، ٤٥١.

التعليق: الصواب هو أن هذا كتاب: «انتخاب الاقتضاب على طريقة السؤال والجواب»، لأبي نصر سعيد بن أبي الخير المتطبب البغدادي (ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م)(١).

* في ص ١٨٠، رقم ١٨٠: «رسالة في العمل بالربع المقطوع، لمجهول».

التعليق: الصواب أن عنوانها هو «الرسالة الصالحية في العمل بالربع الشمالي المقطوع المقنطر». وهي من تأليف محمود أفندي القرشهري(٢).

* في ص ١٨١، رقم ١٨٢: «رسالة في العمل بالربع المجيب».

التعليق: هو التعليق الذي ذكرناه حول صفحة ٥٩ رقم ١٧ عن ضبط كلمة «المجيب».

* في ص ١٨٢، رقم ١٨٣: «رسالة في العمل بالربع المجيب».

التعليق: نفس التعليق السابق.

* في ص ١٨٢، رقم ١٨٣: «رسالة في العمل بالربع المجيب».

التعليق: نفس التعليق السابق.

* في ص ١٩٤، رقم ١٩٩: «رسالة في علم الميزان الطبيعي، للراصد محمد ابن معروف الدمشقي، المتوفى ٩٩٣ هـ... كتبت بخط المؤلف.. في القرن الرابع عشر الهجري». وفي هامش الصفحة: «في المخطوطة: ابن القاضي» (وضع مؤلف الفهرس هذه العبارة في الهامش دليلاً على عدم قبوله للقب «ابن القاضي»).

التعليق:

١ - معروف توفي فعلاً سنة ٩٩٣هـ. ولذا لا يمكن أن تكون المخطوطة بخط

---

(١) فهرس المنيسي ٤٢، ٤٣.

(٢) فهرس كنج ٤٦٣.

المؤلف فى القرن ١٤ هـ.

٢ – كون ابن معروف لقّب بابن القاضى سببه أن أباه كان قاضيًا فعلاً[١].

* فى ص ١٩٤، رقم ٢٠٠: «رسالة فى علم الفلك».

التعليق: بالنظر إلى محتوياتها فالأصح أن تسمى «رسالة فى الكرة، المسماة بذات الكرسى. وهناك رسائل أخرى تشبهها فى محتواها[٢].

* فى ص ١٩٧، رقم ٢٠٣: «رسالة فى عمل البنكام، لمجهول» وفى هامش الصفحة: «البنكام آلة فلكية تستخدم للرصد».

التعليق:

١ – هذه الرسالة لابن أبى الفتح الذى سبق ذكره فى تعليقنا عى صفحة ٨٧، رقم ٥٣. ومنها نسخ فى القاهرة وبغداد واستانبول والفاتيكان. وقد طبعت بالآلة الكاتبة بتحقيق غير جيد فى بغداد سنة ١٩٨٤م.

٢ – والبنكام هو الساعة الآلية، وغالبًا الساعة المائية. فإذا كانت ساعة رملية تسمى البنكام الرملى. وإن كانت تعمل بدوران المسننات أو التروس سميت بالبنكام الدورى[٣].

* فى ص ٢٠٠، رقم ٢٠٨: «رسالة فى الكيمياء، لاسقف دمياط. أولها: الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله». وفى هامش الصفحة: «هذا ما ورد فى بداية المخطوطة، مع أن المؤلف رجل مسيحى، فتدبر».

التعليق: المخطوطة بخط ناسخ غير المؤلف، فالعبارة الإسلامية مقحمة غالبًا من النساخ. ومثل هذه العبارات ترد فى كتب قسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق وأمثالهما من المسحيين، فلم يتفطن المؤلف – مؤلف الفهرس إلى مثل هذا!

(١) تقى الدين والهندسة الميكانيكية ص ١٧ – ٢١.

(٢) فهرس كنج ص ٣٨٦.

(٣) الآلات الميكانيكية فى تراثنا العلمى.

* فى ص ٢٠٤، رقم ٢١٣ : «رسالة مختصرة فى الربع المشهور بالمقنطرات، لمجهول».

التعليق: هذه الرسالة لمحمد أفندى درندر(١).

* فى ص ٢٠٥، رقم ٢١٤ : «رسالة فى النيل وزيادته ونقصه، لمجهول». وفى هامش الصفحة : «هكذا ورد العنوان فى المخطوطة. وفى المكتبة العامة لجامعة الإسكندرية مخطوطة... عنوانها : فوائد فى زيادة النيل ونقصانه، لعلى ابن رضوان... وبين الرسالتين تشابه كبير».

التعليق: رسالة ابن رضوان منها نسخ فى دار الكتب المصرية بالقاهرة. وهى غير هذه الرسالة(٢). اما هذه الرسالة فنسبت فى فهرس كنج تارة إلى موسى بن محمد القليبى، وأخرى إلى الحكيم هرمس(٣).

* فى ص ٢١٠، رقم ٢٢١ : «روضة الحدائق ورياض الحقائق، لمجهول».

التعليق: هذا الكتاب من تاليف أبى مسلمة محمد بن إبراهيم المجريطى(٤)(٥).

* فى ص ٢٤١، رقم ٢٥٦ : «شرح الدائرة الهندية، لمجهول».

التعليق: هذا الكتاب من تاليف الكنجدى، المفتى فى بلدة أماسية(٦).

* فى ص ٢٥١، رقم ٢٧٣ : «شرح الياسمينية، لابن الهائم».

التعليق: العنوان الأصح لهذه المخطوطة هو «الدر الثمين فى شرح أرجوزة ابن

(١) فهرس كنج ٤٦٠.
(٢) فهرس كنج ٧١٥، ٧١٦.
(٣) فهرس كنج ٦٤٢، ٧٦٤، ٧٦٥.
(٤) تاريخ التراث العربي لسزكين ٤٤٣.
(٥) Ullmann pp. 13, 50.
(٦) فهرس كنج ٣٤٢.

الياسمين»[1].

* فى ص ٢٥٢، رقم ٢٧٦ : «شرح رسالة الربع المجيب»

التعليق: هو التعليق الذى ذكرناه حول صفحة ٥٩ رقم ١٧ عن ضبط كلمة «المجيب».

* فى ص ٢٥٣، رقم ٢٧٧ : «شرح رسالة الربع المجيب».

التعليق: نفس التعليق السابق.

* فى ص ٢٦٧، رقم ٢٩١ : «الطب الكيميائى الجديد، لبر اكلسوس»

التعليق: هذا الكتاب من تعريب الطبيب صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبى، الذى ذكر له كتاب آخر فى صفحة ٢٧٧ من الفهرس[2].

* فى ص ٢٦٨، رقم ٢٩٢ : «الطب النبوى، مختصر: البركة فى فضل السعى والحركة». وفى هامش الصفحة: «فى كشف الظنون.. البركة فى مدح السعى والحركة لجمال الدين محمد بن عبد الرحمن اليمنى، المتوفى ٧٨٢هـ».

التعليق:

١ – كتاب البركة مشهور، طبع عدة طبعات، واللقب الأشهر للمؤلف هو «الحبشى»[3][4].

٢ – مقارنة نص المقدمة بما ورد فى كتاب البركة تدل على أن المخطوطة المذكورة هنا هى كتاب البركة نفسه، وليست مختصراً له[5].

* فى ص ٢٧٤، رقم ٢٩٨ : «العمل بالربع المجيب».

(١) فهرس كنج ٨٧٧.

(٢) الطب الجديد الكيميائى ص ٢٣.

(٣) مصادر الفكر فى اليمن للحبشى ص ٢٧٧، ٤١٩.

(٤) المعجم الشامل لصالحية ٢ / ١٤٠.

(٥) فهرس الحيمى ٥٢.

التعليق: هو التعليق الذى ذكرناه حول صفحة ٥٩ رقم ١٧ عن ضبط كلمة «المجيب».

* فى ص ٢٧٥، رقم ١٩٩: «العمل بالربع المرسوم بالمقنطرات، لمجهول».

التعليق: هذه المخطوطة من تاليف شهاب الدين أحمد بن رجب المعروف بابن المجدى[١].

* فى ص ٢٨١، رقم ٣٠٦: «غنية الأوضاع فى حساب المقنطرات ورسم الأرباع».

التعليق: هذه الرسالة نسبت فى مخطوطاتها المختلفة إلى ثلاثة مؤلفين على الأقل[٢]. والأمر متروك للبحث لمعرفة المؤلف الحقيقى.

* فى ص ٣٠٧، رقم ٣٣٥: «كتاب فى علم الطب، للإمام اليافعى». وفى هامش الصفحة: «هكذا ورد الاسم فى المخطوطة. واليافعى المشهور هو الإمام عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى. لكنه كان صوفيا، ولم يؤثر عنه التاليف فى مجال الطب».

التعليق: بل أثر عنه التاليف فى الطب. فهو اليافعى المذكور فى ص ٣٨١ من الفهرس، حيث المنظومة المذكورة فى تلك الصفحة تدخل فى باب الطب، لأنها تتحدث عن الماكولات المناسبة فى كل شهر، وما يجب تجنبه من سائر الأشياء، كما ذكر فى مقدمة تلك المخطوطة[٣].

* ص ٣٠٨ رقم ٣٣٦: «كتاب فى النبات، لمجهول».

التعليق: عبارات هذا الكتاب تشبه عبارات «الجامع» لابن البيطار، فقد

---

(١) فهرس كنج ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) فهرس كنج ٤٣٦، ٤٣٧.

(٣) فهرس شبوح ١٨٥.

يكون نسخة منه أو مختصره.

* في ص ٣٠٩، رقم ٣٣٨: «كتاب في الفلك، لمجهول».

التعليق: ذكر مؤلف الفهرس أن موضوع المخطوطة هو الفلك. والصواب أنها في التنجيم.

* في ص ٣١٠، رقم ٣٣٩: «كشف الأسرار، للقلصاوى»

التعليق: الاسم الصحيح هو القلصادى بالدال. والكتاب طبع سنة ١٩٨٨[١].

* في ص ٣٢٠، رقم ٣٥٥: «كيميا باسيلقى، لقروليوس».

التعليق: عنوان هذا الكتاب يعنى باللاتينية «الكيمياء الملكية» وهو من تعريب الطبيب صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبى، الذى ذكر له كتاب آخر فى صفحة ٢٧٧ من الفهرس[٢]. ومنه نسخ عديدة فى العالم[٣].

* في ص ٣٢٤، رقم ٣٦٢: «لوح الضبط فى حساب القبط، لابن المغربى، على؟». ثم قال مؤلف الفهرس «لعله الوزير المغربى، أبو القاسم الحسين بن على، المتوفى سنة ٤١٨ هـ».

التعليق: المؤلف هو أبو الحسن على، المعروف بابن المغربى. وقد شرح أرجوزته مؤلف من القرن التاسع الهجرى (١٥ م)، فذكره بعبارة «العلامة أبى الحسن الشهير بابن المغربى[٤]. وقد يكون هو الشاعر على بن عبد العزيز، المعروف بابن المغربى، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م[٥].

---

(١) كشف الأسرار للقلصادى ص ٧.

(٢) الطب الجديد الكيميائى ص ٢٣.

(٣) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان، القسم ٩ ص ٤٢١.

(٤) فهرس كنج ٨٨٣، ٨٩٥.

(٥) الأعلام ٤/ ٣٠٠.

* فى ص ٣٢٧، رقم ٣٦٣ : «المبادئ والغايات فى علم الميقات، للمراكشى».

التعليق: الصواب أن عنوان المخطوطة هو «جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات». وقد طبعت أجزاء منه مترجمة إلى الفرنسية، كما صورت إحدى مخطوطاته ونشرت دون تحقيق(١).

* فى ص ٣٣٩، رقم ٣٧٩ : «مختصر حياة الحيوان الصغرى للدميرى، لمجهول، لعله الشبراوى، الشريف عبد الفتاح الحسينى». وفى هامش الصفحة. «لم يذكر اسم المؤلف على غلاف المخطوطة. وجاء فى آخرها: انتهى ذلك بحمد الله وعونه.. على يد الواثق بالله الفتى الشريف عبد الفتاح».

التعليق: عد بروكلمان مختصرات كتاب الدميرى، مع ذكر مؤلف كل واحد منها، إلا أنه ذكر هذه المخطوطة منسوبة إلى مجهول. وذكر أن لها نسخا أخرى فى استانبول وباريس(٢). أما الشريف عبد الفتاح فهو ناسخ المخطوطة.

فى ص ٣٤٠، رقم ٣٨١ : «مختصر فى علم الحيوان، لمجهول».

التعليق: مقدمة المخطوطة تدل على أنها من تاليف أحمد بن محمد بن أبى الأشعث، من أهل القرن الرابع الهجرى (١٠م)، وله كتاب «الحيوان» الذى منه نسخ فى بريطانيا وألمانيا(٣)(٤)، ولعل هذه المخطوطة نسخة من ذلك الكتاب.

* فى ص ٣٤١، رقم ٣٨٢ : «مختصر فى معرفة أعمال الاسطرلاب، لمجهول».

التعليق: بمقارنة عبارات المقدمة وعناوين الفصول مع رسالة «تذكرة الأحباب فى العمل بالاسطرلاب» لمحمد بن آدم الروستانى يظهر أن هذه نسخة

(١) جامع المبادئ والغايات، المقدمة.

(٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان، القسم ٦ ص ٥٧٦.

(٣) المصدر السابق ج ٤، ص ٢٨٨.

(٤) الأعلام ١/ ٢٠٩.

من تلك(١).

* فى ص ٣٤٩، رقم ٣٩٢: «مسالة فى شرح الشمسية، لمجهول». وفى هامش الصفحة: «الرسالة الشمسية فى القواعد المنطقية، للتفتازانى».

التعليق: شمسية التفتازانى فى علم المنطق(٢). أما الشمسية المذكورة هنا فهى فى الرياضيات. وهى من تاليف الحسن بن محمد النيسابورى»(٣).

* فى ص ٣٥٥، رقم ٤٠٠: «مصابيح الأنوار... لمجهول».

التعليق: من هذه المخطوطة نسخة أخرى بدار الكتب المصرية. وهى منسوبة إلى مؤلف ملقب بسراج الدنيا والدين(٤).

* فى ص ٣٨١، رقم ٤٣٢: «منظومة فى الشهور الرومية، لليافعى... موضوعها، فلك/ تقويم».

التعليق: موضوع القصيدة فى الطب والتقويم، حيث يتحدث عن الأغذية المناسبة فى كل شهر من الأشهر الشمسية، وكذلك عن الأشياء الواجب تجنبها فى كل منها(٥).

* فى ص ٣٩٤، رقم ٤٥١: «النشر المطيب فى العمل بالربع المجيب».

التعليق: تم تشكيل كلمتى «المطيب» و «المجيب» على وزن منير. وهذا أمر عجيب، لأن كلمة «المطيب» (بفتح الياء مع تشديدها) من الطيب أى العطر. وكلمة «المجيب» بنفس الوزن من جيوب المثلثات الكروية. أما ما جاء على وزن منير فلا معنى له.

---

(١) فهرس كنج ٤٢٧.

(٢) الأعلام: ٧/ ٢١٩.

(٣) فهرس كنج ٨٩٦.

(٤) فهرس كنج: ٢٦٧.

(٥) فهرس شيوح ١٨٥.

* فى ٣٩٥، رقم ٤٥٢ : «نور العيون وجامع الفنون، لمجهول».

التعليق: الصواب أن هذا كتاب مشهور فى الكحالة أو طب العيون، من تأليف صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموى. وهو مطبوع[١].

* فى ص ٤٠٠ رقم ٤٥٦ : «هداية الطلاب... لعبد الله سراج الدين».

التعليق: هذا الكتاب لنفس مؤلف المخطوطة رقم ٤٠٠ المذكورة فى صفحة ٣٥٥، التى سبق التعليق عليها. وهى لمؤلف يلقب بسراج الدنيا والدين[٢].

* * *

(١) نور العيون للحموى.

(٢) فهرس كنج ٩٤٧.

المصادر والمراجع

١ - الآلات الميكانيكية في تراثنا العلمي، لطف الله قاري، حلب، مجلة تاريخ العلوم العربية المجلد ١١، ١٩٩٧م.

٢ - الاعلام، خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م (٨ مجلدات).

٣ - الاعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي، جلال شوقي، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨١م (نشر فيه كتاب «خلاصة الحساب»، ص ١٦ - ١٧٩).

٤ - بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس، تحقيق محمد مصطفى، بيروت والقاهرة، جمعية المستشرقين الألمانية والهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ - ١٩٩٢م، ٦ مجلدات للنص و٦ للفهارس.

٥ - تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تعريب عبد الحليم النجار (الأجزاء ١ - ٦) ومحمود فهمي حجازي وزملائه (الأقسام ٤ - ٩، أي الأجزاء ٧ - ١٤)، القاهرة، دار المعارف (الأجزاء الأولى، ١٩٦٢ - ١٩٧٧) والهيئة المصرية العامة للكتاب (الأجزاء الأخرى، ١٩٩٣ - ١٩٩٥م).

٦ - تاريخ التراث العربي، ج ٤ الكيمياء والسيمياء، فؤاد سزكين، تعريب عبد الله حجازي، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٦م.

٧ - تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية، احمد يوسف الحسن، حلب، معهد التراث العلمي العربي ١٩٧٦م.

٨ - جامع المبادئ والغايات في علم الميقات، المراكشي، فرانكفورت، طبعة مصورة عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول، ١٩٨٤م.

٩ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ابن البيطار، طبعة بولاق المصورة، وطبعة أخرى ببيروت، بإعادة صف الأحرف، ١٩٩٢م. وكلتا الطبعتين دون تحقيق.

١٠ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٣٤ - ١٩٣٦م، (١٢ جزءاً)، ونشر مصوراً عدة مرات.

١١ - الطب الجديد الكيميائي، صالح بن نصر الله بن سلوم الحلبي (ت ١٠٨١ هـ/ ١٦٧٠م)، تحقيق كمال شحادة، حلب، معهد التراث العلمي العربي بحلب، ١٩٩٧.

١٢ - العلوم العقلية في المنظومات العربية، جلال شوقي، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٠م.

١٣ - العمدة فى صناعة الجراحة، ابن القف، حيدر اباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٧م.

١٤ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الرياضيات، محمد صلاح عابدى، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٣م.

١٥ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الطب والصيدلة - الجزء الثانى، صلاح الخيمى، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م.

١٦ - فهرس مخطوطات الطب الإسلامى فى مكتبات تركيا، رمضان ششن وزميلاه، استانبول، مركز ابحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٨٤م.

١٧ - فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربى، هيا الدوسرى، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م.

١٨ - فهرس المخطوطات العلمية المحفوظة بدار الكتب المصرية، ديفد كنج King، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ١ (١٩٨١م)، ج٢ (١٩٨٦م). وكل الإحالات فى بحثنا هذا هى من الجزء الثانى لذلك الفهرس.

١٩ - «فهرس المخطوطات المصورة - الجزء الثالث: «العلوم - القسم الثانى: الطب»، إبراهيم شبوح، القاهرة، نشر معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٩م.

٢٠ - كشف الأسرار عن علم حروف الغبار، القلصادى (ت ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦م)، تحقيق محمد سويسى، تونس، بيت الحكمة، ١٩٨٨م.

٢١ - مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن، عبد الله الحبشى، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، دون تاريخ، (١٩٧٨م).

٢٢ - المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع، محمد عيسى صالحية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢ - ١٩٩٥م، (الأجزاء ١، ٢، ٣، ٥).

٢٣ - المعونة فى علم الحساب، لابن الهائم، تحقيق خضير عباس المنشداوى، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٨م.

٢٤ - نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، للشيزرى، تحقيق السيد الباز العرينى، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦م، (ونشر مصوراً مراراً دون ترخيص).

٢٥ - نور العيون وجامع الفنون، صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموى، تحقيق ظافر وفائى ورواس قلعجى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٣م.

(26) Ullmann, M. 1974, 1976

Katalog der arabischn alchemistischen Handschriften der Chester Beatty Library, 2T., (Publ. By:) Otto Harrassowitz, Wiesbaden (Germany).

ميخائيل عواد:
حياته وجهوده العلمية

جليل العطية

ولد ميخائيل بن حنا حجي بن إلياس بن مراد عبد الأحد بن حنا الأجدح في الموصل(١) في ٢٣ شباط / فبراير ١٩١٢م- ١٣٣٠ هـ، وقد عرف والده بين الناس باسم حنا عواد.. أما والدته فتدعى ظريفة بنت حنا عرق السوس.

وكان لوالده (حنا حجي)(٢) - وهو تحريف جرجيس - ذكر، وهو موصلي الولادة (١٨٦٢م)، بغدادي الوفاة (١٩٤٢م)، فلقد كان نجاراً يمتلك ثقافة طيبة، حتى إن أسرته تحتفظ بمخطوطات نسخها بقلمه أواخر القرن الماضي، وكان أول من أدخل صناعة العود الحديث إلى العراق، وبلغ مجموع ما صنعه من الأعواد (٣١٨) عوداً خشبية تتألف من أخشاب: الجوز والمشمش والأبنوس، والنارنج والدلب وغيرها.

تلقى ميخائيل مبادئ التعليم في مسقط رأسه، ثم واصل الدراسة في بغداد، حيث تخرج في (دار المعلمين الابتدائية) سنة ١٩٤٣م. ومارس التعليم في الموصل وأريافها سنوات عديدة، وفي سنة ١٩٤٤م اختير ليكون ملاحظاً للمكتب (مارس ١٩٧٠م) عندما أحال نفسه إلى التقاعد (المعاش).

---

(١) الموصل من أعظم مدن العراق، تقع على جانبي نهر دجلة، فتحها المسلمون سنة ١٦ هـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق. معجم البلدان ٥/ ٢٢٣-٢٢٥.ـ٤

(٢) انظر: الموصل أم الربيعين - مديرية الآثار - ص١٠ - مطبعة الحكومة - بغداد - ١٩٦٥م.

(٣) انظر ترجمته في: قاموس الموسيقى العربية لحسين علي محفوظ ص٢٢٨- وزارة الإعلام بغداد - ١٩٧٧م

مجلس الكرملي:

شغف ميخائيل بالمطالعة منذ فتوته، وكان لأخيه كوركيس [1] - العالم المعروف - الفضل فى انصرافه إلى العلم والبحث.

كان انتقاله إلى بغداد سنة ١٩٤٤م نقطة فى حياته، فلقد كانت هذه المدينة ولا تزال تحفل بالعلماء والأدباء والمكتبات العامة والخاصة وإدارات المجلات والصحف، تقتضى لقاء نخبة المجتمع، وإلى أخيه كوركيس الذى سبقه فى اتخاذ العاصمة سكنًا له فوق عشر سنوات وإلى الأب أنستاس مارى الكرملى [2] (المتوفى سنة ١٩٤٧م) وهنا لابد من التوقف قليلاً.

كان للكرملى مجلس أدبى يعقد فى صباح الجمعة من كل أسبوع فى دير الآباء الكرمليين ببغداد ويحضره عشرات الزائرين وبينهم عدد من المستشرقين أو العرب ممن يزورون بغداد، كانت موضوعات المجلس تدور فى الغالب على شئون اللغة والأدب والشعر والتاريخ والبلدان، وفى هذا المجلس تعرف ميخائيل إلى صفوة أهل الأدب والعلم ومنهم على سبيل المثال:

أحمد ناجى القيس، وداود الجلبى. ورزوق عيسى ورفائيل بطى، وسليمان الدخيل، وطه الراوى، وعباس العزاوى وعبد الرزاق الحسينى، وعبود الكرخى، ومحمد رضا الشبيبى، ومصطفى جواد، ميربصرى، ويعقوب سركيس، ويوسف غنيمة، وغيرهم.

---

(١) انظر فى ترجمته:

- كوركيس عواد رائد الدراسات البيليوجرافية (١٣٢٦-١٤١٣هـ - ١٩٠٨ - ١٩٩٢م) لجليل العطية: عالم الكتب - الرياض مجـ ١٤ ع١ (شعبان ١٤١٣هـ - يناير/ فبراير ١٩٩٣).
- كوركيس عواد شيخ المفهرسين فى عصره للأستاذ هلال ناجى: مجلة معهد المخطوطات العربية - القاهرة - المجلد ٣٧ - الجزآن ١-٢ (رجب ١٤١٣هـ - محرم ١٤١٤هـ - يناير - يوليو ١٩٩٣م).

(٢) انظر ترجمته فى كتاب: أنستاس مارى الكرملى - حياته ومؤلفاته، لكوركيس عواد - بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

وكان من عادة صاحب المجلس أن يطلع زائريه في أثناء تلك الجلسات، على بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة التي وردت حديثًا إلى خزانته، فيكون من وقوفهم عليها مادة حسنة للحديث في تلك الجلسة.

وهكذا كان لهذه الندوة الثقافية الأثر في تطور ثقافة ميخائيل فاطلعته على أمور كثيرة لم يكن بإمكانه الوقوف عليها لو أنه بقي في مسقط رأسه (الموصل).

آثاره المطبوعة:

بدأ ميخائيل عواد حياته العلمية في وقت مبكر، فقد كان في الحادية والعشرين عندما نشر مقالته الأولى في مجلة «النجم» الموصلية سنة ١٩٣٣م وكان عنوانها: مآثر القرن التاسع عشر.

أما مؤلفاته المطبوعة فهي:

١ – ديرقني: موطن الوزراء والكتاب – بيروت ١٩٣٩م.

٢ – المآصر في بلاد الروم والإسلام – بغداد – ١٩٤٨م.

٣ – صور من حضارة العراق في العصور السالفة: صناعة الزجاج والبلور – بغداد – ١٩٦٢م.

٤ – صور من حضارة العراق في العصور السالفة. صناعة الصفر – بغداد – ١٩٦٢م.

٥ – ألف ليلة وليلة: مرآة الحضارة والمجتمع في العصر الإسلامي – بغداد – ١٩٦٢.

٦ – أبو تمام الطاير: حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية، بالاشتراك – بغداد – ١٩٧١م.

٧ – الخليل بن أحمد الفراهيدي: حياته وآثاره في المراجع العربية والأجنبية، بالاشتراك بغداد ١٩٧٢.

٨ – الشعر العربي منذ مطلع ١٩٧١ – لغاية مارس آذار – ١٩٧٢م – بغداد ١٩٧٢م.

٩ – يحيى الواسطي: شيخ المصورين في العراق – بغداد – ١٩٧٢م.

١٠ – الفنان العراقي (حنا عواد) وأثره في آلات الموسيقى الشرقية – بالاشتراك – بغداد ١٩٧٨م.

١١ – الموسيقى والغناء في العراق في العصر العباسي – بغداد – ١٩٧٨م.

١٢ – رائد الدراسة عن المتنبي – بالاشتراك – بغداد – ١٩٧٩م.

١٣ – مخطوطات المجمع العلمي العراقي – دراسة وفهرسة (٣ أجزاء)، بغداد – ٧٩-١٩٨٣م.

١٤ – صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي – بيروت – ١٩٨١م.

الكتب المحققة:

أما الكتب والرسائل التي حققها فهي:

١ – رسائل أحمد تيمور إلى الأب أنستاس ماري الكرملي – بالاشتراك – بغداد ١٩٤٧م.

٢ – أقسام ضائعة من كتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابئ – بغداد – ١٩٤٨).

٣ – فصل من كتاب فضائل بغداد العراق لابن مهمندار (بغداد – ١٩٤٧م، ثم أعيد طبعه).

٤ – مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية للكازروني – بالاشتراك – بغداد – ١٩٦٢م.

٥ – نصوص ضائعة من كتاب (الوزراء والكتاب) للجهشيارى – بيروت – ١٩٦٤م.

٦ – رسوم دار الخلافة لهلال الصابئ – بيروت – ١٩٦٤م.

٧ – الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور – بالاشتراك – بغداد – ١٩٦٧م.

٨ – أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي – وهي الرسائل المتبادلة بين محمود شكرى الآلوسي وأنستاس الكرملي – بالاشتراك – بيروت ١٩٨٧م.

وله عدة كتب معدة للنشر[1] ونشر نحو مائة وسبعين دراسة ومقالة ونبذة فى ثلاثين مجلة صدرت فى العراق وسورية ولبنان ومصر والبرازيل، وفى تسع صحف عراقية، وله مائة وستون حديثًا ثقافيًا بث من إذاعات بغداد وبيروت والقاهرة والقدس والكويت ولندن.

وتقديراً لجهوده العلمية انتخب عضواً عاملاً فى المجمع العلمى العراقى (١٩٧٩م)، وعضواً مؤازراً فى مجمع اللغة العربية الأردنى (١٩٨٠م)، وظل يواصل حضور جلسات المجمع العراقى حتى وقت قصير من رحيله، فى أواخر تشرين الأول (أكتوبر ١٩٩٥م).

ثقافته :

كان ميخائيل عواد عالمًا مدققًا، حريصًا على اللغة العربية، نقى العبارة، يحيط بالتاريخ الإسلامى عامة والعباسى خاصة إحاطة واسعة، وغلب عليه التواضع وطيبة القلب وأعانته مكتبته العملاقة التى كانت تضم خمسة عشر ألف كتاب وأكثر من مائتى مخطوط نادر – على كتابة بحوث ودراسات تتوزع بين التاريخ والبلدان والحضارة الإسلامية واللغة، ومن أسف أنه أمضى من حياته ربع قرن فى وظيفة إدارية خرج منها بكتاب لا يزال مخطوطًا، يشتمل على

(١) منها :
– رسوم الدولة ببغداد فى العصر العباسى.
– كتب الرسوم والآداب والسياسة والإدارة وعلم الأخلاق ونحوها.

تجربته مع الوزراء العراقيين الذين عاصرهم فى وزارة المعارف (التربية) طيلة العهدين الملكى والجمهورى. وعندما نقارن نتاجه العلمى بنتاج شقيقه (كوركيس) الذى سبقه فى الرحيل بثلاث سنوات، نجد أن أخاه - الذى أمضى معظم حياته يدير مكتبات عامة - أكثر غزارة وتنوعا. على أن ميخائيل طرق بحوثا حضارية تمتاز بالطرافة والغرابة وهذا ما نفتقده فى آثار أخيه. ويكفى أن نلقى نظرة على عنوانات طائفة منها لنقدر محتوياتها:

العرب أول من لعب كرة القدم، ميزانية العراق قبل ألف سنة، المأمون يثبت أن الهواء جسم، فضل العرب على طب الأسنان، العرب أول من عرف النظارات، العرب أول من أنشأ المستشفيات السيارة.. إلخ.

رسوم دار الخلافة:

إن دارس النصوص التراثية التى نشرها (ميخائيل) سيتوقف كثيراً عند « رسوم دار الخلافة » لمؤلفه (هلال بن المحسن الصابئ)، المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ١٠٥٦م، فى الواقع إن هذه النشرة العلمية المتقنة، لهذا الأثر المهم فى الفكر السياسى الإسلامى قد رفعت من شأنه فى عالم التحقيق والتدقيق، وقد قومت منظمة (اليونسكو) العالمية هذا الكتاب فضمته إلى سلسلتها المعروفة به « الروائع »، وترجم إلى اللغتين الإنجليزية والروسية، والترجمة الأخيرة تولاها المستعرب المعروف (مينورسكى).

قدم عواد لكتابه بدراسة تناولت المؤلف وأسرته وقدم قائمة منتقاة من كتب تراث الفكر السياسى الإسلامى تعد مرجعًا لا يستغنى عنه اليوم، أما كيفية وقوفه على مخطوطته فنترك له الكلام عليها، إذ يقول:

(فى أوائل سنة ١٩٤٠م زرت العلامة المغفور له.. الكرملى فى بغداد، فاطلعنى على كتاب مخطوط عنوانه: رسوم دار الخلافة، وهو من تأليف هلال ابن المحسن الصابئ. وقد نقله بيده عن نسخة كانت لديه مصورة أيضا عن أصل فريد للكتاب، محفوظ فى خزانة كتب الأزهر برقم (٧٤١)، عمروسى

٤٢٩٧).

تصفحت هذا الكتاب وأنا بين يديه، فتبينت فيه علمًا واسعًا، وطرافة نادرة وأصالة الأدباء المؤرخين فى عصره، عالمًا بفنون الآداب، حسن المعرفة بآداب الملوك والخلفاء، حاذقًا بتصنيف الكتب، جمع بين متانة التعبير وسهولة الكلام وحسن السبك، دون تصنع أو تكلف ولا حشو ولا تطويل.

فاستأذنت الأب (الكرملي) فى أن أنقل هذا الكتاب عن نسخته، فأجابنى إلى ما أردت، بل إنه حين رأى شدة عنايتى بالكتاب، أشار على أن أتولى تحقيقه ونشره، وقد اعتمدت هذه النسخة المصورة، وانقطعت إلى تحقيقها سنوات كثيرة حتى وصلت بها إلى الغاية التى جعلتها نصب عينى. بما انتهى إليه وسعى وبلغه مدى جهدى).

وإذا علمنا أن الكتاب رأى النور سنة ١٩٦٤م، أدركنا أنه أمضى فى تحقيقه نحو ربع قرن، لكنه تواضع فى ذكر ذلك، إذ من يطالع (رسوم دار الخلافة) يدرك ما عاناه المحقق من جهد خاصة أن المخطوطة – وهى فريدة، مضطربة – عبثت الأرضة ببعض أوراقها، فأتلفت كلمات وحروفًا من المتن. وقد استغرقت المقدمة سبعين صفحة وختم الكتاب بفهارس فنية متقنة.

ولا بأس أن أشير هنا إلى أن إعجاب (ميخائيل) بهلال الصابئ – العالم والأديب – دفعه إلى إطلاق اسمه على نجله البكر.

تكملة التواريخ:

انفرد (ميخائيل عواد) بمزية لا نجدها عند سواه من المحققين، وهى إكمال التواريخ التى وصلت إلينا ناقصة أو مبتورة.

فلقد دفعته عنايته بالعصر العباسى – الذى كان يراه أزهى عصور الحضارة الإسلامية – إلى كتابة عشرات الدراسات التى تتناول هذا العصر، وإضافة إليها نهض بإتمام مصدرين تاريخيين وصلا إلينا ناقصين هما:

١ - تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (الهلال بن المحسن الصابئ) وقد سمى كتابه «أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء»، ولقد جمع هذه الأقسام من المظان المخطوطة والمطبوعة، وصدر في بغداد - ١٩٤٧م.

٢ - الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري (٣٣١ هـ - ٩٥٣م)، وقد سماه نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب - بيروت - ١٩٦٤م. وكان المستشرق (هاترزيك) قد نشر في ڤينا (١٩٢٦م) كتاب (الجهشياري) عن مخطوطة فريدة لكنها ناقصة، فهي تقف فجأة عند وزارة (الفضل بن سهل) في أوائل أخبار (المأمون) الخليفة العباسي السابع، فيكون جملة ما ضاع من الكتاب أخبار أحد عشر خليفة، من (المعتصم بالله) حتى (المقتدر بالله) الذي مات مقتولاً في سنة ٣٢٠ للهجرة، هذا فضلاً عما سقط من أخبار (المأمون).

يقول (العواد) في مقدمته: لو أحصينا أولئك الوزراء الذين وزروا في هذه المدة، نعني بها من سنة ١٣٢ هـ - حتى سنة ٢٩٦، للهجرة لجاوزوا ثلاثين وزيراً، وإذا ضم إليهم الكتاب، لبلغ الكل جملة كبيرة، تناول (الجهشياري) أخبارهم جميعا في كتابه (الوزراء والكتاب).

ولقد شمر (ميخائيل) عن ساعد الجد، فجمع أخبار وزراء سبعة خلفاء جمعها من عدة مخطوطات ومطبوعات نادرة، وختمها بفهارس فنية نافعة ومتنوعة.

جهوده في الفهرسة:

شارك (ميخائيل) أخاه (كوركيس) وغيره من العلماء والباحثين في إعداد ببليوغرافيات مهمة تناولت: المبرد وأبا تمام الطائي والخليل بن أحمد الفراهيدي والفارابي والمتنبي... إلخ. وتولى بمفرده دراسة وفهرسة المخطوطات المصورة المحفوظة في خزانة المجمع العلمي العراقي فأصدر المجمع ثلاثة أجزاء منها، وبقيت في حوزته ثلاثة أجزاء أخرى، نأمل أن يتاح لها النشر في المستقبل القريب.

ولتسليط الضوء على طريقته في إعداد هذا الفهرس نقرأ في الجزء الأول من: (مخطوطات المجمع العلمي العراقي – دراسة وفهرسة – المطبوع في بغداد – ١٩٧٨م.

ما ذكره في التمهيد له:

تحتضن خزانة كتب المجمع العلمي العراقي ببغداد جمهرة من المخطوطات العربية والمصورات، فيها النادر والفريد، وفيها ما لم ينشر، فهو جدير بالدرس والتحقيق والنشر.

وكان المجمع العلمي العراقي، قد تفضل مشكوراً، فناط بي تأليف فهرس بهذه المخطوطات التي يحرزها.

وما إن شرعت بالعمل حتى استهواني الموضوع، فرأيت أن أخرج على ما هو متبع في هذا الميدان، وأعنى بكتابة دراسة مستفيضة بشأن كل مخطوط، وسرت أعمل في هذا الميدان العلمي الرحب.

وتنطوي هذه الدراسة على وصف (٧٣٥) مجلداً مخطوطاً، قوامها (١٠١٣) كتاباً ورسالة، وزعتها بين الموضوعات الآتية:

عدد المخطوطات	الموضوع
١٥	علوم القرآن
١٣	الحديث
٢٠	الفقه (والفرائض والقضاء)
٢٢	العقائد (والمذاهب والفرق والردود)
٩	التصوف (والأخلاق والمواعظ)
١٣	الفلسفة (والمنطق والحكمة)
٦٨	اللغة (وفقه اللغة والصرف والنحو والمعجمات)

١٢	الخط والكتابة
٦٣	التاريخ
١٠١	التراجم – السير
٢٨	الجغرافية (والرحلات)
٥٦	الأدب (والقصة)
١٣٧	الشعر (دواوين) الشعر وشروحها
٥	الحسبة – الخراج
٢١	الرياضيات (الحساب والهندسة والجبر والفلك)
٤٧	الطب – الصيدلة
٢٤	الكيمياء (والمعادن والأحجار والطبيعة)
٢	الحيوان (والصيد)
٤	الزراعة والنبات
٧	رسائل (متبادلة بين أشخاص)
١٨	موضوعات شتى
٣٤	المجاميع
٧٣٥	المجموع

ثم يبين النهج الذى اتبعه فيقول : تناولت الأمور الآتية :

١ – عنوان المخطوط .

٢ – اسم المؤلف .

٣ – سنة وفاته بالتاريخ الهجرى، فالميلادى .

٤ – أول المخطوط.

٥ – آخر المخطوط.

٦ – عدد أوراق المخطوط أو صفحاته، أسطر الصفحة، نوع الخط، الصور والأشكال.

٧ – ملاحظات بشأن المخطوط: أين كتب، تاريخ استنساخه، من تملكه، ونحو ذلك.

٨ – وقد جعلت لكل فرع من فروع المعرفة التي نوهت بها في هذا «التمهيد» أرقامًا تسلسلية خاصة بذلك الفرع. ووضعت هذا الرقم في آخر وصف المخطوط، وهكذا.

٩ – رتبت عناوين المخطوطات في كل فرع بحسب حروف الهجاء.

وفي ختام تمهيده يقول:

ويسرني أن أختتم هذه الكلمة بالنداء الآتي:

إن من يرغب في تحقيق أي مخطوط من هذه الخزانة، ونشره، فلا يكلف نفسه تهيئة دراسة بشأنه، فسيجد في هذا الفهرس المستفيض ضالته المنشودة. والحق أن عواد لم يبالغ في الإشارة إلى الفوائد التي سيجنيها الباحث من فهرسه العلمي المتقن هذا.

واشتمل الجزء الثاني على وصف (١٣٧) مخطوطة تتناول:

التراجم والسير: الأرقام ١–١٠١.

الجغرافية والرحلات: الأرقام ١–٢٨.

الأدب والقصة: الأرقام ١–٥٦.

الشعر (دواوين الشعر وشروحها) الأرقام ١–١٣٧.

أما الجزء الثالث فاقتصر على وصف (٣٤) مخطوطة تتناول :

الحسبة - الخراج : الأرقام ١-٥ .

الرياضيات (الحساب، الهندسة، الجبر، الفلك) الأرقام ١-٢١ .

الطب - الصيدلة : الأرقام ١-٤٧ .

الكيمياء (والمعادن والأحجار والطبيعة) الأرقام ١-٢٤ .

الحيوان (والصيد) : الأرقام ١-٢ .

الزراعة (والنبات) : الأرقام ١-٤ .

الموسيقى (والغناء) : الأرقام ١-١٤ .

العسكرية (والسلاح والحرب والجيش) : الأرقام ١-٤ .

رسائل (متبادلة بين أشخاص) : الأرقام ١-٧ .

موضوعات شتى : الأرقام ١-١٨ .

المجاميع : الأرقام ١-٣٤ .

واشتمل كل جزء على مستدرك يتضمن إضافات مهمة تدل على تتبع عميق .

خزانة الرؤوس :

من يطالع البحوث والدراسات التي نشرها (ميخائيل عواد) طيلة ستين عامًا يعجب بحسن اختياره لها، وتفرده في الكثير منها، ويلاحظ دقته العلمية في ذكر مصادره ومراجعة وسنوات وفيات الشخصيات التي يتطرق إليها، ومن مزاياه الجيدة عنايته بالمصطلحات الحضارية وشروحها . ولتكوين فكرة عن جهوده الفذة هذه، نسلط الضوء على طائفة مما أسعفنا الحظ بالوقوف عليها، مما نشر في مجلات وصحف يصعب الظفر بها اليوم .

ففي سنة ١٩٤٢م، وفي غمرة الحرب العالمية الثانية، فوجئ قراء مجلة (الرسالة) بمقال يحمل عنوانًا غريبًا هو: خزانة الرؤوس في دار الخلافة العباسية ببغداد.

وقد نشر في ستة أعداد متتالية، قال في صدره:

اشتهرت دور الخلفاء بكثرة المرافق، كالغرف والصحون والرواشن والحدائق، والبرك، لأصناف الحيوان والبساتين لأنواع الطيور ومواطن الأنس والتنزه وغيرها.

وكانت الخزائن في طليعة ما تضمه دار الخليفة. وقد كانت متعددة متباينة، فللكتب خزانة، وللسلاح خزانة، ومثل ذلك قل عن الكسوة والفرش والسروج والأدم والبنود والمال والطعام والشراب والتجمل والجوهر والطيب وغيرها.

وأمر هذه الخزائن وما تحويه من مختلف الأشياء مشهور معروف في كتب التاريخ والأدب، ولكن هنالك خزانة تدرج ذكرها بين الخزائن، أمرها عجيب غريب، لم نسمع بها إلا في دار الخلافة العباسية ببغداد، تلكم هي «خزانة الرؤوس»!

فلا سلاح فيها، ولا طعام، ولا شراب، ولا لباس، ولا كتب، بل كل ما فيها رؤوس بشر بدرت منهم أعمال أدت إلى قطف رؤوسهم، حيث أينعت، وإيداعها في هذا المستقر.. وقد انفردت هذه الخزانة - على ما بلغنا - بوجود يد واحدة هي اليد اليمنى لأبي علي بن مقلة الوزير، العلم المشار إليه في حسن الخط.

وفي دراسته «الجسر العباسي» المنشورة في مجلة (الرسالة) - العدد ٥٣٣ لسنة ١٩٤٣م، صحح الأخطاء التي وقع فيها عدد من الرحالة الأوروبيين عن هذا الجسر الذي يقع بجوار مدينة زاخو في شمالي العراق، فذكر أن عدد قناطره تبلغ خمسًا وكذلك شكك بزعم (هموتن) الذي رأى أن هذا الجسر

روماني البناء، وعرف بجسر الإسكندر.

وفى مقاله «العطلة الأسبوعية فى الدولة العباسية» المنشور فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٩٤٣م)، قال: (كان الرسم جاريا فى الدولة العباسية على إغلاق الدواوين بدار الخلافة ببغداد، فى المساجد للصلاة ولسماع الوعظ وبقيت الحال على هذا الوجه، حتى جاء (المعتضد بالله) الخليفة العباسى، فأضاف يومًا آخر يتوسط جمعة وأخرى، وهو الثلاثاء، حيث تغلق فيه الدواوين، ويكون يوم راحة ولهو.

ومما نشره فى أثناء الحرب العالمية الثانية «الحسك فى الحروب القديمة» - مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق - (١٩٤٥م)، وقد أكد فى هذا البحث أن الحسك - أى الشوك - هو أساس فكرة الأسلاك الشائكة. ومجمل صفته أنه بأربع أصابع، والمشهور المتعارف هو المثلث، يطرح فى الأرض فإنه كيفما وقع فى الأرض كان منه سن مرتفع تعطب به الخيل وغيرها. واتخذوا أيضًا من حسك الحديد: المربع والمسدس ومن بحوثه الطريفة: أجوزة السفر فى العصور الإسلامية - مجلة الكتاب - القاهرة - ١٩٤٦م. قال فيه: الجواز فى اللغة هو صك المسافر، جمعه أجوزة. يقال خذوا أجوزتكم أى صكوك المسافرين لئلا يُتعرض لكم، وأورد فيه جملة الاخبار التى وردت عن أجوزة السفر عبر التاريخ الإسلامى.

ومنها: بهروز المهندس والوالى فى العراق (٥٤٠ هـ)، المنشور فى (القاهرة فى مايو ١٩٤٨م)، وذكر فى مقدمته أن الفيضان الذى اجتاح العراق فى ربيع ١٩٤٦م هو الذى حثه على كتابة هذا البحث الذى تناول مهندسًا له شأن فى أمور الإسقاء وهندسة السدود والأنهار.

ومن مقالاته الطريفة: الوقفيات والخروم واللعنات فى أواخر المخطوطات العربية - (مجلة المعرفة - بغداد - العدد ٢٢-٢٣، لسنة ١٩٨١)، وقد عول فى كتابته على مجموعة من المخطوطات النادرة المحفوظة فى مكتبة المجمع العلمى العراقى ببغداد.

العواد والخالديان:

لقت الأخوان كوركيس وميخائيل أنظار الأدباء والكتاب الذين كانوا يعجبون بهذين الشقيقين، العالمين، اللذين تشابها شكلاً واهتماماً وهوايات، والطريف أنهما سكنا - لفترة طويلة - في بيتين متلاصقين يجمعهما باب واحد في منطقة (رخيته) بالكرادة الشرقية في بغداد.

ويكبر (كوركيس) شقيقه (ميخائيل) بنحو أربع سنوات، ومن عجائب الدهر أنهما ماتا في عمر متقارب. وقد شبه أدباء بغداد هذين الأخوين بالخالديين، والخالديان هما: أبو بكر محمد الخالدي وقد توفي سنة ٣٨٠ هـ.

وأبو عثمان سعيد الخالدي توفي سنة ٣٩٠ هـ.

يقول المؤرخون: إنهما اجتمعا على كل مشرب، واتفقا في كل غاية، ونطقا معا بلسان واحد، فكأنهما أحبا معا وعشقا معاً، وتنقلا في المدن والدساكر والحواضر ولذلك كانت ترجمتهما واحدة، يقرن ذكرهما معاً، ولا يفصل بينهما، كما راج في الغرب ذكر الأخوين «غريم» والأخوين «غونكور» والأخوين «تاور» وغيرهم.

ذكريات

تعرفت على (ميخائيل عواد) في شتاء ١٩٦١م، وكان شقيقه (كوركيس) الواسطة بيننا؛ إذ كنت قد تعرفت عليه ونعمت بإرشاداته. ثم توجهت إلي (ميخائيل) في مكتبه الرسمي المنزوي في (سراي الحكومة) والذي كان سابقاً مقراً للولاة العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم العراق نحو خمسة قرون، وإذا بي أجده غارقاً بين كومة من الجرائد والمطبوعات وبين يديه طائفة من البطاقات الصغيرة وهو يدون عليها بعض الملاحظات، وعند ما تنبه إلى وجودي خجل واعتذر ونهض من مكتبه وجلسنا سوياً وحمرة الخجل لا تزال بارزة على وجهه الأبيض وقال لي هامساً: انتهزت فرصة غياب الوزير - لأطالع وأستفيد وأفيد أيضاً.

وأضاف وهو يطلب إلى فنجان قهوة وقدحًا من «الحامض» الذى يفضله العراقيون: وراح يطلعني على البطاقات التى كان يدون عليها ملاحظاته، شارحًا لى فضل أستاذه وشيخه (الكرملى) الذى علمه استخدام (الجذاذات) فى كتابة البحوث والدراسات، وأخبرنى أنه عندما يغادر مكتبه الرسمي يتوجه إلى (شارع المتنبى)، الخاص بالمكتبات وهناك يعرج على مكتبة المثنى الشهيرة ليطلع على ما ورد من كتب ومطبوعات جديدة من أنحاء العالم، وأثنى على حسن سلوك صاحب المطبعة، الذى كان يتهاود مع العلماء وطلبة العلم، وبفضله تمكن من إنشاء مكتبته، العملاقة، التى آلت مؤخراً إلى مكتبة جامعة البصرة.

منذ ذلك الوقت انعقدت بيننا صداقة متينة عمقتها مشاركتي له ولأخيه فى تحقيق كتاب «الرسائل المتبادلة بين الكرملى وتيمور» وعندما غادرت العراق حرصت على مراسلته وزيارته كلما أتاحت الظروف.

وعندما فرغت من مناقشة رسالتى العلمية لدكتوراه الدولة فى جامعة السوربون باريس (١٩٨٧م) فكرت فى مشروعات جديدة أقدم فيها خدمة لأمتى، منها: جمع ونشر تراث العلماء المعاصرين، مما لم يضمه كتاب، فكان أن فاتحت الأخوين (عواد) بذلك فرحبا بالفكرة، بل تحمسا لها. وقدما لى طائفة من النسخ المكررة فى بحوثهما المنشورة فى طائفة فى المجلات والدوريات، وتمهيداً لذلك نشرت ببليوجرافية خاصة بكل منهما فى مجلة (دراسات شرقية)، التى تصدر فى باريس. وقد ظهرت القائمة الخاصة بـ (ميخائيل) فى العددين التاسع والعاشر - (باريس ١٩٩١م).

ويسرنى أن أشير باعتزاز إلى قرب ظهور كتاب (الذخائر الشرقية) لكوركيس عواد والذى يتألف من ستة مجلدات فى أكثر من أربعة آلاف صفحة ويضم ما نشره من نتاج علمى منذ سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٩٠م.

وآمل أن أتمكن من القيام بخدمة مماثلة لميخائيل عواد تقديراً لجهوده العلمية إن شاء الله.

وداعاً للأب والعالم

محمد محمود الطناحي

الحمد لله ذى العزة والجلال والطول والإنعام، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يشرفنى أن أستهل كلمتى بان أقدم شكرى وتقديرى إلى الدكتور احمد يوسف أحمد محمد، مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة، وإلى الدكتور فيصل الحفيان منسق برامج المعهد، وإلى كل من ساهم وشارك فى إقامة هذا التكريم. كما يشرفنى آن أقدم عرفانى وامتنانى إلى من منحنى شرف الحديث فى هذا المجلس الموقر، وأتاح لى فرصة دخول هذا الصرح الشامخ (جامعة الدول العربية) التى عمل بها والدى - رحمه الله تعالى - لفترة طويلة، ولا يسعنى هنا إلا أن أردد ما قاله تقى الدين السبكى حين دخل دار الحديث بدمشق، التى كان يدرس بها شرف الدين النواوى، الذى قال:

وفى دار الحديث لطيف معنى ... على بسط لها أصبو وآوى
لعلى أن أمس بحرّ وجهى ... مكانا مسه قدم النواوى

ثم أقول: لقد جرت سنة الله فى حفظ كتابه وحياطة دينه أن يهيىء فى كل زمن وجيل نفراً من عباده، يصنعهم على عينه، ويؤيدهم بروح منه، يقومون بإنفاذ أمره سبحانه وتعالى فى حفظ ذلك الكتاب العزيز، وحراسة هذا الدين القيم، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

وقد كان الطناحى - رحمه الله - واحداً من هذا النفر الكريم الذين تصدوا

لحمل هذه الزمانة والقيام بأعبائها، محتسبًا ذلك كله عند ربه. واشتغل طيلة حياته بالنظر فى تاريخ هذه الأمة وفى علومها المختلفة، فاقبل على المكتبة العربية فى فنونها كلها يعبُّ منها عبًا، فظل صديقًا للكتاب لا يكاد يدير وجهه عنه، حتى تكونت لديه ثقافة واسعة كان لها أكبر الأثر فى تكوين شخصيته.

وقد اتخذ من الدين الإسلامى منهجًا، ومن الدفاع عنه هدفًا، وكان فى سبيل ذلك مقاتلاً صلبًا لا يهادن ولا يحابى، ولا يعرف فى الحق لومة لائم. واتسم إلى جانب ذلك بنبل النفس وعفة اللسان وعزة الجانب، وعلو الهمة، ولين العَرِيكة، ورضا الخلق، والصبر على طلب العلم، وحب العلم وأهله.

إن الحديث عن علاقته - رحمه الله - بعالم المخطوطات حديث طويل يحتاج إلى فضل من القول وبسط من البيان، ولكنى أقول إن كل من عرفه عرف فيه رجلاً محبًا للمخطوطات عاشقًا لها، غيورًا عليها، مرتبطًا بها؛ فقد امتدت علاقته بها لأكثر من أربعين عامًا؛ حيث بدأ حياته ناسخًا للمخطوطات فى دار الكتب المصرية، يقول رحمه الله تعالى عن تلك المرحلة:

بدأت رحلة مباركة ضقت بها فى أول أمرى ضيقًا شديدًا، إذ كان النسخ عسرًا على كل العسر يؤودنى أمره وتثقل علىَّ تكليفه:

لا يعــرف النسخ إلا من يكابده ولا الوراقــة إلا من يعــانيـهـــا

ولقد كان النسخ هو بابى إلى هذه الدنيا الرحبة الحافلة بالغرائب والعجائب، دنيا المخطوطات، ثم كان هو قائدى إلى تحقيق النصوص ونشرها فعرفت تاريخ أمتى.

ثم جاءت المرحلة الثانية - وأعنى بهامرحلة عمله مع المستشرقين - حيث شارك المستشرق الهولندى (بوتى بيكر) فى إخراج كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، وساهم مع المستشرق الألمانى (هانزروبرت رويمر) فى كتاب «الدر

الفاخر فى سيرة الملك الناصر»، ثم عاون المستشرق الإنجليزى (مارسيدن جونز) فى كتاب «مغازى الواقدى». وفى عام (١٩٦٥) عين خبيراً بمعهد المخطوطات العربية، وظل به طيلة أربعة عشر عاماً، وفى هذه المرحلة الهامة من حياته طوّف بالعالم العربى والإسلامى شرقه وغربه باحثاً عن المخطوطات مشيئاً لما ندر منها ونفس، جامعاً ما شرد منها، فرحل إلى تركيا والمغرب والسعودية واليمن وغير ذلك من بلدان العالم الإسلامى.

وطيلة الأربعين عاما هذه أثرى الطناحى المكتبة العربية بعدد كبير من التحقيقات والمؤلفات يصل إلى خمسة وثلاثين مؤلفاً ومحققاً.

لقد فقدت بموته أباً حنوناً وصديقاً أثيراً ومعلماً أمينا لا يمل نصحى وتوجيهى وإرشادى وما زلت حتى هذه اللحظة أسمع صوته وهو ينصحنى قائلا: يا محمد لا تستطل الطريق فأنت طالب علم من المهد إلى اللحد، ولا تمل فإن الملل من كواذب الأخلاق، وتذكر دائماً أن قيمة كل امرئ ما يحسنه.

يا بنى تذكر دائماً قول الشاعر:

ولم أر فى عيوب الناس عيباً　　　كنقص القادرين على التمام

وكنت أحياناً بل كثيراً ما أضيق بتوجيهاته ونصائحه فتلك غرارة الصبا وجهل الشباب كما كان يصفها دائماً، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وأى خير هذا الذى كان بداخلك يا والدى. وليس لى الآن سوى أن أقول:

رب يوم بكيت منه مراراً　　　ثم لما مضى بكيت عليه

وأخيراً: فقد مات الطناحى كما مات مَن قبله، وكما يموت من بعده، فقد كتب الله الفناء على خلقه، ولكنه رغم موته سيظل أثراً ضخماً فى ضمير هذه الأمة، حراسة للعربية وذَوْداً عنها وبصراً بها، وإضاءة لها.

إن الخسارة بموته فادحة، والمصيبة بفقده عظيمة، فقد أغلقت بموت هذا

العالم أبواب وأطفئت بغيابه منارات، وما أصدق قول الشاعر القديم، وهو قول ينطبق عليه :

وماكان قيس ملكه هلك واحد　　　ولكنه بنيان قوم تهدّما

رحمه الله رحمة واسعة سابغة، وجعل كل ما قدمه لأمته وللغتها ولعلومها ولأبنائها فى موازينه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً.

أشكركم على سعة صدركم وحسن استماعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

ندوة

محمود محمد الطناحي

عاشق المخطوطات

فكرة الندوة

د. فيصل الحفيان

نظم المعهد مساء يوم ٢٥ مايو ١٩٩٩ ندوة علمية، تكريماً للأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحى الذى رحل عن دنيانا مؤخراً، وقد تحدث فى اللقاء كل من د. أيمن فؤاد سيد، ود. عبد اللطيف عبد الحليم، ود. محمد إبراهيم البنا، ود. محمد حماسة عبد اللطيف، ود. محمد سليم العوا، عن جهود الراحل فى خدمة المخطوطات وتحقيقها، ومشاركته فى نشر الثقافة التراثية، بالإضافة إلى شيء من الجوانب الذاتية التى تتصل بسماته الشخصية وعلاقاته الإنسانية.

شارك فى هذه الندوة التى عقدت فى مبنى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عدد من أعضاء مجمع اللغة العربية وأساتذة الجامعات المصرية والمثقفين ورجال السلك الدبلوماسى والقنصلى، بالإضافة إلى أسرة الفقيد، وجمع من تلاميذه ومريديه.

يُذكر أن الطناحى هو أحد أبناء المعهد القدامى، وقد شغل مكانة مرموقة بين المشتغلين فى خدمة التراث بعامة، والمخطوط منه بخاصة.

إن المعهد عندما فكر فى عَقْد هذا اللقاء لم يرد أن يكون مجرد تأبين، بل إنه هدف إلى أن يجعل منه ندوة علمية رصينة، تفتح أبواب الولوج فى عالم الراحل، وتفتش فى التراث الذى خلفه، ومن هنا جاءت الجوانب (المحاور) التى ناقشتها الأوراق المقدمة، فقد شملت جهود الطناحى فى عالم المخطوطات وتحقيقها ونشرها، وجهوده أيضاً فى خدمة الثقافة العامة، بالإضافة إلى الجانب الإنسانى، وهو جانب غنى، فلقد كان الراحل ذا تركيبة إنسانية جديرة بالتأمل والغوص فيها.

وقد اختار المعهد عنوان هذه الندوة: «الطناحي: عاشق المخطوطات» متعمداً، ونعت الرجل بـ «عشق» المخطوطات لا بـ «عشق» التراث، لأنه رجل مخطوطات بالدرجة الأولى، فهو حقًّا عاشق للتراث المخطوط، مولع بتتبعه، موله بنفيسه ونادره، ولاشك أن المعنيين بهذا التراث فى درجة علم الطناحى، ومستوى وعيه، وقدرته على فهم التراث، ودرجة تمثله له، قلة قليلة.

إن تكريم المعهد للطناحى تكريم لابن من أبنائه، الذين لهم دور فى تأسيسه، والانطلاق به، وهو مازال يعد فى أول الطريق، هذا بالإضافة إلى حق الرجل على المعهد، بوصفه علماً من أعلام المخطوطات وتحقيقها ونشرها، ومن هنا فإن رحيل الطناحى يُعد خسارة فادحة لحياتنا الثقافية عامة والتراثية خاصة.

* * *

كلمة الافتتاح

د. أحمد يوسف أحمد محمد

أرحب بحضراتكم فى بداية هذه الأمسية، التى نحاول فيها أن تعبّر عن بعض ما يجيش فى صدورنا تجاه ذكرى العالم الجليل أ. د. محمود الطناحى، الذى كان لرحيله المفاجئ وقع الصدمة علينا جميعاً. وعندما أفقنا من هذه الصدمة تنبهنا إلى اختفاء معنى أصيل من معانى الثقافة العربية، كما تنبهنا إلى خسارة فادحة ألمَّت بكل فرد وبكل مؤسسة من العاملين فى مجال الثقافة العربية.

إننى لم أشرُف بالمعرفة الشخصية للأستاذ الدكتور الطناحى إلا فى السنوات الست الماضية التى شرفت فيها بالإشراف على معهد المخطوطات، وكنت قبل ذلك أتابع بانتظام مقالته الثاقبة التى كان ينشرها عن الثقافة العربية فى مجلة «الهلال»، وعندما عرفته عن قرب لمست فيه من معانى الإخلاص لقضيته والثقة بالنفس وغزارة العلم ما لا يُعرف إلا فى القلة من الرجال والعلماء.

لقد كان - رحمة الله عليه - سباقاً دائماً إلى تقديم المشورة لنا بمعهد المخطوطات العربية، والمساهمة الفاعلة فى الجهود المتواضعة التى نقوم بها فى مجال الحفاظ على التراث العربى، بل والتشجيع المستمر لنا، على الرغم من أننى كنت أعرف أنه يجد فى عملنا هنات هنا وهناك، ولكن كان يأبى دائماً إلا أن يزودنا بكل كلمات التشجيع، لأنه ربما كان يشعر أننا نلتقى معه على قضية الإخلاص للتراث العربى.

لقد أردنا من ندوتنا هذه أن تكون تعبيراً إنسانيًا علميًا عن احتفائنا بهذا الراحل الجليل، الذى أحسب أن خسارتنا فيه لا تعوض، وإن كان عزاؤنا أنه ترك لنا ذخيرة ممتدة واسعة عميقة من أعماله العلمية التى قدمها خدمة للتراث العربى، والتى ستكون له خير تخليد.

الطناحي .. والمخطوطات

د . أيمن فؤاد سيد

عرفنا في مطلع هذا القرن رجالاً أحبوا المخطوطات العربية ووقفوا عليها مالهم ومنحوها كل حياتهم؛ منهم أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وأحمد طلعت بك ومحمد محمود بن التلاميد الشنقيطي . وجاء بعدهم رجال عنوا بدراسة هذه المخطوطات وفهرستها والتعريف بها، منهم يوسف العش وفؤاد سيد ومحمد رشاد عبد المطلب ومحمد بن تاويت الطنجي رحمهم الله وصلاح الدين المنجد أطال الله في عمره .

كان محمود محمد الطناحي وريث تلك المدرسة الجليلة التي أحبت المخطوطات العربية وملكت عليها حياتها، وترجع صلة محمود الطناحي بالمخطوط العربي إلى مطلع شبابه وهو ما يزال في السنة النهائية بمعهد القاهرة الديني عندما عرف طريقه إلى دار الكتب المصرية بباب الخلق وإلى قاعدة المخطوطات بها . وكان أحدُ أساتذته بمعهد القاهرة الديني هو المرحوم الشيخ محمد فؤاد السيد قد عرّفه على والدي المرحوم فؤاد سيد، وهو يومئذ أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية الذي رحب به كعادته فيمن يتوسم فيه نباهة ونبوغًا وظرفًا، ونشأت بينهما علاقة ود وصداقة ظلت تتوطد مع الأيام حتى وفاة والدي رحمه الله عام ١٩٦٧ . في هذا الوقت ذهب محمود الطناحي إلى قاعة المخطوطات بالدار هذه القاعة التي وصفها المستشرق الإيطالي أمبرتو ريتزيتانو Ritzitno وهويكتب كلمة عن والدي رحمه الله في محاضرة كانت ستلقى في شهرتوفمبر سنة ١٩٧٣ وحال دون ذلك نشوب حرب أكتوبر،

فنشرها بعد ذلك فى مجلة «الأديب» اللبنانية، بعنوان: «مع أساتذتى وزملائى فى الجامعة المصرية»، يقول: «هى عبارة عن غرفة صغيرة متواضعة مساحتها أمتار قليلة مربعة، كانت هى المعبر الذى اجتازه على مدى سنين عديدة كبار المستعربين والمهتمين بالدراسات الإسلامية من الغربيين: من ماسينيون إلى كوينتس، ومن الأب قنواتى إلى جاستون فييت، وكلهم فى أشد الحاجة إلى استشارة فؤاد سيد حول هذا المخطوط أو ذاك، وإلى أخذ المعلومات حول مسائل معينة. ولم يكن يخرج أحدٌ من تلك الغرفة دون أن يفوز بطلبته ودون أن يستولى عليه الإعجاب بالمعرفة غير المحدودة التى كان يتحلى بها ذلك العلامة المتواضع فى حقل المخطوطات. ولكَمْ استفدت أنا أيضًا من إرشاداته ومن خبرته غير المألوفة ومقدرته على الخوض فى حقل ذلك الإنتاج الفكرى غير المطبوع».

هكذا توثقت صلة الفتى محمود الطناحى بأستاذه فؤاد سيد، فيصاحبه ويتتلمذ له فى مجال المخطوطات ليصيب على يديه خيراً كثيراً. فقاعة المخطوطات كانت فى هذا الوقت مهوى أفئدة العلماء الذين كانوا جميعًا يقصدون فؤاد سيد أثناء إعداد مؤلفاتهم وتحقيقاتهم ورسائلهم العلمية، مثل الأساتذة خير الدين الزركلى وحمد الجاسر وشاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ وإبراهيم شبوح ومحمد بن شريفة وغيرهم، كما أن دار الكتب كانت تضم فى هذه الحقبة نفراً من العلماء الأفذاذ الذين ينذروا حياتهم لخدمة التراث العربى فى صمت معجب، مثل الأساتذة أحمد يوسف نجاتى ومحمد أبو الفضل إبراهيم. فى هذه البيئة العلمية الخالصة وجد محمود الطناحى نفسه مخالط هؤلاء العلماء وتعرَّف إليهم وأخذ عنهم، وأفاد منهم وانتفع بعلمهم.

كانت بداية صلة محمود الطناحى بالمخطوط العربى - مثل أستاذه فؤاد سيد- عن طريق نَسْخ الكتب، فنسخ فى هذه الفترة كثيراً من مخطوطات دار الكتب وغيرها للمستشرقين المترددين عليها، نسخ فى أول الأمر كتاب «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر للمستشرق الهولندى بونيبيكر، ثم تعاون مع

المستشرق الألماني هانز روبرت رو يمر أثناء تحقيقه الجزء التاسع من كتاب «كنز الدرر وجامع الغرر» لابن أيبك الدواداري، ومع المستشرق الإنجليزي مارسدن جونز وهو يحقق كتاب «المغازي» للواقدي، كما نسخ بخطه أجزاء كثيرة من كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي الذي ما زالت تخرجه إلى الآن جمعية المستشرقين الألمان.

كان محمود الطناحي يباهي بذلك ويشير إليه في كتاباته المختلفة ومجالسه، فبفضل هذا النسخ حَصّل كثيراً من المعارف ودعت ذاكرته ما لا يُحصى من أسماء الكتب وأصبح مع الوقت قادرا على تمييز الخطوط وردها إلى العصر الذي كتبت فيه.

ولكن البداية الحقيقية لإسهام محمود الطناحي في دراسة المخطوط العربي والتعريف به بدأت في سنة ١٩٦٥ عندما ألحق مع زميليه المرحومين عبد الفتاح محمد الحلو وعلي ذو الفقار شاكر، للعمل بمعهد المخطوطات العربية الذي تجتمع في رحابه اليوم، فتوثقت صلته بالعاملين فيه وخاصة عالم المخطوطات الراحل المرحوم محمد رشاد عبد المطلب، الذي وصفه في كتاباته بأنه «شعلة المعهد المتقدة».

وأسهم محمود الطناحي في البعثات العلمية التي كان يوفدها المعهد لتصوير المخطوطات من البلدان المختلفة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٥ حيث زار مكتبات كل من تركيا والمغرب واليمن والسعودية، وصحب رشاد خلال بعثتي المعهد إلى كل من تركيا والمغرب. واستمعت إليه كثيراً وهو يُبدي إعجابه بمعرفة هذا الرجل العجيبة بالكتاب العربي المخطوط والمطبوع على السواء، وكيف كانت تُفتح لهم أبواب خزائن المخطوطات لمجرد وجود هذا الرجل الذي أفاد جيلاً كله من دارسي المخطوطات والباحثين في التراث العربي سواء من العرب أو المستشرقين.

كان محمود الطناحي يستمد معرفته عن المخطوطات والتراث من روافد متعددة عن طريق معايشته ومجالسته لشيوخ العلم وأساتذته يتلقى عنهم ويتعلم منهم وكان يعتبر هذا الرافد أصلا من أصول ثقافتنا العربية حيث الرواية الشفوية هي أولى مراحل نشر العلم. وعن طريق التجربة الشخصية من خلال البعثات التي شارك بها وزياراته لمكتبات غير مفهرسة – وعلى الأخص مكتبات المغرب واليمن والسعودية – فكشف بها عن مخطوطات جديدة ونسخ قديمة لكتب لم نكن نعرف لها سوى نسخ حديثة؛ لذلك فإنه كان دائم الإشارة إلى أهمية «ثقافة المفهرس» وكان هذا هو موضوع آخر بحث شارك به في الندوات المتخصصة، فقد ألقى هذا البحث في الندوة التي عقدها معهد المخطوطات في سبتمبر ١٩٩٨، حول من فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا. يقول:

«لابد لمفهرس المخطوطات من ثقافة واسعة وإدراك واسع بتاريخ الكتاب العربي، وبداية التدوين، ثم معرفة عامة – ولا أقول تامة – بمسار التأليف، من زمن الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) إلى زمن الشوكاني (١٢٥٠هـ)، وستتضمن هذه المعرفة الوقوف على طرائق المصنفين ومناهجهم والإلمام بمصطلحات العلوم والفنون، وإدراك العلائق بين الكتب والمؤلفين: تأثرا أو نقداً أو شرحاً أو اختصارا أو تذييلا، ثم من وراء ذلك كله معرفة تاريخ الكتاب المطبوع ومراحل نشر التراث وسماتها، وواضح إن شاء الله أن عدة المفهرس هي عدّة المحقق، وأن ثقافة أحدهما هي ثقافة الآخر، وليس في ذلك إعنات أو مشقة، فهذا هو الحد الذي لا ينبغي تجاوزه إذا أريد للمخطوط العربي أن يفهرس على نحو جادٍّ لا هزل فيه».

وشرح محمود الطناحي – بَرد الله مضجعه – بعد ذلك نماذج من تجاربه في هذا المجال خلال بعثاته، وكيف استطاع أن يتعرف على بعض المخطوطات المجهولة العنوان واسم المؤلف، وعندما قرأ شيئا منها خمّن أنها قد تكون كتاب كذا لفلان من العلماء. وبعد عودته إلى القاهرة فحص عن أمر الكتاب فإذا هو

إياه، وهذا الأمر لا يتأتى للمفهرس إلا إذا كان على معرفة واسعة بمصطلحات العلوم ومجالاتها المختلفة.

ويشير محمود الطناحي إلى ما اكتشفه من نسخ جديدة لكتب كان يظن ناشروها أنه لا يوجد لها سوى نسخة وحيدة، وهذا أحد فضائل بعثات معهد المخطوطات التي انقطعت الآن للأسف؛ التعريف بالجديد من نسخ الكتب المعروفة، مثل نسخة من كتاب «السماع» لابن القيسراني في مكتبة الشيخ محمد ناصر الكتاني الخاصة بالرباط، و«الوجوه والنظائر» لمقاتل بن سليمان، كتب سنة ٥٤٦، مكتبة عنترة بالسعودية، ونسخة ثانية من كتاب «المحكم في نقط المصحف» لأبي عمرو الداني، بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة.

لقد مات بموت هذا الرجل علم كثير، وكم كنا نتمنى أن ينسأ الله في أجله حتى تستطيع الأجيال الناشئة أن تعي شيئاً من هذا العلم الكثير، كما كان هو يتمنى أن يمتد به العمر ليحقق حلمه في التعريف بالمخطوط العربي ونشره فتخرج هذه المعرفة إلى الناس في كتاب مقروء.

اللهم إنا نسألك أن تتغمد ذنبه وأن تُمهد عذره وأن تنير قبره وأن تجعله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

محمود الطناحى إنسانًا

د. عبد اللطيف عبد الحليم

وهل يستطيع مثل محمود الطناحى إلا أن يكون إنسانًا؟ لقد استغرقته الإنسانية، فلم يفلت من نياطها على المستوى الشخصى والعلمى، وكأين من علماء أو أساتذة يدابر علمهم إنسانيتهم، فيكونون نكالاً على أنفسهم وعلى العلم.

وإذا حددنا العلم هنا بالدراسات الإنسانية، ومنها علوم العربية والإسلام، فإن الطناحى فى قنة باذخة من الإنسانية ومن هذا العلم أيضًا، ومع أن المفروض أو المتوقع أن تكسو هذه الدراسة صاحبها شية خاصة من الإنسانية، فإن القاعدة تتخلف أحيانًا كثيرة على ما رأيناه من مشاهد الحياة ووقائع العشرة، بيد أن محمود هنا تدسست إليه هذه المعارف فشاطرت فطرته التى ذرأه الله عليها.

ولد الطناحى فى قرية «كفر طبلوها» مركز تلا من أعمال المنوفية، وثمة مثل يتداوله أهل هذه المنطقة عامة يقول: إذا ضاع حفظ القرآن (فى الدنيا) فلا يضيع فى كفر طبلوها زرقان وبينهما وبين قريتنا «طوخ دلكه» قدى رمح. وليس لقريتنا مثل هذه الشهرة فى هذه الخصلة الكريمة، ويذكر المرء طائفة من علماء الأزهر خاصة من هاتين القريتين.

ولمن حفظ القرآن كالطناحى، ودرس علوم العربية والإسلام سمت خاص، إذا أثرت فيهم هذه الدراسة، وقد أثرت بالفعل فى فقيدنا العزيز، ليس على المستوى العلمى، وهو فى ذؤابته، بل فى تصرفاته وخصاله الشريفة من النبل والأريحية وسعة الأفق، وبعض أهل الأزهر أو التربية الدينية لهم سمة خاصة، كالطائفة الاجتماعية بين طوائف المجتمع، وفى كثير منهم عزلة وربما غربة عمن

يعاشرهم من أهل التعليم المدنى، ربما تدفعهم إلى شىء من الانغلاق، حاشا من كان على شاكلة محمود، إذا أتيح له أن يتفتح منذ الصبا الباكر على القاهرة، وأن يندمج فى مجتمع دار العلوم، وهو وسط بين تعليم الأزهر، والتعليم المدنى، وكذلك كانت ثقافة الطناحى.

والحقيقة أن التراث الحقيقى كما فقهه صاحبنا لا يدع للانغلاق سبيلا، لأنه يقرأ هذا التراث، وفيه إحاطة واسعة بالشمائل الإنسانية السوية التى لا تغفل ولا تغلق نوافذ الحياة، ويمكن ان يكون ما أطلق عليه الفقهاء قديمًا «الإحماض» وسيلة إلى هذه البابة الرحبة، إذ لم يتحنث الفقهاء من رواية الشعر وتصويره لكل الجوانب الإنسانية حتى الجانب الماجن منها، وقد راض الفقهاء هذه البابة وأبدعوا فيها شعرًا نفيسًا.

أما القشور التى تدرس من هذا التراث فهى مدعاة إلى هذا التخرج الذى نلمسه فى المسطحين من المنتسبين إلى هذا التراث، وما كان فيه من عيب، إلا فى أنفسهم.

كانت إحاطة محمود بالتراث الحقيقى، حيث «العربية كتاب واحد»، إحاطة مذهلة، لا توازيها غير إنسانيته الرحبة والمذهلة فى الوقت ذاته، لم تصبه آفات المهنة بما تصيب نظراءه، وإن كان قليل النظير، من أدواء الحسد والتنافر، وتدبير الدسائس، إذ كان الرجل بعيدًا عن هذا كله، غير أنه ليس بعد الغفلة، بل بعد الفطنة واللقانة التى تثير فى نفسه الأسى والإشفاق، وربما بسمة السخرية ممن يتذاكون عليه وعلى نظرائه، تجرد الرجل من آفات المهنة، حيث تجاوزها برحابة أفقه، حين تحتجن رصفاءه قيودها وآصارها الثقيلة كان يشعر بالزهو وهو المتواضع - أو الباخع نفسه أحيانًا - أن تجرد للعلم والنظر والمذاكرة كما كان ينعتها.

عرفته منذ سنوات طويلة خلت، فما جربت عليه كذبا قط، وإن كان الكذب الأبيض، رجل شديد الصدق مع نفسه ومع الناس، بل ومع الأشياء، شديد الإلف، ولعل ألفته مع المخطوط منذ بداياته الأولى، شرده دائمًا إلى

ما تعارف عليه الناس «بالأصول» فالأصل عنده بالمعنى الاجتماعي والعلمي له مكانة ملحوظة وخطيرة في تعامله مع الناس والأشياء، وصدقه - فطرة - صاقبة صدقه مع المخطوط وتحقيقه، فالتقى صدقان موهوب ومكسوب، وهو باحث دائمًا عن اللباب في مسلكه الحياتي والعلمي، فلا تخدعه البهرجة في المشاعر ولا في الكتب ولا في مؤلفيها، يحتشد للقائك احتشاده للكلمة المقروءة والمسموعة، وله بصر بعرف الحب، وإن كان يخيل إليك انه لا ينظر، لأن البداهة عنده قويت، فتعمل عملها كأنها لا تعمل.

ومن يوم أن التقينا لم نفترق مشاعر وفكرًا، وإن كانت أسفاره وأسفاري حجبت لقاءنا أشباحًا وظلت أفكارنا ومشاعرنا في عناق أبدي، وكأنها الآخرة السماوية التي توشج بيننا حتى وإن اختلفنا قليلاً.

والطناحي من ذلك النفر النادر الذي يعض عليه صديقه بالنواجذ، إذ كان هو مع أصدقائه كذلك، وهو مني بمنزلة الأخ الأكبر، لكننا نشعر أن مودتنا محت أقياد السن، وزاد من هذه الآصرة السماوية ولاؤنا لعقاب العربية «أبو فهر» محمود محمد شاكر - برَّد الله مضجعه - وما يمثله من غيرة على اللسان العربي، وعلى كل تراث هذه الأمة، وكنا نحس أن كلا منا يكتب للآخر، أو يفكر فيه حين الكتابة، ونختار لذلك بعض الغريب، أو هو يختارنا لأننا نحس أننا نكتب كتابة مخالفة، ولذلك حين ينشر أحدنا شيئًا، نتهاتف معلقين، ويطرب كل منا حين تقع القذة على القذة، وندرك في التو أن الرسالة وصلت، وأن العربية تختال حين تجد من ينفث في هوامدها حرارة الحياة، وكان محمود يزيد عني في انهمال العبرة حين يستمع إلى شعري وإن كان الموضوع غير حزين، لأنه يتطرب إلى صورة دقيقة، أو جملة محكمة، وما استطاع أن ينوب عني في إنشاد قصيدتي عن شيخنا «أبو فهر» في تأبين جامعة الأزهر له، حين حالت حوائل أن أشارك بشخصي، وليس فيما أروية شبهة بأو، إذ كانت عبرته قبل كل شيء على ضياع «البيان» في جيلنا، وكيف تطمس روعة العربية بدعاوى النزوات الطائشة.

ولمحمود قدرة فذة على تمييز الكلام والبصر به ومن ثم كان حزنه وأساه.

ومحمود من ذلك النفر القليل الذى تحب العربية فى مقاله وكتابه، لأنه ينطق نطقًا مكتملاً، ويكتب كتابته هو، وإن كان فيها أثارةٌ من كلام قديم، لأن هذه الأثارة ملكنا نحن، وننفق من رصيدها، ولا نطمس هويتنا. ومن ذلك النفر شاكر، والعقاد والمازنى فى كتاباتهما الباكرة. ولم يكن منه أبداً مصطفى صادق الرافعى، وهنا كنا تختلف اختلاف الرأى لنتفق فى شعور، وكنت أرى الرافعى فى غير موضعه الذى يحله فيه شاكر، والطناحى.

وكان فى محمود عيب ظاهر وإن حاول ستره، وهو فرط ثقته بالناس، وحمله لهم على محمل الخير دائمًا، وربما أشاركه فى هذا العيب، وإن كنت أخادع نفسى فأنفيه عنى، ولا يخدع المرء سوء نفسه»، وحين كان يجد أن ثقته فى غير موضعها، يأس قليلاً، لئلا يفقد هذه الثقة، وأن الأمر عنده على بابه، وأن انعدام الثقة لديه أنكى من عواقب الثقة المخدوعة، وصبّر محمود وصابر على كثير من هذه المواقف، وترك حقه الشخصى يتحيفه جور وصفاته، وليس لهم نقاء سريرته، بل فيهم لؤم النحائز، وارتكاسة الخيم الذميم، وركن إلى «بيانه» المشرق، يضىء له وللناس، وإلى بأوه أن يسوقه سوقًا إلى ما لا يود، وكان فى ذرعه أن يرد الصاع صاعين كما يقولون، لكن كان حَسْبُه أن يقول: «لن ندخلها أبداً ما داموا فيها»، وهم ليسوا فيها ولن يكونوا أبداً، ومثل محمود منها فى الصميم وإن كان بعيداً، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبًا، وإن موقفه وموقف قرنائه معه لتصحيح لمقاييس أخلت بها تقاليد النذالة، وهى غير عسية بالمناجزة، يشيع فيها الصّغار، ومن هنا كان بأو محمود وصرامته.

ولقد اجتمعت للطناحى خليقتان تبدوان فى الظاهر متباينتين: خليقة الجد الصراح، وخليقة المرح الصراح كذلك، واحتفظ صاحبهما بمواطنهما إلا حين تغلبه القافية والقافية تحكم، وقد مكنت الخليقتان له قبولا لدى الناس،

فلا يكرهه إلا لئيم الخيم نزر المحاق : الفئة الباغية، التى لا ترى الضوء، ولا يروق لها أن تراه، وكان هو الرابح على المدى البعيد، وكانوا هم الأخسرين أعمالا على المدى القريب والبعيد، حين الصقوا به تهما لا هو منها، ولا هى منه، وكان مبلغ قولهم انه سلفى يعنون بها ولاءه للجماعات الإسلامية، التهمة الشائعة هذه الأيام، والحق أن الرجل ومن والاه، ليس لهم ولاء هذه الجماعات، ولا حتى الشيخ العظيم «أبو فهر»، بل إنهم أقرب إلى مناجزة هذه الجماعات، أكثر من المناجرين بمناجزتها، لأننا نناجزها آيبين إلى المنطق والفكرة السوية، على حين تكون النفعية رائد الفريق المتاجر.

ومرح الطناحي هو المرح الموقع، الذى يفطن إلى منافذ الفكاهة، حين تفضح خلل القياس، دون أن يشوبها ما يشوب الفكهين من خفة ونزق، لا يعرفان مواطن الجد والقداسة، ولعل فطرة «ابن البلد»، هى التى تنضح فى أفاكيه الطناحي، فترقرق أنداء العزاء فى براثن الهجير الذى يشوى الوجوه والكبود، وكانت تسعده قريحته فى إطلاق النكتة النافذة، وكانت بديهته معوانًا لهذه القريحة، بعيداً عن الاشتقاقات اللغوية، والشقاشق اللفظية، لأنها قريبة وسطحية، وإن كانت تجىء أحيانًا نافذة نفاذ الأفكوهة العميقة، ولا نريد أن نفزع إلى سرد طائفة من نوادره، التى تتأبى على الحصر بغير عسر، يقلد أحيانًا صوتًا وحركة وهيئة بعض المتنطعين من المشايخ أصحاب اللازمة فى الحديث والهيئة، ويزيد محمود المسألة «حبتين» لزوم القافية، فيخيل إليك أنك تسمع وترى هذه الشخصية، ولولا أنك فى محضر محمود لفركت عينيك وأذنيك، حسبانًا أنك فى غير حضرته، لتمام المطابقة، ونحن نعتقد أن هذا التقليد - بجانب الفكاهة النافذة فيه - فهم دقيق لهذه الشخصية أو تيك، وأن المسألة خرجت من الفكاهة السريعة إلى الفطنة والتحليل العميق وأن النقد يستوفى حظه حين تستوفى الأفكوهة حظها أيضاً.

وتغلبه مصطلحات المهنة، فيورد طائفة من نوادرها المحفوظة، يذكر أن طلاب